منهج الإسلام

في

تربية عقيدة الناشئ

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع

للمراسلة: دمشق - سوريا - حلبوني - جادة الشيخ تاج
هاتف المكتب: ٠١١/٢٢٤٥٨٢٢ - تلفاكس: ٠١١/٢٢٢٢٦٩٤
هاتف المكتبة: ٠١١/٢٢٢٨٠٧٤ ص.ب: ١٣٤٩٢
E-mail : abualkhair@mail.sy
Website: www.Alkhirprinting.com

بيروت - لبنان - فردان - جنوب سيّار الدرك - بناء الشامي
هاتف: ٠١/٨١٠٥٧١ - تلفاكس: ٠١/٨٦٥٦٩٧
ص.ب: ١١٣/٥٦٣٠ - الرمز البريدي: ١١٠٣/٢٠٦٠

دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت

منهج الإسلام

في

تربية عقيدة الناشئ

بقلم المربي

الدكتور محمد خير فاطمة

تقديم وتقريظ

سماحة الدكتور الشيخ أحمد كفتارو

رئيس مجلس الإفتاء الأعلى ومجمع أبو النور الإسلامي

دار الخير

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم وتقريظ

د. الشيخ أحمد كفتارو

المفتي العام للجمهورية العربية السورية

رئيس مجلس الإفتاء الأعلى ومجمع أبي النور الإسلامي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد اطلعت على أكثر أبواب وفصول ما كتبه ولدنا الأستاذ محمد خير فاطمة وقرأت بعضها، فسرني بحثه كثيراً كبحث أعد لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية، وذلك لأنه اعتمد في اختياره على ما أحث عليه دائماً جميع طلبة العلم والدعاة إلى الله، بأن يختاروا لدروسهم وخطبهم ومحاضراتهم وندواتهم ومؤلفاتهم وأبحاثهم التخصصية، المواضيع التي تناسب عصرهم، والتي تفيد المستمع أو القارىء، في دينه وآخرته، وتزيد في إيمانه وعلمه، وفي تزكية نفسه وأخلاقه وسلوكه.

وقد وفق الباحث في اختياره هذا الموضوع التربوي العقدي للناشئة وهو موضوع يناسب عامة المسلمين والمتخصصين منهم.

والمؤلف هو من أصحاب التجربة الواعية في تربية الشباب، وكتابته تعكس جانباً من خبراته النظرية والعملية، فهو من جهة؛ قد تربى وترعرع في ظل هذا المنهج بين أسرته، ثم مَنَّ الله عليه أن ينتسب وهو في ريعان

شبابه إلى مدرستنا الإيمانية التربوية، فكان من عداد الشباب المؤمن المستقيم على صراط الله القويم.

ومن جهة أخرى: فقد أكرمه الله أن أصبح من الدعاة إلى الله وخاصة بين صفوف الشباب فكان ولأكثر من ربع قرن داعياً لهم إلى صراط الله المستقيم فكان داعية ناجحاً موفقاً.

وكان قد خبر هؤلاء الشباب وخبر مشكلاتهم ومعاناتهم وما يحتاجون إليه فاختار الموضوع الأهم لتربية النشء في هذا العصر وهو الموضوع العقدي، الذي هو أس الإيمان وأساسه وهو القلعة المتينة لحماية المسلم من التيارات العقدية المتعددة المطروحة التي تهدف إلى هدم الإسلام في نفوس المسلمين وخاصة بين ناشئة الإسلام وشبابه.

كل ذلك جعل من هذا البحث موضوعاً شائقاً مهماً وضرورياً لكل الآباء والأمهات والمربين ليربوا أبناءهم وبناتهم عليه عسى أن يوفق هذا الجيل إلى حمل هذه الرسالة وأدائها إلى أولادهم في المستقبل ليعم الإيمان وتنتشر الفضيلة وما ذلك على الله بعزيز.

أسأل الله تعالى أن ينفع المسلمين بهذا الكتاب، وأن يوفق الدعاة والمفكرين الإسلاميين للعمل المتواصل من أجل بناء أجيال الشباب المسلم فهم شباب اليوم وقادة المستقبل، وهم أملنا بنهوض الأمة الإسلامية لتأخذ دورها بين الأمم في بناء الحضارة الإنسانية.

والحمدلله رب العالمين

د.الشيخ أحمد كفتارو

المفتي العام للجمهورية العربية السورية

رئيس مجلس الإفتاء الأعلى ومجمع أبي النور الإسلامي

الإهداء

إلى طلبة العلم وخاصة المتخصصين منهم في الدراسات العليا، لعلهم يجدون في هذا البحث ما يضيفونه إلى علمهم من جهة، ويستفيدون منه في طريقة كتابة أبحاثهم التخصصية من جهة أخرى، حيث اتبعت في كتابي هذا طريقة البحث العلمي والأسلوب التخصصي.

إلى جميع الآباء والأمهات والمربين والدعاة إلى الله، الذين يسعون إلى تربية ناشئتهم على العقيدة الإسلامية الصحيحة، لتظهر في سلوكهم وأعمالهم، فيعم الخير، وتنتشر الفضيلة.

إلى جميع هؤلاء أهدي بحثي هذا، آملاً أن يجدوا فيه بغيتهم، وراجياً من الله القبول والتوفيق، وحسن الخاتمة، وأن تنتفع به الناشئة، في كل بقاع الأرض وعلى مر العصور.

والحمد لله رب العالمين

المؤلف

محمد خير فاطمة

شكر وتقدير

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [النمل: ٤٠].

فأشكر الله تعالى وأحمده الذي هداني الصراط المستقيم والدين القويم.

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وأصلي وأسلم على سيد الشاكرين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين القائل:

«من لا يشكر الناس لا يشكر الله»(١).

لذلك فإنني أتوجه بالشكر الجزيل والثناء الجميل إلى سماحة الشيخ الدكتور أحمد كفتارو المفتي العام للجمهورية العربية السورية إلى من

---

(١) أخرجه الترمذي، الجزء السادس، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، الصفحة ١٨٧، رقم الحديث ١٩٥٥، وقال حديث حسن صحيح.

لا تزال كلماته تقرع أذنيَّ منذ كنت صغيراً، وقد فعلت السنون فعلها في جسده وصوته، ولكن ما تبدلت كلماته، وما زالت هي هي:

«اذكـروا الله.... تعلَّمـوا.... علِّمـوا..... ادعـوا إلـى الله لا تيأسوا».

نعم قد تهدج بها صوته وتحشرج بها صدره ولكن صدق تلك الكلمات وحرارتها الإيمانية وهي تخرج من فيه استطاعت أن تحافظ على شبابها في خفايا قلب هذا الجسد المثقل بهموم المسلمين. ولقد كنت فضلاً عن رسالتي هذه ثمرة من ثمار كلماته تلك. أطال الله في عمره مع الصحة والعافية وجزاه عنا كل خير.

كما لا يفوتني أن أقدم شكري وتقديري للإخوة العاملين في مكتبة الأسد الوطنية في دمشق ومكتبة كلية الدعوة الإسلامية، ومكتبة الشهيد زاهر كفتارو رحمه الله في المعهد الشرعي للدعوة والإرشاد في مجمع أبي النور.

والشكر أخيراً لمن كانوا لي في هذه الرسالة عوناً على البر والتقوى ولكل من له في عملي هذا سهم يحيط به علم الله.

جزى الله الجميع عني ما يليق بفضله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد خير فاطمة

قال الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وسأل جبريل النبي محمداً ﷺ: أخبرني عن الإيمان ؟

قال رسول الله ﷺ:

«أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»(١).

* * *

(١) أخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، الصفحة ٣٦، رقم الحديث ٨.

ملخص الرسالة

أقدم في رسالتي هذه (منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشىء) ذاك المنهج الذي يعتبر الطريق السليم الواضح لتربية العقيدة الصحيحة في نفوس النشء المسلم، أقدمه للوالدين والمربين، بأسلوب مبسط بعيد عن التعقيد، لتربية عقيدة أولادهم التربية الصحيحة النابعة من القرآن الكريم، والسنة المطهرة، ومنهج السلف الصالح في ذلك، دون التعرض لآراء أصحاب المذاهب الكلامية المتعددة، ولا لحجج المتأخرين.

وقد اجتهدت في ذلك أن أبتعد عن الاختلافات في الآراء التي لا طائل تحتها، وعن الحجج التي لا يحتاجها الناشىء غالباً.

مثبتاً تلك العقيدة في روع الناشىء بالأدلة والحجج النابعة من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وماكان عليه السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم.

مبيناً معنى العقيدة الإسلامية، معدداً علومها ومميزاتها وأهميتها وثمارها.

موضحاً للوالدين أهم الممهدات الأولية لتحقيق تلك التربية الصحيحة، في الاختيار الصحيح للزواج الإسلامي المثالي، واختيار

الأصدقاء الصالحين للأبناء، واعتماد المربين الأتقياء الواعين، لمساعدتهم في تربية أبنائهم.

لافتا أنظار الوالدين والمربين، إلى المسؤولية الخطيرة التي يتحملونها في التربية، مبيناً أهمية القدوة الحسنة، التي ينبغي أن يتحلى بها المربي، إلى جانب إقامة علاقات المودة والمحبة بين المربي والمربى.

ذاكراً المقدمات التربوية التي ينبغي تطبيقها منذ بداية نمو الجنين، والتطبيقات التربوية التي ينبغي الاهتمام بها منذ ولادته، إلى أن يبلغ الحولين، ثم متابعة المراحل التربوية التي ينبغي الاعتماد عليها مع تقدمه في العمر إلى أن يصل إلى سن الرشد والبلوغ.

محدداً ومفصلاً أركان العقيدة الستة.

مفسراً معنى الثبات على العقيدة، ومركزاً على ضرورته.

عارضاً لنماذج ممن تمسكوا بهذه العقيدة وثبتوا عليها.

خاتماً بحثي بالتوصيات الضرورية للأبناء والوالدين.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

* * *

محتويات البحث

أ ـ المقدمة :

أولاً : أسباب اختيار البحث .

ثانياً : مشكلة البحث .

ثالثاً : هدف البحث .

رابعاً : الدراسات السابقة .

خامساً : أهمية البحث .

سادساً : حدود البحث .

سابعاً : منهج البحث .

ثامناً : خطة البحث .

تاسعاً : تعريف بعنوان البحث .

المنهج ـ الإسلام ـ التربية ـ العقيدة ـ الناشىء)

ب ـ الرسالة :

الباب الأول : العقيدة الإسلامية

الفصل الأول : علوم العقيدة الإسلامية .

الفصل الثاني : مميزات العقيدة الإسلامية .

الفصل الثالث : أهمية العقيدة وثمارها .

الباب الثاني : الممهدات الأولية للتربية

الفصل الأول : حسن الاختيار في (الزواج ـ الأصحاب ـ المربين)

الفصل الثاني : الوالدان وتحمل المسؤولية .

المقدمة:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الهادي إلى الحق المبين، القائل: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد الصادق الأمين، وعلى آله، وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

إن الأمم والشعوب، لاتستطيع المحافظة على استمرار وجودها وتقدمها ورقيها إلا بفضل إعداد أجيالها المتعاقبة، الإعداد السليم المتكامل.

وبقدر ما تحافظ الأمم والشعوب، على تربية هذه الأجيال، على التمسك بدينها، ومعتقداتها، وأخلاقها، بقدر ما تحافظ على بقائها، وعلو شأنها.

وكما فطنت الأمم والشعوب، إلى أهمية تربية أجيالها المتعاقبة، فطن أعداء هذه الأمم والشعوب، إلى ضرورة التخريب في جذور البناء الصحيح لتربية الأجيال.

وما ذلك إلا ليسهل أمر استعمار هذه الشعوب، واستعبادها، وسلب خيراتها، وبث أفكاره في أجيالها، لتحطيم كيانها وزعزعة وجودها.

وذلك بالسيطرة على تربية الأجيال، لتخريب دينها، وعقائدها، وأخلاقها.

وبالتالي يسهل عليهم تحقيق مآربهم، وتنفيذ مخططاتهم الاستعمارية.

وهذا ما حدث بالفعل لأمّة الإسلام، وشعوبها من قبل أعدائها، على مختلف أشكالهم، وعلى مرّ الأيام، وتعاقب الأزمان.

فقد شهد أعداء الإسلام، تقدم الإسلام وانتشار دعوته، بفضل قوة العقيدة عند أجياله المتلاحقة، فأخذوا يدبرون المؤامرات المختلفة، ويحيكون الخطط الماكرة، لتدمير العقيدة عند الناشئة، وبالتالي تحطيم ارتباطهم بدينهم وأخلاقهم.

وتكالبت قوى الشر المتعددة، والمنظمات المختلفة، على أمة الإسلام وشعوبها، واجتمعت على تحطيمها، بمختلف الوسائل والأساليب.

من هذه المنظمات: الصليبية العالمية، تلك التي قامت بإرسال البعثات التبشيرية المتعددة لمختلف البلاد الإسلامية، من أجل تحقيق أهدافها.

قال صموئيل زويمر رئيس جمعيات التبشير في مؤتمر القدس عام ١٩٣٥م وهو يتحدث عن خطط التبشير لإخراج المسلمين من دينهم:

[مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية، ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية ـ فإن في هذا هداية

لهم وتكريماً ـ وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله.

وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها. وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام، وهذا ما أهنئكم عليه وتهنئكم دول المسيحية والمسيحيون جميعا من أجله كل التهنئة.

لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية المستقلة أو التي تخضع للنفوذ المسيحي أو التي يحكمها المسيحيون حكماً مباشراً.

ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير المسيحي. . . . .]

ثم يتابع قوله:

[إنّكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد ـ إخراج المسلم من الإسلام ـ.

إنكم أعددتم نشأً، لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقا لما أراده له الاستعمار، لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع فللشهوات، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء.

إنّ مهمتكم تتم على أكمل الوجوه، وقد انتهيتم إلى خير النتائج، وباركتكم المسيحية، ورضي عنكم الاستعمار، فاستمروا في أداء

رسالتكم، فقد أصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الله][1].

ومن هذه المنظمات أيضاً: المنظمة الأم (الصهيونية العالمية)، التي تحاول السيطرة على العالم كلّه، وتسخيره لمصالحها وخدمتها، وتسخير جميع المنظمات الأخرى لتحقيق أهدافها.

[والتي عهدت هذه المنظمات إلى أن تكون معركتها مع الدين من خلال الإيمان بالله.][2].

ولجأت لتحقيق تلك الأهداف إلى عدة وسائل، أهمها السيطرة على الإعلام بجميع أقسامه، وتوجيهه الوجهة التي تخدم مصالحها وغاياتها، وإلهاء الناس ببرامج الإذاعة والتلفاز، وأفلام الفيديو، للسيطرة على عقولهم، و[التي استهدفت بها العصابات الصهيونية تنشيط تيارات الانحلال الخلقي، وترويج تيارات اللامعقول، تهيئة للابتعاد عن الدين، أو الهزء به، وقطع الطريق على الشباب في إمكانية نزوعه إلى الدين والعفّة والطهارة والإيثار][3].

ويزداد الأمر سوءا يوماً بعد يوم، وخاصة بعد انتشار الأجهزة الحديثة التي تعرض الأفلام الخليعة والمثيرة للجنس، والمحطمة للعقيدة، المبعدة عن الدين، الشاغلة عن الأهداف الحقيقية لوجود الإنسان على هذه الأرض، والتي تبث برامجها على مدار الليل والنهار.

وأخذت بكل وسائلها للعمل على تمييع النشء وإبعاده عن دينه،

---

(١) عبد الله التل، جذور البلاء، دار الارشاد، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م، الصفحة ٢٧٥وما بعدها.

(٢) صابر طعيمة، العقيدة والفطرة في الإسلام، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، الصفحة ٨.

(٣) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وعقيدته وأخلاقه، وعمله ودراسته، وذلك بإشغاله بالتفاهات، التي لا طائل تحتها إلا إضاعة الوقت بلا فائدة، كتلك التفاهات التي تندرج تحت اسم الفن والرياضة، وغير ذلك.

ولنستمع إلى ما خططته الصهيونية العالمية للأمة الإسلامية:

[ولكي نبعدها عن أن تكشف بأنفسها أي خط عمل جديد، سنلهيها أيضا بأنواع شتى من الملاهي والألعاب..............

وسرعان ما سنبدأ الإعلان في الصحف، داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتى في كل أنواع المشروعات: كالفن والرياضة وما إليهما.

هذه المتع الجديدة ستلهي ذهن الشعب حتى عن المسائل التي سنختلف فيها معه، وحالما يفقد الشعب تدريجياً نعمة التفكير المستقل بنفسه سيهتف جميعاً معنا][1].

واليوم نجد أن هذا الجيل الجديد يبتعد عن دينه، وعقيدته، وأخلاقه شيئاً فشيئاً، من وراء ما يخطط له، وعلى جميع المستويات، وفي جميع أمور حياته المختلفة.

لذلك فقد كان من المنطقي، والواجب، أن تهب قوى الدفاع الفكري في أرض العروبة والإسلام، فتدرس هذا الواقع الخطير، ثم تضع الخطط اللازمة لمواجهة هذا الخطر المحدق، والتخلص من شباكه، وأن تقوي استحكاماتها حفاظا على ما تملكه من قضايا الإسلام المتعددة، وخاصة العقيدة.

---

(١) محمد خليفة التونسي، الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون)، دار الامام الحسن إيران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، الصفحة ١٥١.

أولاً ـ أسباب اختيار البحث :

هناك عدة أسباب دعتني لكتابة هذا البحث وهي :

١ـ قول الله عز وجل : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

٢ـ ما ورد في الحديث الشريف :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

«من دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»[(١)] .

٣ـ أهمية العقيدة الإسلامية في حياة الفرد المسلم، وضرورة خلوها من الشك، وسلامتها من شوائب الشرك، ونقائها من كدورات الخرافات .

٤ـ الهزات القوية العنيفة التي تتعرض لها العقيدة الإسلامية في هذه الأيام من جرّاء طغيان المادة من جهة، وانتشار المفاسد الكثيرة من جهة أخرى .

٥ـ الخطر المحدق بتربية النشء الذي أشرت إليه في المقدمة، من مخططات ومؤامرات تهدف إلى النيل من عقيدة الأجيال العربية والإسلامية، والذي أثار شعوري بالمسؤولية وضرورة قيامي بالواجب كداعٍ ومربٍ للنشء، فكان لابد من التصدي لهذه الهجمات، وبكل الوسائل حتى تبوء بالفشل والخسران، فأدليت بدلوي، عسى أن يكون

---

(١) أخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب العلم، باب من دعا إلى هدى أو ضلالة، الصفحة ٢٠٦٠، رقم الحديث ٢٦٧٤ .

بحثي لبنة من لبنات صرح المواجهة لهذا الخطر الكبير.

٦ـ اهتمامي الشديد بالنشء وتربيته، فقد أكرمني الله عز وجل بالإشراف على عدد كبير من هذا النشء ولأكثر من ربع قرن، بالتعليم والتربية والدعوة، إلى هذا الدين الحنيف، والعقيدة الراسخة، والأخلاق الفاضلة، والآداب السليمة، مع الإشراف المتواصل عليهم، ليستقر ذلك في أعماق نفوسهم، وخلجات قلوبهم، وصلب تفكيرهم.

٧ـ مواقف كثيرة ومتعددة، يستوقفني فيها العديد من الشبان وهم يذكرونني بأنفسهم، وبأيام تعرفهم عليّ منذ سنوات عديدة خلت، ثم يقولون لي بفضل توجيهاتك وتربيتك حفظنا الله من الوقوع في المحرمات في شتى مجالات الحياة، صحيح أننا غفلنا عن الله في بعض الأوقات، وسهونا عن بعض العبادات، ولكنّ تعاليمك وتوجيهاتك وتربيتك دائماً في خاطرنا، وفي أعماق تفكيرنا وقلوبنا، كانت وما زالت ترشدنا إلى الطريق المستقيم، وتأخذ بأيدينا إلى التوبة والرجوع إلى الله، والعودة للاستقامة من جديد، والتمسك بتعاليم الدين وأخلاقه.

وقد نقلنا تلك التربية إلى أزواجنا، وأولادنا، فجزاك الله عنا خيراً.

هذه المواقف دفعتني لمتابعة طريق الدعوة، عن طريق الكتابة، حيث يتاح لي الاتصال بالأجيال المتلاحقة، وتوجيههم الوجهة الصحيحة، وخاصة في موضوع العقيدة، الذي هو أساس الدين وجوهره.

٨ـ ما قيضه الله لمؤلفات ـ سبق أن نشرتها ـ من رواج وقبول حسن لدى الناس[١]، الأمر الذي جعلني أشعر بعظيم المسؤولية تجاه هذا

---

(١) صدر لي عن دار الخير بدمشق كتاب (الآداب الإسلامية للناشئة) ثلاثة أجزاء، وكتاب (الأخلاق الإسلامية للناشئة) ثلاثة أجزاء أيضاً.

البحث الخطير لتجنيب الشباب الناشىء هذه المزالق الخطرة والتي يراد لها أن تطيح بدين الجيل الناشىء.

٩ـ أنني رغم بحثي الدؤوب لم أعثر على كتاب اختص بهذا البحث بالذات، مع أهميته وضرورته.

أمام هذه الأسباب مجتمعة، وجدت نفسي أكتب هذا البحث مستعيناً بالله سبحانه، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

ثانياً ـ مشكلة البحث:

تناول هذا البحث المنهج الإسلامي في تربية عقيدة الناشىء فقط من مصدريه (القرآن الكريم والسنة النبوية)، مع تطبيقات تربية أهل السلف من الصحابة والتابعين، وتابعي التابعين لأبنائهم، ضمن فهمهم لكلام الله سبحانه، وسنة رسول الله ﷺ فيما يتعلق بهذه التربية.

وقد تمت مناقشة ذلك فيما يتعلق بالجنين، والمولود، والناشىء إلى سن البلوغ.

ثالثاً ـ هدف البحث:

سعى الباحث إلى تحديد المنهج الإسلامي في تربية عقيدة الناشىء، وذلك كما ذكره القرآن الكريم، وفسرته السنة المطهرة وطبقه السلف الصالح، ليقدمه إلى الوالدين والمربين، ليستفيدوا منه في تربية عقيدة أولادهم.

وبذلك تثبت العقيدة الصحيحة في هذا الجيل، ويتم نقلها صافية إلى الجيل الذي يليه، وبذلك تنتشر العقيدة الصحيحة، وتصمد أمام هجمات الكفر والإلحاد بشتى أنواعه وأمام مغريات المفاتن والشهوات والأهواء المتنوعة التي تعرض عليه ليل نهار، وبمختلف الأشكال والألوان.

رابعاً ـ الدراسات السابقة:

يدور البحث الذي قدمه الباحث حول موضوعين أساسيين:

الموضوع الأول: العقيدة الإسلامية.

الموضوع الثاني: تربية الناشىء على هذه العقيدة.

أما الموضوع الأول وهو العقيدة الإسلامية، فقد تناوله كثير من العلماء قديماً وحديثاً تحت عناوين متعددة:

(علم أصول الدين، العقيدة، الإيمان، التوحيد، علم الكلام)

وقد تناولوه بشكل كبير جداً حيث: [توجد بالظاهرية /٢٤٩/ مخطوطة تحت عنوان علم التوحيد من رقم عام /٢٩١٠/ إلى /٣٠٣٢/ يضاف إليها بعض المخطوطات المبعثرة أو المصنفة تحت علوم أخرى][1]. ولدى مراجعتي فهارس مكتبة الأسد في دمشق، وجدت ما يقارب من مائة وخمسين كتاباً، تبحث بموضوع العقيدة الإسلامية.

والعقيدة الإسلامية بجميع علومها وكتبها تدور حول موضوع الإيمان، وما يرتبط به من موضوعات جانبية، والإيمان هو أحد أركان الدين الإسلامي الثلاث: (الإسلام، الإيمان، الإحسان)

كما ورد في حديث جبريل مع رسول الله ﷺ[2].

والعلماء الذين تناولوا هذا الموضوع، تناولوه بأساليب مختلفة منها:

---

(١) د.محمد الزحيلي، مرجع العلوم الإسلامية، دار المعرفة، الصفحة ٣٢٥.

(٢) انظر الحديث في البخاري،، الجزء الأول، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، الصفحة ٢٧، رقم الحديث ٥٠.

١ـ كثير منهم تناولوا الموضوع معتمدين على مصدري التشريع الرئيسين: (القرآن الكريم والحديث الشريف) وقد نهجوا في تفسيره على ظاهر اللفظ دون تأويله، كما يلاحظ في كتاب ابن قدامة المقدسي المتوفى سنة ٦٢٠ هجرية (لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد).

[كل ما جاء في القرآن، أو صحّ عن المصطفى عليه السلام من صفات الرحمن، وجب الإيمان به، وتلقيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل، والتشبيه والتمثيل][١].

٢ـ تناول علماء رواة الحديث هذا الموضوع ضمن مواضيعهم المختلفة، فأفردوا له باباً خاصاً، كما في صحيح مسلم (كتاب الإيمان) الذي افتتح به صحيحه[٢].

٣ـ وكذلك ضمّن بعض العلماء في كتبهم التي تبحث في مواضيع الإسلام الكثيرة هذا الموضوع ضمن أبوابه المتعددة، كما فعل الإمام الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين).

٤ـ ومن العلماء من تناول بعض أفكار موضوعات العقيدة ضمن موضوعات كتابه المتعددة مثل (ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هجرية) في كتابه مفتاح دار السعادة، الذي ذكر فيه عدة فصول تتعلق بالعقيدة منها فصل:

---

(١) ابن قدامة المقدسي، لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، دار البيان، الطبعة الثالثة تحقيق الشيخ عبد القادر بدران وخرج أحاديثه بشير محمد عيون، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢ م، الصفحة ٨.

(٢) انظر صحيح مسلم، الجزء الأول، الصفحة ٣٦.

[والأسماء الحسنى والصفات العلى مقتضية لآثارها من العبودية][1].

٥ـ ومن العلماء من تناول الموضوع معتمداً على مذهب أهل السنة والجماعة في العقيدة، ثم قام بالرد على الفرق الكلامية المتعددة، وآرائهم المختلفة في أبحاث العقيدة، مثل ما كتبه الإمام الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤ هجرية في كتابه (الإبانة عن أصول الديانة)

[وأسلوب الأشعري، أن يذكر عقيدة أهل السنة في ذات الله وصفاته، ويسرد الأدلة من القرآن والسنة الشريفة، ويدعمها بما يؤيده المنطق والعقل، ثم يبين رأي الفرق المخالفة بصيغة اعتراض، ويرد عليه، أو بصيغة سؤال ويجاب عليه، ثم تعّرض لعقيدة القدر وبعض أحوال الآخرة، ثم ختم الكتاب بالكلام عن إمامة أبي بكر الصّديق][2].

٦ـ وبعضهم تناول هذا الموضوع بما يتناسب وآراء مذهبه الخاص مبتعداً عن طريق أهل السنة والجماعة. مثل ما كتبه القاضي عبد الجبار الهمزاني المعتزلي المتوفى سنة ٤١٥ هجرية في كتابه (شرح الأصول الخمسة).

٧ـ وبعضهم تناول موضوعا واحدا من مواضيع العقيدة المتعددة، وتوسع فيه، مثل ما كتبه إبراهيم بن السري الزّجاج في كتابه (تفسير أسماء الله الحسنى)، والسجستاني في كتابه (البعث)، وابن قيم الجوزية في كتابه (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) ـ جزءان ـ.

---

(١) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة (جزءان في مجلد واحد)، دار الكتب العلمية لبنان، الجزء الثاني، الصفحة ٩٠.

(٢) د. محمد الزحيلي، مرجع العلوم الإسلامية، مرجع سابق، الصفحة ٣٥٢.

أو تناول بحثاً فرعياً من هذه المواضيع، مثل الحافظ ابن كثير في كتابه (صفة الجنة وما فيها من النعيم المقيم).

٨ـ ومنهم من تناول الموضوع باختصار في كتيب صغير لا يتجاوز عشر صفحات من القطع الصغير، مثل ما كتبه النسفي المتوفى سنة ٥٣٧ هجرية في كتابه (العقائد النسفية).

٩ـ وبعضهم أطال البحث في موضوعات العقيدة، وفصل فيها كثيرا كابن تيمية، الذي خص موضوع العقيدة بثمانية مجلدات من كتابه (مجموع فتاوى أحمد بن تيمية)

وهي: المجلد الأول: توحيد الألوهية، المجلد الثاني: توحيد الربوبية،

المجلد الثالث: مجمل اعتقاد السلف، المجلد الرابع: مفصل الاعتقاد،

المجلد الخامس: الأسماء والصفات (الجزء الأول)، المجلد السادس: الأسماء والصفات (الجزء الثاني)، المجلد السابع: الإيمان، المجلد الثامن: القدر.

١٠ـ وآخرون، نظموا شعراً في موضوعات العقيدة، مثل إبراهيم بن هارون اللقاني المتوفى سنة ١٤٠١ هجرية في منظومته (جوهرة التوحيد)، ثم جاء مَن شرحها، وآخرون قاموا بتحقيق ذلك الشرح[١].

---

(١) انظر عبد السلام بن ابراهيم اللقاني، شرح جوهرة التوحيد، ومعه كتاب النظام بتحقيق جوهرة التوحيد، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة البخارية الكبرى مصر، الطبعة الثانية، سنة ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥ م.

وأما العلماء الذين تناولوا هذا الموضوع حديثاً، فقد تناولوه أيضا بأشكال مختلفة:

١ـ أكثرهم تحدث في موضوع العقيدة بعناوين مختلفة جديدة، ولكنه أتى بالحجج الدامغة والدلائل النقلية والعقلية الثابتة، وعلى أساس علمي موضوعي، وذكر النزاع بين جمهور المسلمين وبعض الفرق الإسلامية الأخرى.

وعالج الموضوع بشكل منطقي، ثم رجح مذهب الجمهور من الصحابة، مثل د. محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه (كبرى اليقينيات الكونية).

٢ـ وبعضهم تحدث في موضوعات العقيدة، وإثبات أفكارها بالحوار والجدال، وبأسلوب قصصي مشوق، مثل نديم الجسر في كتابه (قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن).

٣ـ وهناك من تحدث في موضوع العقيدة بأسلوب واضح مبسط، مثل عبد الوارث مبروك في كتابه (العقيدة الإسلامية منهج ميسر).

٤ـ وآخرون تعمقوا في مواضيع العقيدة الإسلامية، شرحاً وتفصيلاً، وبأسلوب عصري مقنع، مستفيداً من المعارف والعلوم الحديثة، لدعم قضايا الإيمان، مثل: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني في (كتابه العقيدة الإسلامية وأسسها).

٥ـ وهناك من تحدث في أحد مواضيع العقيدة، مستفيضاً في ذلك، شارحاً ما يتعلق به، مثل د. محمد حسن الحمصي في كتابه (الإيمان بالله).

وأحمد عز الدين البيانوني في كتابه (الإيمان بالملائكة).

وعفيف عبد الفتاح طبارة في كتابه (مع الأنبياء في القرآن الكريم).

وأحمد فائز في كتابه (اليوم الآخر في ظلال القرآن).

وعبد الحليم محمد قنبس وخالد عبد الرحمن العك في كتابهما (مسألة القضاء والقدر).

٦ـ وآخرون تحدثوا في مواضيع العقيدة، رابطين إياها بمواضيع أخرى، مثل عبد الله عزام في كتابه (العقيدة وأثرها في بناء الجيل).

٧ـ ومنهم من قام بدراسة في علم العقيدة الإسلامية، ناقش فيها العديد من القضايا المتعلقة بالعقيدة الإسلامية، في ضوء الكتاب والسنة، مثل أحمد علي الملا في كتابه (دراسة في علم العقيدة الإسلامية).

٨ـ ومنهم من تحدث عن العقيدة الإسلامية، من خلال حديثه عن الفرق الإسلامية (الفرق السياسية، والمذاهب الاعتقادية المتعددة، والفرق الخارجة عن الملّة، وآراء كل منها).

ثمّ تحدث عن المذاهب والأفكار الحديثة في ميزان الإسلام (المادية الجدلية، والمادية التاريخية، والمذهب الوجودي، ونظريات التطور والعلمانية).

مثل د. محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه (العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر).

إلى غير ذلك من الأساليب المختلفة التي تعرض إليها من كتب في موضوع العقيدة، قديماً وحديثاً.

من دراسة كل ما كتب في موضوع العقيدة الإسلامية قديماً وحديثاً،

نجد أن أحداً لم يتعرض وبشكل مختص إلى موضوع عقيدة الناشئة، وما يتناسب معهم أسلوباً وموضوعاً.

أما الكتب التي تعرضت للموضوع الثاني، الذي طرحه الباحث، وهو تربية النشء فقد كانت على مستويات متعددة.

فالكتب القديمة، لم تتعرض لهذا الموضوع المهم بشكل كتاب مستقل إلا من خلال وصايا عامة للآباء، بثت هنا وهناك في كتب معدودة، وكانت هذه الوصايا عامة في الآداب والأخلاق، والسلوك والمعاملات والواجبات المختلفة، ولم تكن خاصة في تربية عقيدة النشء مثل الوصايا المتفرقة التي وردت عن الإمام الغزالي في ثنايا كتابه (إحياء علوم الدين)، حتى كتابه (أيها الولد) لم تتعرض نصائحه للموضوع المذكور.

ما عدا ما كتبه (ابن قيم الجوزية)[١] في موضوع أحكام المولود وما يخصه فقط.

أما الكتب الحديثة، فقد ظهر منها العديد من الكتب التي بحثت في مجال تربية النشء تربية عامة في جميع مجالات التربية ونواحيها، ومنها من اختص بمرحلة من مراحل النمو، والكثير منها ربط التربية الإسلامية بالنظريات الحديثة التربوية، مقارناً بينها، مثبتاً عظمة التربية الإسلامية.

من هؤلاء المؤلفين على سبيل الذكر لا الحصر:

١ـ د. محمود محمد عمارة في كتابه أولادنا (كيف نربي أولادنا في ضوء الإسلام)

---

(١) انظر ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، تحقيق محمد علي أبو العباس، مكتبة القرآن، القاهرة.

٢ـ عبد الله علوان في كتابه (تربية الأولاد في الإسلام).

٣ـ محمد حامد الناصر وخولة عبد القادر درويش في كتابهما (تربية الأطفال في رحاب الإسلام في البيت والروضة).

٤ـ محمد علي قطب في كتابيه: (أولادنا في ضوء التربية الإسلامية)، و(فضل تربية البنات في الإسلام).

٦ـ المبروك عثمان أحمد في كتابه (تربية الأولاد والآباء في الإسلام).

٧ـ محمد كامل الشربجي في كتابه (نهج الإسلام في تربية الأطفال).

٨ـ حبشي فتح الله الحنفاوي في كتابه (تربية الأطفال في الإسلام).

٩ـ محمد حسن فارس في كتابه (التربية الإسلامية لصغار الأطفال).

١٠ـ محمد جمال الدين علي محفوظ في كتابه (التربية الإسلامية للطفل والمراهق).

وجميع هذه الكتب، تعرضت وبأساليب متعددة لتربية الأولاد، وفق المنهج الإسلامي، تربية عامة شاملة لكل نواحي التربية المتنوعة (الجسمية والعاطفية والوجدانية والنفسية والخلقية والتعبدية والعقدية والاجتماعية والعقلية والصحية).

ولدى مراجعة وقراءة كل هذه الكتب، والكتب الأخرى، التي بحثت في تربية الناشئة، لا نجد كتاباً واحداً تخصص وبشكل مستقل في موضوع تربية العقيدة عند الناشئة.

وبما أن أنواع البحوث متعددة:

[يكتب الباحث في شيء، لم يسبق إليه فيخترعه، أو شيء مغلق فيشرحه، أو شيء ناقص يتممه، أو شيء طويل يختصره، دون أن يخل

بشيء من معانيه، أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه][1].

فقد وجدت نفسي أكتب في هذا البحث، (منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشيء) وهو بحث في موضوع، لم يسبق إليه أحد من الذين كتبوا في موضوع العقيدة، أو من الذين كتبوا في موضوع تربية النشء قديماً أو حديثاً.

والأمة الإسلامية بأشد الحاجة إليه، لتربية أجيالها على العقيدة الصحيحة، وفق المنهج الإسلامي الخالص.

راجيا من الله القبول.

* * *

---

(١) د. عبد الرحمن عميرة، أضواء على البحث والمصادر، دار الجيل بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، الصفحة ٢٧.

خامساً ـ أهمية البحث :

١ـ يعتبر هذا البحث إضافة علمية جديدة، في مجال التربية الإسلامية، وخاصة في مجال العقيدة عند النشء.

٢ـ إن هذه الدراسة، هي أول دراسة منهجية، أفردت بالبحث (المنهج الإسلامي في تربية عقيدة الناشىء).

٣ـ يعتمد البحث فقط على مصدري التشريع الأساسيين (القرآن الكريم والسنة النبوية) وعلى ما ورد عن السلف في ذلك، وبأسلوب مبسط واضح يتناسب مع الناشئة، دون التعرض للأدلة العقلية للمذاهب القديمة المختلفة، أو الأدلة العلمية الحديثة.

٤ـ يستفيد من هذا البحث ـ وبشكل رئيس ـ الوالدان (الأب والأم)، والمربون الذين تقع عليهم مسؤولية رعاية وتربية وتوجيه الناشئة، فيجدون بين أيديهم المنهج الواضح السليم في هذا الموضوع.

٥ـ كما يستفيد الأبناء، الذين يحرصون على تلقي العقيدة الصحيحة من القرآن والسنة، من هذا المنهج المتكامل في موضوع العقيدة، وبما يتناسب مع مداركهم، ومفاهيمهم ونفسياتهم في هذه المرحلة من العمر.

٦ـ في هذا البحث باب خاص في التمهيدات الأولية للتربية، وهي الاختيار والمسؤولية والقدوة الحسنة، والمودة والمحبة، وهي مواضيع تربوية هامة، توضح للوالدين والمربين واجباتهم الهامة في طريقة تنشئة الأولاد بالشكل التربوي الإسلامي الصحيح.

٧ـ يتعرض هذا البحث لمواضيع هامة، تخص الوالدين في المراحل الأولى من الإنجاب وإلى أن يبلغ أبناؤهم سن البلوغ.

٨ـ (مقدمات التربية في الجنين ـ تطبيقات التربية في المولود إلى الحولين ـ تربية العقيدة في الناشىء إلى سن البلوغ).

٩ـ يستفيد من البحث المربون، الذين يتعاملون مع الناشئة في المدراس، أو مجالات الدعوة الأخرى، فيجدون بين أيديهم المنهج الإسلامي في العقيدة، وما يتناسب مع هؤلاء الناشئة.

يختم الباحث موضوعه بالحض على الثبات في العقيدة، وذكر نماذج من القرآن والسنة، وما كان عليه سلف الأمة، من الصحابة الكرام، وقصصهم، مما يساعد النشء على إدراك أهمية الثبات على العقيدة وثمارها، ويضع بين أيديهم نماذج واقعية، يستطيعون تقمص شخصياتها وتقليدها للصمود أمام ما يواجههم في حياتهم العملية.

١٠ـ وهناك أخيراً وصايا للأبناء والوالدين تهم كل منهم في مجال التربية العقدية فتحقق لهم سعادة الدنيا والآخرة.

سادساً ـ حدود البحث:

يتعرض البحث للتمهيدات الأولية للتربية، أي مرحلة ما قبل الإنجاب، وهي واجبات ملقاة على الآباء بشكل خاص، وعلى الأمهات والمربين بشكل عام.

وهي الاختيار (الزواج ـ الأصحاب ـ المربون)، والمسؤولية التربوية، وعلى من تقع، ثم القدوة الحسنة، والمودة والمحبة كصفات ضرورية للمربي.

وبعد ذلك مقدمات التربية في الجنين، وتطبيقات التربية في المولود إلى الحولين، ثم التربية إلى سن البلوغ.

فحدود البحث كما هي واردة من قبل الزواج إلى بلوغ الأبناء سن البلوغ.

سابعاً ـ منهج البحث:

يتوقف اختيار أسلوب معالجة قضايا البحث وتفصيلاته، على طبيعة المشكلة والهدف من بحثها.

وكون البحث بحاجة إلى المعلومات، لإيضاح العقيدة الصحيحة، كما وردت في القرآن والسنة، فقد اتبع الباحث المناهج التالية:

١ـ (منهج البحث الوصفي) لبيان بحثه، وتوضيحه، والذي يتسم بالتحليل المنطقي العلمي المبني على أسس ومعايير، بما يخص تربية عقيدة الناشئة من خلال القرآن والسنة، في المراحل المذكورة سابقاً.

٢ـ وكون البحث بحاجة إلى الأدلة من القرآن والسنة، فإن الباحث اتبع (مناهج العلم الاستقرائي والاستنتاجي) في الحقائق واللوازم العقلية الفكرية لها، وشواهد المعرفة الكونية، وذلك حسب ماورد في القرآن والحديث الشريف.

٣ـ واعتمد الباحث أيضاً على (المنهج الاستردادي) وهو الذي نقوم فيه باسترداد الماضي، تبعاً لما تركه من آثار، عن السلف الصالح، وتجربته بما يخص موضوع البحث.

٤ـ وأخيراً فقد اعتمد الباحث على (المنهج القصصي) في سرد قصص القرآن، والسيرة، وتراجم الصحابة، وقصص السلف التي تتحدث عن أركان العقيدة وأهميتها، والثبات عليها والتمسك بها.

ثامناً ـ خطة البحث :

بناء على هدف البحث، وبعد المقدمة السابقة، قام الباحث، بالتعريف بعنوان البحث، ثم قدم أبحاث الرسالة التي قسمها إلى خمسة أبواب، في كل باب عدد من الفصول المناسبة له.

فبدأ بالباب الأول بعنوان (العقيدة الإسلامية) وقسمها إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: علوم العقيدة الإسلامية.

الفصل الثاني: مميزات العقيدة الإسلامية.

الفصل الثالث: أهمية العقيدة وثمارها.

أما الباب الثاني فهو بعنوان (الممهدات الأولية للتربية) وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: حسن الاختيار في (الزواج ـ الأصحاب ـ المربين).

الفصل الثاني: الوالدان وتحمل المسؤولية.

الفصل الثالث: القدوة الحسنة في الوالدين والمربين.

الفصل الرابع: أهمية المحبة والرحمة والمودة في التربية.

أما الباب الثالث فهو بعنوان (تربية عقيدة الناشىء):

الفصل الأول: مقدمات التربية في الجنين.

الفصل الثاني: تطبيقات التربية في المولود إلى الحولين.

الفصل الثالث: تربية العقيدة في الناشىء إلى سن البلوغ.

والباب الرابع بعنوان (أركان العقيدة) وفيه:

الفصل الأول: الإيمان بالله.

الفصل الثاني: الإيمان بالملائكة.

الفصل الثالث: الإيمان بالكتب.

الفصل الرابع: الإيمان بالرسل.

الفص الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

الفصل السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره.

وأخيراً الباب الخامس بعنوان (التوصيات والخاتمة) ويحتوي على خمسة فصول:

الفصل الأول: الثبات على العقيدة.

الفصل الثاني: في رحاب العقيدة.

الفصل الثالث: وصية للأبناء.

الفصل الرابع: وصية للوالدين.

الفصل الخامس: خاتمة البحث.

* * *

تاسعاً ـ تعريف بعنوان البحث :

[منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشىء]

١ـ المنهج ٢ـ الإسلام ٣ـ التربية ٤ـ العقيدة ٥ـ الناشىء

أولاً ـ المنهج :

[النهج : الطريق الواضح، ونهج الأمر وأنهج : وضح، ومنهج الطريق ومناهجه][١].

[(المِنْهَجُ): المِنهاج . (ج) مَناهج .

المِنَهاجُ : الطريق الواضح ؛ وفي التنزيل العزيز :
﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ﴾ [المائدة : ٤٨].

والمنهاج : الخطة المرسومة . (محدثة).

ومنه منهاج الدراسة، ومنهاج التعليم ونحوها][٢].

[والمنهج : طائفة من القواعد العامة المصوغة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم][٣].

[والمنهج : هو البرنامج الذي يحدد لنا السبيل للوصول إلى الحقيقة][٤].

---

(١) الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، أعده للنشر وأشرف على الطبع د. محمد أحمد خلف الله مكتبة الأنجلو المصرية، الصفحة ٧٧٢.

(٢) د. ابراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، الصفحة ٩٥٦.

(٣) عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، القاهرة، عام ١٩٦٨، الصفحة ٣.

(٤) المرجع السابق، الصفحة ٦.

[وفي المجال التربوي بالذات، أصبح المقصود بالمنهج، ذلك الطريق أو السبيل الواضح الذي يسلكه المربي، أو المدرب، مع من يربيهم أو يدربهم، لتنمية معارفهم ومهاراتهم، واتجاهاتهم][1].

[وتقوم عملية التربية اليوم على خطة ترسم فيها أهداف التربية وأساليبها، والخطوات التي يجب إتباعها لتنشئة جيل في مرحلة معينة من عمره، في أمة معينة][2].

والمنهج هو الذي يرسم تلك الخطة.

[المنهج هو أساس العملية التعليمية، ونحن بحاجة إلى مناهج هادفة، تعتمد على التخطيط، والخبرات الناضجة][3].

والغرض من تخطيط المنهج:

[هو أن نأخذ بعين الاعتبار حاجات الفرد والمجتمع، كي نزود الفرد الناضج بالخبرات المناسبة التي تكفل التحصيل... ويهتم المنهج عموماً، بتلك الخبرات التي يشترك فيها الأطفال، إضافة إلى الخبرات التي ترسم لإنتاج الفروق بينهم][4].

---

(١) د. عمر محمد التومي الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس الطبعة السادسة ١٩٦٨، الصفحة ٣٤٦.

(٢) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر بدمشق الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م الصفحة ١٧٣

(٣) محمد حامد الناصر وخولة عبد القادر درويش، تربية الأطفال في رحاب الإسلام في البيت والروضة، الطبعة الثالثة، مكتبة الوادي للتوزيع، جدة، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م، الصفحة ٣٩١.

(٤) المرجع نفسه والصفحة نفسها؛ نقلاً عن زيلارد أولسون، تطور نمو الأطفال، ترجمة ابراهيم حافظ، محمد عثمان سامي، علي الجمال بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، نيويورك ١٩٦٢م، الصفحة ٣٤٦.

من كل ما سبق يمكن أن يحدد الباحث معنى كلمة المنهج في عنوانه:

بأنه البرنامج الموجه، والطريق الواضح، والسبيل المنير، والخطة المرسومة، والقواعد الثابتة التي أمر بها الإسلام ـ النابعة من القرآن الكريم، والسنة المطهرة، مع تطبيقات السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وتابعيهم، في هذا المجال ـ ودعا إليها الآباء والمربين، لتربية عقيدة أبنائهم. وهذا المنهج يمتاز عن غيره من مناهج التربية الأخرى بـ:

١ـ **الواقعية**: لأنه مقتبس من القرآن والسنة وأقوال الصحابة التي تتحدث عن الواقع، وتناسبه.

٢ـ **العالمية**: فهو يخاطب الطفل المسلم في أي بقعة من الأرض يعيش عليها، وفي أي زمان خلق فيه.

٣ـ **المساواة**: فقد سوى بين جميع الأطفال، وخاطب كل الأطفال، فلا تمييز بين الطفل الغني والفقير، وبين طفل الحاكم والمحكوم، وبين الطفل الأبيض والأسود.

٤ـ **الوحدة**: فباعتبار أطفال المسلمين يتلقون من مصدر واحد هو رسول الله ﷺ فإنه بالتالي حقق لهم الوحدة العقدية.

ثانياً ـ الإسلام:

[معنى الإسلام شرعاً: الامتثال والانقياد لما جاء به النبي ﷺ مما علم من الدين بالضرورة.

وأما معناه ـ لغة ـ فهو مطلق الامتثال والانقياد][١].

(١) الباجوري، شرح جوهرة التوحيد، الصفحة ٧٤ و٧٥.

[معنى الإسلام في اللغة: الإسلام والاستسلام: الانقياد.

والإسلام في الشريعة: إظهار الخضوع وإظهار الشريعة والتزام ما أتى به النبي ﷺ][1].

[الإسلام: إظهار الخضوع والقبول لما أتى به محمد ﷺ.

والدين الذي جاء به محمد ﷺ][2].

فالإسلام هو الدين الذي ختم الله به الشرائع، وجعله نظاماً كاملاً شاملاً لجميع نواحي الحياة، ليس فيه، نقص ولا يحتاج إلى زيادة. قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقد قصد الباحث في العنوان (منهج الإسلام):

المنهج الذي يستوحي مادته من الإسلام، بمصدريه الأساسيين القرآن والسنة، إضافة لما ورد عن السلف في ذلك وهذا طريق أهل السنة والجماعة.

أولاً القرآن الكريم: وهو كلام الله سبحانه وتعالى وهو:

[كلام الله المعجز، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين، بواسطة

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، تحقيق علي شيري، المجلد السادس، دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى، الصفحة ٣٤٤.

(٢) د. ابراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، الجزء الأول، مرجع سابق، الصفحة ٤٤٦.

الأمين جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس][1].

والقرآن الكريم دستور المسلمين وقانونهم، ومصدر تشريعهم، ومنهج حياتهم، وفيه سعادتهم في الدنيا والآخرة.

ثانياً ـ السنّة: معنى السنة في اللغة: [السيرة حسنة كانت أو قبيحة][2].

ومن هذا المعنى قوله ﷺ:

«من سنّ في الإسلام سنة حسنة فعُمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعُمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء»[3].

وحديث:

«لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى ولو دخلوا جحر ضب تبعتموهم»[4].

---

(١) انظر الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تحقيق أبي مصعب محمد سعيد البدري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، الصفحة ٦٢. وانظر الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، الصفحة ٢٢٨.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، المجلد السادس، الصفحة ٣٩٩.

(٣) أخرجه مسلم عن جرير بن عبد الله البجلي، الجزء الرابع، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، الصفحة ٢٠٥٩، رقم الحديث ٢٦٧٢.

(٤) أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري، الجزء السادس، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، الصفحة ٢٦٦٩، رقم الحديث ٦٨٨٩. =

[وهي في اصطلاح المحدثين: ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية أو خُلقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها، وهي بهذا ترادف الحديث عند بعضهم، وفي اصطلاح الأصوليين: ما نقل عن النبي ﷺ من قول أوفعل أو تقرير][1].

ولقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم هداية مبينة خالدة، تقود البشر كافة إلى سبيل السعادة في الدارين، وجعله معجزة خاصة لسيدنا محمد ﷺ عبده ورسوله، باهرة باقية، وأعطاه السنة مفصلة للكتاب، شارحة له، مبينة لأحكامه وتعاليمه، كما قال عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وكما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

وعليه فإن السنة النبوية الصحيحة، قولاً وفعلاً وتقريراً، أصل أساسي ثابت من أصول الدين، يأتي مباشرةً بعد كتاب الله تعالى، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي تكفل الله بحفظه أبد الدهر.

وقد ألزمنا الله عز وجل بإتباع سنة رسوله سيدنا محمد ﷺ، وقرن طاعة الرسول بطاعته تعالى، وأوجب علينا العمل بها والتقيد بأحكامها،

= وأخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري، الجزء الرابع، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، الصفحة ٢٠٥٤، رقم الحديث ٢٦٦٩.

(١) انظر الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، مرجع سابق، الصفحة ٦٧.

وانظر الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، مرجع سابق، الصفحة ٢٤١.

ومراعاة ما أحلت وحرمت، وما أمرت به، ونهت عنه، وذلك حتى تكتمل هدايتنا وإيماننا، وتصح عقائدنا وعبادتنا، وتطهر أنفسنا وأبداننا، وتسمو أخلاقنا وسلوكنا.

قال المولى سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

وقال أيضاً: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾

[محمد: ٣٣].

ويقول سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

ويقول عز وجل: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

[الأحزاب: ٧١].

ويقول سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾

[النور: ٥٤].

وأكد رسول الله ﷺ لنا وجوب اتباع سنته المباركة حتى يكتمل إيماننا وتصح عقيدتنا، وتسلم عقولنا من الزيغ، وقلوبنا من الضلالة وأنفسنا من الانحراف.

قال رسول الله ﷺ في خطبة حجة الوداع:

«**وقد تركت فيكم ما أن اعتصمتم به، فلن تضلوا أبداً، كتاب الله، وسنة نبيه**»(١).

«وعن العِرْبَاض بن سَارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ يوماً، بعد صلاة الغداة موعظةً بليغةً، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجلٌ: إن هذه موعظة مودعٍ، فبماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: **أوصيكم بتقوى الله، والسمعِ والطاعة، وإن عبدٌ حبشيٌ، فإنه من يعش منكم ير اختلافاً كثيراً، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم، فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ**»(٢).

«قال عبد الله بن مسعود: إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها و(إن ما توعدون لآتٍ وما أنتم بمعجزين)»(٣).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟**

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، الجزء الخامس، باب ما جاء في نعي النبي نفسه في حجة الوداع، الصفحة ٤٤٩.

(٢) أخرجه الترمذي، الجزء السابع، أبواب العلم، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، الصفحة ٣١٩، رقم الحديث ٢٦٧٨،
وأبو داود في سننه، المجلد الرابع، باب في لزوم السنة، الصفحة ٢٠١، رقم الحديث ٤٦٠٧.

(٣) أخرجه البخاري، الجزء السادس، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله، الصفحة ٢٦٥٥، رقم الحديث ٦٨٤٩.

قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»(١).

ومما سبق نجد أن [الله تعالى هو صاحب هذا المنهج . . .

أما الرسول ﷺ فهو الداعي إلى هذا المنهج أو هذا الصراط، المبين للناس ما اشتبه عليهم من أمره.

يقول الله تعالى مخاطباً رسوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٥-١٦].

ويقول: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١-٤].

ومن تدبر القرآن وجد الرسول ﷺ فيه مجرد عبد مأمور، تخاطبه سلطة أعلى منه، محيطة به، قادرة عليه، تملك عتابه ولومه إذا اجتهد فأخطأ في بعض الأمور كما في قصة ابن أم مكتوم، وأسرى بدر، والمنافقين المتخلفين في غزوة تبوك، وزينب بنت جحش، وغيرها.

فالحقيقة أن القرآن هو كلام الله وحده وتنزيل رب العالمين.

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء السادس، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله، الصفحة ٢٦٥٥، رقم الحديث ٦٨٥١.

فليس لمحمد ﷺ من هذا القرآن إلا التلقي والحفظ. يقول الله تعالى: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦].

ثم التبليغ والدعوة: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾

[المائدة: ٦٧].

ثم التفسير والبيان: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

والسنة التي بينت القرآن، هي نفسها وحي إلهي، ولكنه وحي غير متلو ولا معجز كالقرآن الكريم وما جاء في هذه السنة عن طريق الاجتهاد، فإن الله تعالى لا يقره على الخطأ فيه، بل ينزل الوحي مصححاً ومصوباً، أو مثبتاً ومؤكداً][١].

وأما أهل السلف الذي يعتمد المؤلف على أقوالهم في تفسير ما جاء في القرآن والسنة في موضوع العقيدة، فهم من ذكرهم رسول الله ﷺ في حديثه:

«خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»[٢].

[والمعنى الاصطلاحي المستقر لهذه الكلمة، هو القرون الثلاثة

---

(١) د.يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م، الصفحة ٣٧ ـ ٣٨.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الثالث، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، الصفحة ١٣٣٥، رقم الحديث ٣٤٥١.

الأولى من عمر هذه الأمة الإسلامية وقرنه ﷺ الصحابة والثاني التابعون والثالث تابعوهم][1].

ومما لاشك فيه أن سبب هذه الخيرة، لأهل تلك القرون الأولى الثلاثة من المسلمين أنهم الرعيل الأول القريبون من ينبوع النبوة وتعاليم الرسالة، فالحلقة الأولى منها مظهر لذلك الرعيل الأول الذي تلقى أفراده عقائد الإسلام ومبادئه، من رسول الله ﷺ مباشرةً، واستقرت أحكامه وآدابه الربانية في عقولهم، وأفئدتهم صافية من شوائب الابتداع، وكدورات الوساوس والأوهام.

والحلقة الثانية والثالثة التي تمثل التابعين، وتابعيهم، فهم الذين غمرهم ضياء النبوة باتباعهم لأصحاب رسول الله، والاهتداء بهديهم، والنيل من إشراقا تهم التي اكتسبوها من رؤية رسول الله ﷺ، ومجالسته والتأثر بوصاياه ونصائحه.

وأخيراً فإن الباحث جعل أساس مادة بحثه، من مصدرين أساسيين للعقيدة: القرآن الكريم، والسنة النبوية، وبذلك فقد أخذ من النبع الصافي، الذي يتصف بالثبات والاستقرار، مع الأخذ بأقوال أهل السلف التي تفسر الآيات والأحاديث مبتعداً عن الآراء المذهبية المختلفة أو الفلسفات الكلامية في هذا الموضوع.

ويمتاز الإسلام ـ وهو المرجع الوحيد للمنهج الذي اختاره الباحث ـ بعدة خصائص عامة[2]، أهمها ما يلي:

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، المجلد الثامن، الجزء السادس عشر، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الصفحة ٨٥.

(٢) انظر د. يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، مرجع سابق.

١ـ الربانية :

أـ ربانية الغاية والوجهة: أي أن الإسلام يجعل غايته الأخيرة وهدفه البعيد هو حسن الصلة بالله، والحصول على مرضاته.

ب ـ ربانية المصدر والمنهج: أي المنهج الذي رسمه الإسلام للوصول إلى غايته وأهدافه، منهج رباني خالص، لأن مصدره وحي الله تعالى إلى خاتم رسله محمد ﷺ.

وميزة الإسلام بين المناهج القائمة في العالم:

أن الإسلام هو المنهج، أو المذهب، أو النظام الوحيد في العالم، الذي مصدره كلمات الله وحدها، غير محرفة ولا مبدلة ولا مخلوطة بأوهام البشر، وأغلاطهم وانحرافاتهم.

والإسلام هو المنهج الفذ، الذي سلم مصدره من تدخل البشر، وتحريفهم، ذلك أن الله تعالى تولى حفظ كتابه ودستوره الأساسي بنفسه، وهو القرآن المجيد، وأعلن ذلك لنبيه ولأمته.

فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

٢ـ الإنسانية :

الإسلام يمتاز بنزعته الإنسانية الواضحة الثابتة الأصيلة في معتقداته وعباداته، وتشريعاته، وتوجيهاته، إنه الدين الذي اختاره الله للإنسان، ذاك الذي كرمه الله باستخلافه في الأرض، وخلقه في أحسن تقويم، وسخر له الكون وأعطاه حقوقه كاملة، وأرسل إليه الأنبياء والرسل ليبينوا له طريق الخير والسعادة في الدنيا والآخرة.

٣ـ الشمول:

يمتاز الإسلام بالشمول: إنه شمول يستوعب الزمن كله، ويستوعب الحياة كلها، ويستوعب كيان الإنسان كله.

١ـ إنه شمول يستوعب الزمن كله، فالإسلام رسالة لكل الأزمنة والأجيال، فهو بلا شك رسالة المستقبل المديد، كما كان رسالة الماضي البعيد.

٢ـ شمول يستوعب المكان كله، فرسالة الإسلام غير محدودة بمكان ولا بأمة ولا بشعب ولا بطبقة.

٣ـ شمول يستوعب كيان الإنسان كله، من حيث هو إنسان متكامل في روحه وعقله، وجسمه، وضميره، وإرادته، ووجدانه.

٤ـ الوسطية:

ويعبر عنها بالتوازن بين طرفين متقابلين أو متضاديين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، ويطرد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله ويحيق به.

الوسطية (بين الروح والمادة، الفرد والجماعة، الواقع والمثالي، الثبات والتغير، وما شابه ذلك).

ومعنى التوازن بينها أن يفسح لكل طرف منها مجاله، ويعطى حقه بالقسط، بلا ركس ولاشطط، ولا غلو ولا تقصير، ولا طغيان ولا إخسار.

٥ـ الواقعية:

أي مراعاة واقع الكون من حيث هو حقيقة واقعية، ووجود شاهد، ولكنه يدل على حقيقة أكبر منه، وجود أسبق وأبقى من وجوده، وهو وجود الواجب لذاته، وهو وجود الله الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً.

وكذلك مراعاة واقع الحياة، من حيث هي مرحلة حافلة بالخير والشر، وتنتهي بالموت، وتمهد لحياة أخرى بعد الموت، توفى كل نفس ما كسبت وتخلد فيما عملت.

٦ـ الوضوح:

من الخصائص العامة للإسلام الوضوح، سواء فيما يتعلق بالأصول والقواعد، أم بالمصادر والمنابع، أم بالمناهج والوسائل.

وأخيراً فإن المنهج الإسلامي الذي حاول الباحث إظهاره، والكشف عنه، يتصف بصفات الإسلام السابقة فهو يتصف [بالربانية والإنسانية والشمول والوسطية والواقعية والوضوح].

ثالثاً ـ التربية:

[الرب في الأصل: التربية ـ وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام، يقال: ربَّه، وربَّاه، ورببه. وقيل: لأن يَرُبَّني رجل من قريش، أحب إلي من أن يَرُبَّني رجل من هوازن][1].

---

(١) الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، الصفحة ٢٦٩.

[رَبَّ: الولد ـ رَبًّا: وليه وتعهده بما يغذيه وينميه ويؤدبه][1].

[وإذا رجعنا إلى معاجم اللغة العربية، وجدنا لكلمة التربية أصولاً لغوية ثلاث:

الأصل الأول: ربا يربو، بمعنى زاد ونما، وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ ﴾ [الروم: ٣٩].

الأصل الثاني: ربِي، يَربَى، على وزن خفي يخفى، ومعناها نشأ وترعرع، وعليه قول ابن الأعرابي: فمن يك سائلاً عني فإني بمكةَ منزلي وبها رَبيتُ.

الأصل الثالث: رَبَّ، يَرُ بُّ، بوزن مَدَّ يَمُدُّ: بمعنى أصلحه، وتولى أمره، وساسه وقام عليه ورعاه][2].

[وتدور حكمة التربية في اللغة، حول تنشئة الطفل مادياً، بتغذيته ورعايته جسمياً وعقلياً، وبتزويده من ضروب المعرفة الإنسانية والثقافية البشرية، وتغذيته روحياً بتزويده بما يهذب نفسه ويزكيها ويسمو بها، وقد وردت الكلمة في معانيها اللغوية بمعنى الرعاية والزيادة والإصلاح والنشأة والنماء والكمال][3].

---

(١) د. ابراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق، الجزء الأول، الصفحة ٣٢١.

(٢) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، مرجع سابق، الصفحة ١٢، (انظر ابن منظور، لسان العرب، المجلد الخامس، الصفحة ١٢٨، والفيروز آبادي، القاموس المحيط، المجلد الرابع، الصفحة ٣٣٤).

(٣) د.عباس محجوب، أصول الفكر التربوي في الإسلام، مؤسسة علوم القرآن، عجمان، الإمارات العربية المتحدة، دار ابن كثير، دمشق، بيروت=

مما سبق، يمكن القول بأن التربية عملية بناء الطفل شيئاً فشيئاً إلى حد التمام والكمال.

[والتربية أعم من التعليم وأشمل، وأوسع من التدريب وأرقى، ولذلك فالتعليم جزء من التربية والتدريب وجه من وجوهها][1].

هذا بالنسبة لمفهوم التربية بشكل عام.

أما المقصود بالتربية الإسلامية فهي:

[تنمية فكر الإنسان، وتنظيم سلوكه وعواطفه على أساس الدين الإسلامي، وبقصد تحقيق أهداف الإسلام في حياة الفرد والجماعة، أي في كل مجالات الحياة][2].

والتربية الإسلامية ذات طابع شمولي تكاملي لجميع جوانب الشخصية: [الروحية والعقلية والوجدانية والأخلاقية والجسمية والاجتماعية والإنسانية] وفق معيار الاعتدال والاتزان، فلا إفراط في جانب دون غيره، ولا تفريط في جانب لحساب آخر.

والتربية الإسلامية تحمل صفة الاستمرار فهي مستمرة تبدأ ببداية الحياة وتنتهي بنهايتها، وهي مستمرة، تنتقل من جيل إلى جيل في المجتمع، ومن جماعة إلى جماعة في الوطن ومن أمة إلى أمة في الإنسانية.

= الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، الصفحة ١٥.

(١) د. فاخر عاقل، معالم التربية، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، الصفحة ٥١.

(٢) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، مرجع سابق، الصفحة ٢٦.

وأخيراً فإن الباحث قصد بكلمة التربية في عنوان رسالته، التربية الإسلامية بمفهومها السابق ومن جانب واحد فقط وهو جانب العقيدة.

رابعاً ـ العقيدة:

[معنى العقيدة في اللغة: هي ما عقد عليه القلب والضمير، أو هي ما تدين به الإنسان واعتقده، والاعتقاد هو الإيمان المطابق للواقع، الثابت بدليل][(١)].

[(العَقِيدَة): الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدي معتقده.

وفي الدين: ما يقصد به الاعتقاد دون العمل، كعقيدة وجود الله وبعثه الرسل.

(ج): عقائد][(٢)].

[والعقيدة من مادة عقد، وهي في اللغة مدارها على اللزوم والتأكد والاستيثاق. قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ [المائدة: ٨٩].

فكلمة عقد تأتي بمعنى وثق، ومنه اعتقد بمعنى صدق واستوثق.

اعتقد كذا أي صدق به، مثل اعتقد فلان الأمر إذا آمن به وعقد عليه قلبه.

---

(١) محمد علي الفاروقي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق د.لطفي عبد البديع، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢، الجزء الرابع، الصفحة ٩٥٤.

(٢) د.ابراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق، الجزء الثاني، الصفحة ٦١٤.

فالعقائد هي الأمور التي تصدق إليها النفوس، وتطمئن، إليها القلوب، وتكون يقيناً عند أصحابها، لا يمازجها ريب ولا يخالطها شك][1] والعقيدة في الاصطلاح:

[هي نظرة الإسلام العامة إلى الوجود، وتصوره الشامل له، أو هي ذلك التصور الكلي اليقيني الشامل عن الحقائق الكبرى التي دعا الإسلام إلى الإيمان بها دعوة ملحة][2].

[والعقيدة الإسلامية هي مجموعة من قضايا الحق البدهية، المسلمة بالعقل، والسمع، والفطرة، يعقد عليها الإنسان قلبه، ويثني عليها صدره جازماً بصحتها، قاطعاً بوجودها وثبوتها، لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبداً][3].

[العقيدة: هي التصديق بالشيء والجزم به دون شك أو ريبة، فهي بمعنى الإيمان، ويقال: اعتقد في كذا أي آمن به.

والإيمان بمعنى التصديق يقال: آمن بالشيء أي صدق به تصديقاً لا ريب فيه ولا شك معه][4].

والعقيدة لفظ مولد مستحدث: لا نعثر عليه في الكتب القديمة، وإنما

---

(١) عطية محمد عطية وآخرون، العقيدة الإسلامية، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان الأردن الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، الصفحة١١.

(٢) المرجع نفسه، الصفحة ١٢.

(٣) جابر الجزائري، عقيدة المؤمن، مؤسسة جمال، بيروت لبنان، الصفحة ٢٣.

(٤) السيد سابق، العقائد الإسلامية، دار النصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م، الصفحة ٨.

ظهر هذا اللفظ في الدراسات الحديثة. وتستعمل مفرداً وجمعاً على عقائد.

والعقائد هي الأفكار التي يؤمن بها الإنسان، ويصدر عنها في تصرفاته وسلوكه.

وتطلق العقائد الإسلامية على أركان الإيمان الستة وما يتفرع عنها.

أولاً ـ الإيمان بالله، وصفاته العليا، وأسمائه الحسنى.

ثانياً ـ الإيمان بالملائكة.

ثالثاً ـ الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على رسله.

رابعاً ـ الإيمان بالأنبياء والرسل الذين اختارهم الله سبحانه، ليكونوا أعلام الهدى، وقادة الخلق إلى الحق.

خامساً ـ الإيمان باليوم الآخر، وما فيه من بعث وجزاء، وثوابٍ وعقاب، وجنة ونار.

سادساً ـ الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره.

وأخيراً فهذا ما قصده الباحث في موضوع العقيدة، أي العقيدة الإسلامية بأركانها الستة وما يتفرع عنها ضمن مفهوم القرآن الكريم والسنة المطهرة، وتفسير السلف، ومذهب أهل السنة والجماعة.

خامساً ـ الناشيء:

التعريف اللغوي:

[النشء والنشأة: إحداث الشيء وتربيته.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٢].

يقال: نشأ فلان.

والناشىء: يراد به الشاب.

والإنشاء: إيجاد الشيء وتربيته.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴾ [الملك: ٢٣] [(١)].

[نشأ الصبي: ينشأ، فهو ناشىء، إذا كبر وشب ولم يتكامل] [(٢)].

[الناشىء: الغلام والجارية جاوزا حد الصغر. ج: نشء، ويحرك] [(٣)].

[(نَشَأَ) الشيء ـ نشئاً، ونشوءاً، ونَشْأَةً: حدث وتجدد.

والصبي: شَب ونما. يقال: نشأ فلان نشأةً حسنة.

[أَنْشَأَ] يفعل كذا: شرع أو جعل. وأنشأ الصبي: رباه. يقال: أُنشِىء في النعيم.

وفي التنزيل العزيز: ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [الزخرف: ١٨].

[الناشئة]: الصغار من الحيوان والإنسان ماداموا في طور التعليم.

(ج) نشأُ.

[النشأة]: الإيجاد والتربية وفي التنزيل العزيز:

---

(١) الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، الصفحة ٧٥٢.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، المجلد ١٤، الصفحة ١٣٤.

(٣) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، باب حرف الهمزة فصل النون، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م، الصفحة ٦٨.

﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٢][١].

وقد ورد في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله:

«شاب نشأ في عبادة الله»[٢].

أي كبر وشب وترعرع في عبادة الله، وطاعته ومحبته.

مما سبق، فإن الباحث قصد بالناشىء، ذلك الطفل الذي يُستعد لتربية عقيدته:

أولاً: قبل ولادته بالاختيار الصحيح بين الزوج والزوجة، كما وجه إلى ذلك الإسلام الحنيف.

وثانياً: باللقاء الزوجي الشرعي الإسلامي، الذي سيكون منه هذا الناشىء.

وثالثاً: بالعناية به وهو جنين.

ورابعاً: بالأخذ بتعاليم العقيدة الإسلامية بعد ولادته إلى الحولين من عمره.

وخامساً: بتربية العقيدة الإسلامية الصحيحة، في أعماقه وقلبه وسلوكه حتى سن بلوغه، وإذ أن فترة التحضير للتنشئة والتربية تكون قبل ولادة الطفل وأن:

[فترة التنشئة والتربية، تواكب الطفل من ولادته وتنتهي بتكوين عناصر

---

(١) د.إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق، الجزء الثاني، الصفحة ٩٢٠.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء السادس، كتاب المحاربين، باب فضل من ترك الفواحش، الصفحة ٢٤٩٦، رقم الحديث ٦٤٢١.

الشخصية ثم تبدأ بعدها مرحلة تثمر فيها تلك التربية ثمرتها في نفس الفرد والمجتمع وهي المرحلة المعروفة في الشرع بالتكليف، والتي يتحمل فيها الفرد مسؤوليته، ويحاسب فيها على كل ما قدمت يداه][1].

لذلك اختار الباحث هذه المرحلة وهي المرحلة الأهم، بل هي المرحلة الأولى والأساس في تربية الإنسان تربيةً صحيحة، ترفع من شأنه وشأن أسرته وأمته، وهي المرحلة الخطرة إذا ما أهملت عادت بالويلات على الأسرة والمجتمع والوطن والإنسانية.

وأخيراً:

ومما سبق في تعريف عنوان البحث نجد أن الباحث قد اختار موضوعاً تفرد في البحث فيه عما كتب قديماً وحديثاً في موضوعي العقيدة والتربية.

وقد رسم الطريق من مصدري الإسلام (القرآن والسنة).

من أجل تربية وتنشئة الأجيال الصاعدة من ناحية العقيدة الراسخة الصحيحة، كما وردت في القرآن الكريم، وكما شرحها النبي الكريم، وفسرها السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وبما يتناسب مع الفترة الأولى من عمر الإنسان، فترة التنشئة، طريقة وأسلوباً، وشرحاً، وتفهماً، ودون استطراد أو جلب لآراء الفلاسفة وعلماء الكلام، أو إيراد للخلافات السياسية والمذهبية المتعددة، أو إتيان بالحجج والبراهين العلمية والحديثة المعقدة، التي قد لا تتناسب مع هذه الفترة من العمر.

سائلاً من الله القبول.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) محمود محمد عمارة، أولادنا، دار الخير، الطبعة الأولى، بيروت ـ دمشق ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢م، الصفحة ١٣.

الباب الأول
العقيدة الإسلامية

الفصل الأول: علوم العقيدة الإسلامية

الفصل الثاني: مميزات العقيدة الإسلامية

الفصل الثالث: أهمية العقيدة وثمارها

الفصل الأول

علوم العقيدة الإسلامية

الإسلام دين الله إلى عباده، رسم لهم فيه طريق السعادة في الدنيا والآخرة، وذلك عن طريق القرآن الكريم، وسنة نبيه المصطفى ﷺ.

وبما أنّ الله سبحانه وتعالى مشرّع هذا الدين، وهو خالق هذا الكون وما فيه، وهو الخبير بمصالح عباده، وطريق سعادتهم، وهو الرحيم بهم، فقد كان هذا الدين ديناً كاملاً شاملاً، ليس فيه نقص، ولا يحتاج إلى زيادة، يعالج جميع قضايا الحياة، ويرشد الناس إلى طريق النجاة

قد أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله المصطفى ﷺ ليبلغ الناس رسالة الإسلام، وليقوم على تربيتهم، التربية الإسلامية المتكاملة، وكان ﷺ القدوة الحسنة لهم، والمثل الأعلى في كل شيء، فكان نتاج تلك التربية الصحابة الكرام، حيث نقلهم الرسول ﷺ بهذه التربية الإسلامية المتكاملة من الجهالة إلى العلم، ومن الفقر إلى الغنى، ومن الفرقة إلى الوحدة. ومن الذل إلى العز، ومن الشقاء إلى السعادة، ومن الظلام إلى النور، ومن الضلالة إلى الهدى، فكانوا بذلك خير أمّة أخرجت للناس.

وكانت هذه التربية تربيةً متكاملة من جميع نواحي الحياة الدينية

والدنيوية والأخروية، ومن ثم فقد أصبح المسلم منهم مسلماً متكاملاً من جميع جوانب الحياة.

ومع مرور الزمن والأيام، واتساع رقعة الإسلام، ومع الاختلاط بالأمم والشعوب الأخرى من البلاد المفتوحة، وانتشار الإسلام فيها، انتشر العلم، وتوسعت الثقافة، وظهر العلماء في كل مكان، وانتشر التأليف والكتابة. فظهر التخصص في العلوم، وأصبحت التربية الإسلامية المتكاملة ذات علوم متعددة ومتطورة، منها: القرآن الكريم، والسيرة النبوية، والحديث الشريف، والفقه وغير ذلك. بل وظهرت تفرعاتٌ وتخصصات أدق في تلك العلوم، وظهرت علوم القرآن المتنوعة، كالتفسير، والمكي والمدني، والمبهم والمتشابه، والقراءات والقراء، وغير ذلك... وظهرت علوم الحديث المتعددة، كعلم مصطلح الحديث، وعلم الجرح والتعديل، وعلوم أخرى [أوصلها النووي في التقريب إلى خمس وستين علماً][(١)].

ومن هذه التفرعات الكثيرة، والتخصصات المتعددة في العلوم الإسلامية، ظهر علم يتعلق بالإيمان وأركانه، وما يتفرع عنه، سمي بعدة أسماء حسب طرق مواضيعه، والأسلوب المتبع في ذلك، من هذه الأسماء:

١ـ **الإيمان**: لأن الإيمان وما يتفرع عنه من الأركان، هو أصل هذا العلم ومادته، وعلى هذا المذهب في التسمية: (كتاب الإيمان) للحافظ ابن منده المتوفى ٥٩٣ هجرية.

---

(١) انظر كتاب د.مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتبة الإسلامية بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥ م، الصفحة ١١٣.

٢ـ **علم العقيدة**: لأن العقيدة تمثل قاعدة الإيمان وأصله، وتبين ما يجب على المسلم أن يعتقده بكل ما يتعلق بأركان الإيمان، ومن الكتب المؤلفة في ذلك (كتاب العقيدة النظامية) لعبد الملك الجويني.

٣ـ **الفقه الأكبر**: هذه التسمية للإمام أبي حنيفة، لأنه يرى أن الإيمان هو أعظم مواضيع الفقه الديني وأجلها قدراً، وبها سمى كتابه المشهور، وهو أول ما ألف في هذا الباب.

٤ـ **أصول الدين**: سمي بذلك لأنه يبحث في أركان الدين، وأعظم مبادئه، وأول أهدافه وغاياته وهو الإيمان، ولأن بقية أحكام الدين فروع له، ومبنية عليه، (ككتاب أصول الدين) للإمام أبي منصور التميمي البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩هـ.

٥ـ **علم التوحيد**: وسمي بذلك لأن منطلق الإيمان، وأساسه، وسره، وجوهره هو التوحيد المطلق لله تعالى، الذي أمر القرآن به في قوله:
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ـ٤].

ومن كتب التوحيد، (كتاب التوحيد) تأليف أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي.

٦ـ **علم الكلام**: [وهو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة، وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد][(١)].

فغاية علماء الكلام إثبات العقيدة الإسلامية، وما يتعلق بها من

---

(١) مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، الطبعة الرابعة، الفصل العاشر علم الكلام، الصفحة ٤٥٨.

مواضيع مختلفة عن طريق الفلسفة، والأدلة العقلية للدفاع عن الإسلام، والرد على الآراء الفلسفية التي ظهرت في ذلك الحين، ونتج عنها ظهور الفرق الإسلامية المتعددة والمذاهب الكلامية الكثيرة.

ومن أهم كتب علم الكلام (كتاب المواقف في علم الكلام) تأليف عبد الرحمن بن أحمد الإيجي.

ولقد كتب العلماء قديماً وحديثاً، كتباً كثيرة جداً في موضوع العقيدة الإسلامية بأسماء مختلفة، وأساليب متنوعة، ولأننا بصدد الحديث عن منهج موجه للناشئة، فلنا أن نسأل: هل هذا الكم الهائل، وهذه الكثرة من التراث الكلامي، هو في صالح العملية التربوية الموجهة إلى عقيدة الناشىء والمسلم؟ وهل من مصلحة المربي والمعلم، أن يبسط بين يدي تلامذته ومن يربيهم هذا الكم، إن هو أراد أن يرتقي بعقيدة أولئك الناشئة، الذين جعل الله مسؤوليتهم أمانة في عنقه؟.

لقد أجاب ابن خلدون قديماً على هذا السؤال في مقدمته، فقال في الفصل السابع والعشرين تحت عنوان (كثرة التآليف في العلوم عائقة عن التحصيل):

[اعلم أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته، كثرة التآليف، واختلاف الاصطلاحات في التعاليم، وتعدد طرقها، ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك، وحينئذ يسلم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها، أو أكثرها، ومراعاة طرقها، ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرد لها فيقع القصور، ولابد دون رتبة التحصيل](١).

---

(١) مقدمة ابن خلدون، المرجع السابق، الصفحة ٥٣١.

مما سبق، نلاحظ أن كثرة التأليف في موضوع واحد، وبأشكال متعددة، وأساليب مختلفة، قد لا تفيد المتعلم فقد يضل الطريق، خاصة إذا تعددت الآراء، واختلفت المذاهب كما هو في موضوع العقيدة.

ولذلك فإن الطريق الأسلم والأقصر والأخصر، أن يُغَربَل هذا التراث بغربال الواقعية والموضوعية، فيُمسَك ما أمسكه الكتاب والسنة، وما تمسك به الصحابة والتابعون وتابعوهم، ثم تُقتبس الأدلة المنطقية والحجج العقلية والنظريات العلمية التي تناسب العصر الذي يعيش فيه، وترد وبشكل منطقي، وبأسلوب علمي، على الآراء المخالفة والمذاهب والأفكار الحديثة المطروحة.

أما الناشىء قبل سن البلوغ، فلا بد له في موضوع العقيدة من كتاب يضع بين يديه منهج الإسلام في تربية العقيدة الصحيحة، معتمداً على القرآن والسنة المطهرة، وما ورد عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وبأسلوب يتناسب مع قدراته وإمكاناته العقلية، وواقعه الذي يعيش فيه، ولابد من مربٍ يعلمه ويربيه على ذلك ويشرف عليه، وخير المربين وأحقهم بالتربية: الوالدان والدعاة المختصون المخلصون.

* * *

الفصل الثاني

مميزات العقيدة الإسلامية

تمتاز العقيدة الإسلامية بخصائص ذاتية كثيرة تميزها عن العقائد الدينية الأخرى، من أبرزها ما يلي[1]:

١ـ عقيدة ربانية:

آ- **في مصدرها ومنهجها**: كونها نابعة من القرآن الكريم، والسنة المطهرة.

ب - **في غايتها ووجهتها المرجوة**: وهي (إلهي أنت مقصودي، ورضاك مطلوبي).

٢ـ عقيدة الفطرة:

فهي عقيدة نابعة من الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فهي ليست

---

(١) انظر كتاب د. يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، مرجع سابق.
وكتاب د. عطية محمد عطية وآخرون، العقيدة الإسلامية، مرجع سابق.
وكتاب د. محمد الزحيلي، مرجع العلوم الإسلامية، مرجع سابق.

غريبة عن الفطرة، ولا مناقضة لها، بل تتناسب وتتمشى مع رغباتها وحاجاتها وسلوكها وقد ذكر ذلك بصريح القرآن الكريم: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

وفي صريح الحديث النبوي:

روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء(١).

ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه:

فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم»(٢).

٣ـ عقيدة واضحة بسيطة:

لأن العقيدة الإسلامية على جلالها وعمق أثرها، هي عقيدة واضحة بسيطة، لا تعقيد فيها ولا غموض أو طلاسم أو خرافات.

---

(١) جدعاء: مقطوعة الأذن أو الأنف أو غير ذلك أي أن الناس يفعلون بها ذلك فكذلك يفعلون بالمولود الذي يولد على الفطرة السليمة (انظر صحيح البخاري تحقيق د. البغا، الصفحة ٤٦٥).

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الأول، في كتاب الجنائز، باب إذا سلم الصبي فمات، الصفحة ٤٥٦، رقم الحديث ١٣٩٢.
وأخرجه مسلم، الجزء الرابع، في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، الصفحة ٢٠٤٧، رقم الحديث ٢٦٥٨.

وتتلخص في أن لهذا العالم البديع المحكم ربا واحداً، خلقه ونظمه، وقدر كل شيء فيه تقديراً، وهذا الإله ليس له شريك ولا شبيه، ولا صاحبة ولا ولد. قال تعالى: ﴿ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ [البقرة: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

وكل موضوعات العقيدة أيضاً، فيها الوضوح والبساطة في طرحها وفي حقائقها.

٤ـ عقيدة مقبولة عقلاً:

فالعقيدة الإسلامية تتفق مع العقل كقوة واعية، مدركة للحقائق، فهي تنظر إلى العقل كمحل للخطاب، ومناط للتكليف، وأداة للكشف والنظر والتدبر في الكون، وما فيه من عجائب ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

٥ـ عقيدة مبرهنة:

لا تكتفي من تقرير قضاياها بالإلزام المجرد، والتكليف الصارم، بل تأتي بالبرهان وتطالب به: ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١].

وهي لا تكتفي بمخاطبة العقل والوجدان، والاعتماد عليها أساساً للاعتقاد، بل تتبع قضاياها بالحجة الدامغة، والبرهان الناصع، والتعليل الواضح.

٦ـ عقيدة واقعية:

لأنها تصف حقائق قائمة في الوجود، لا أوهام متخيلة في العقول، حقائق يقبلها العقل، وتستريح إليها النفس، وتستجيب لها الفطرة السليمة، وهي واقعية تلتقي مع واقع الحياة، ومنطق الأمور، وطبيعة الكون وحقيقة الإنسان، فالعقيدة الإسلامية تدعو إلى الإيمان بالله، الذي دل على نفسه بآياته التكوينية، وآياته التنزيلية، مما أوحى به إلى رسله.

وتدعو أيضا إلى حقائق واقعية (الإيمان بالملائكة، والكتب المنزلة، والرسل، واليوم الأخر والقضاء والقدر).

٧ـ عقيدة إنسانية:

العقيدة الإسلامية في مجملها عقيدة إنسانية، تهتم بالإنسان على أنه محور وجودها، والمقصود بها أولاً وأخيراً، وهو الهدف والغاية، وتنظر إليه كإنسان في جميع مراحل حياته، ومن ثم فهو سيد هذا الكوكب الأرضي، وأن كل ما في الأرض والسموات مخلوق لأجله، ومسخر له، وهو محل التكريم الإلهي، والتفضل على سائر المخلوقات.

٨ـ عقيدة متوازنة:

العقيدة الإسلامية عقيدة تقيم التوازن بين الدنيا والآخرة، وبين الفرد والمجتمع، وبين الروح والمادة، وبين العقل والقلب، وبين حاجات الإنسان وغرائزه الجسدية وبين تطلعه الفكري وتأمله الروحي.

٩ـ عقيدة شاملة:

شملت المادة والروح، وشملت العقل والوجدان والقلب، وشملت كل القضايا الكبرى في هذا الوجود (الله ـ الكون ـ الإنسان ـ الحياة)، وشملت كل الاعتقادات (الله، والملائكة، والكتب المنزلة، والرسل، واليوم الآخر، والقضاء والقدر).

١٠ـ عقيدة ثابتة:

فالعقيدة الإسلامية عقيدة ثابتة، محددة لا تقبل الزيادة أو النقصان، ولا التحريف ولا التبديل، وعلى هذا فكل البدع والأساطير، والخرافات التي دست في بعض كتب المسلمين، أو أشيعت بين عامتهم، باطلة مردودة لا يقرها الإسلام، ولا تنهض بها حجة عليه.

١١ـ عقيدة متسامحة:

تمتاز العقيدة الإسلامية بتربية أفرادها على التسامح فيما بينهم، والتسامح مع غيرهم، وتمقت التعصب وتمنع الفوارق العرقية، والجنسية، واللغوية، والمادية، والدينية، وتحارب العنصرية، وتدعو إلى وحدة الشعوب والأمم، وتعترف بجميع الأنبياء والمرسلين، وأن الله تعالى رب للجميع، وأن الحساب يشمل الكل.

١٢ـ عقيدة إيجابية فعالة:

تدعو الإنسان فردا وجماعة للعمل وفق ما سنه الله الخالق للكون والحياة.

ولما طبقت هذه العقيدة، أنتجت حضارة علمية وتجارية وزراعية، وعمرت العالم بعد أن كان على شفا الانهيار والخراب، وارتفعت بالإنسان إلى مراتب لم تحلم بها البشرية من قبل.

١٣ـ عقيدة صالحة للبقاء:

لكونها تستند إلى أسس وقواعد ودعائم خالدة لا تتأثر بالأعاصير، وتقَلُّب الأيام والسنين، فلا تنال منها تيارات وافدة، ولا تحط من شأنها فلسفات إلحادية ناشئة، فواضعها وحافظها وحاميها رب العالمين، الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو على كل شيء قدير.

١٤ـ عقيدة تصلح للتعميم:

فهي عقيدة الإله الواحد، وهي بذلك تصلح للتعميم في كل شعب وجنس، وفي كل أرض ووطن، وفي كل زمان ومكان، وعلى الدعاة أن يحملوا شرف هذه المهمة لينالوا ثواب الله العظيم.

هذه أهم مميزات العقيدة الإسلامية، تلك المميزات التي تعتبر السر في قبولها، والإقبال عليها، وزيادة المقتنعين والمعتقدين بها يوماً وراء يوم، في المشرق والمغرب.

وكذلك السر في اختيارها خاتمة الرسالات، وفي بقائها على مدى الدهور، وهي السر في انتشارها في أنحاء القارات، وفي جميع الأزمان.

* * *

الفصل الثالث

أهمية العقيدة وثمارها[1]

الإنسان حيثما كان، وفي أي ظرف وجد، وعلى اختلاف أحواله وتباين ظروفه، لا يخلو من عقيدة أبداً، سواء كانت العقيدة حقاً أو باطلاً، صحيحة أو فاسدة.

والعقيدة أياً كان مضمونها، ضرورة نظرية لكل إنسان، لأنها هي المحرك الذي يدفعه إلى العمل في حياته.

فالإنسان دائماً بحاجة إلى الإيمان والتدين والعقيدة، لأن الدين ضرورة من ضرورات حياته، وحاجة من حاجات نفسه، فلا غنى له عن الإيمان بربه وعبادته بحال من الأحوال، ومن هنا لم تخل أمة وجدت على سطح الأرض، ومنذ عهد الإنسان بالحياة، من عقيدة ودين ومصداق

---

(١) انظر كتاب السيد سابق العقائد الإسلامية، دار الكتب الحديثة، الطبعة الثانية، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م.
وكتاب عبد الله عزام، العقيدة وأثرها في بناء الجيل، مرجع سابق.
وكتاب د. يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.

ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤].

والعقيدة هي الضابط الأمين، الذي يحكم التصرفات، ويوجه السلوك، ويتوقف على مدى انضباطها وأحكامها كل ما يعبر عن النفس من كلمات أو حركات، بل حتى الخلجات التي تساور القلب، والمشاعر التي تعمل في جنبات النفس، والهواجس التي تمر في الخيال.

وباختصار فالعقيدة هي دماغ التصرفات، فإذا تعطل جزء منها أحدث فساداً كبيراً في التصرفات وانفراجاً هائلاً عن سوي الصراط.

ولا يشك أحد في أهمية العقيدة والإيمان في حياة الفرد والأمم والمجتمعات، وأنها الغاية الأولى في بعثة الأنبياء، وإنزال الكتب السماوية كما أنها الأساس في التشريع، والمنطلق لجميع شؤون الحياة، وأن التصرفات البشرية، والسلوك الكامل، ينبع من العقيدة والإيمان، ويتحرك بموجبها وهو الظل الظاهر للقناعة الذاتية، والإيمان الداخلي والعقيدة القلبية.

والعقيدة الإسلامية لها أهمية عظمى ينتج عنها ثمار جلّى أذكر منها:

١ـ العقيدة الإسلامية تمثل أعظم صلة بين الناس وخالقهم.

فالإيمان بالله يمثل أكرم صلة بين الإنسان وخالقه، وذلك أن أشرف ما في الأرض الإنسان، وأشرف ما في الإنسان قلبه، وأشرف ما في القلب الإيمان.

٢ـ العقيدة الإسلامية هي أجل نعمة أنعمها الله على الإنسان، وأفضل آلاء الله على الإطلاق قال الله تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الحجرات: ١٧].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

[الحجرات: ٧ـ٨].

٣ـ العقيدة الإسلامية تتضمن الإيمان بأسمى حقيقة في هذا الوجود، وهي الإيمان بالله تعالى.

ومنها ينبثق أسمى منهج وأكمل تصور لحقيقة الكون، وحقيقة الإنسان، ورسالته، في هذه الحياة.

وبذلك يعيش الإنسان مطمئن البال، مرتاح الضمير، سعيدا بصلته بربه، عاملاً برضائه، محباً لقربه، يسير على الهدى والصراط المستقيم الذي رسمه الله له في قوله سبحانه: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾

[الفاتحة: ٦ـ٧].

٤ـ العقيدة الإسلامية هي أساس قبول الأعمال الصالحة، فهي قول وعمل مرتبطان ببعضهما، فالقول يحتاج إلى عمل، والعمل يحتاج إلى قول حتى تتكامل العقيدة، ولهذا يأتي الإيمان في الآيات القرآنية مقروناً بالعمل الصالح الذي تزكو به النفس، ويطهر به القلب، وتعمر به الحياة؛ لأن الإيمان إذا تجرد عن العمل كان إيماناً عقيماً، وكان كالشجرة التي لا تثمر ثمراً ولا تمد ظلاً.

والعمل إذا خلا عن الإيمان، كان رياءً، ونفاقاً وكفراً. ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١ـ٣].

٥ـ العقيدة الإسلامية هي الأساس المكين الذي ترتكز عليه فروع هذا الدين كله، ومن العبث إشادة بناء ضخم بلا أساس.

وهي كمثل الجذور لشجرة الدين وما لم تكن الجذور ضاربة في أعماق الأرض فإنها لن تحمل فروع هذه الشجرة الضخمة الباسقة.

فالعمل الصالح لابد له من إيمان متمكن في جوانب النفس، وأغوارها وأعماق الفؤاد، ومسارب الضمير.

٦ـ العقيدة الإسلامية تكوّن الشخصية السوية، والسلوك القويم، والاتجاه الصحيح، فتربط المؤمن بالله تعالى الحكيم الخبير الحليم البصير السميع القدير...

فيراقب الله في كل أحواله، ويعلم أنه معه في كل تحركاته، وأنه عليم بكل تصرفاته، سميع لكل كلماته، بصير بجميع أعماله، فيكون شعاره:

(الله معي، الله شاهد علي، الله يراني، الله ناظر إلي.)

فيكون ذلك باعثاً إلى عمل الخير، ومحرضا على بذل المعروف، ورادعاً عن الشذوذ والانحراف، فيراقب تصرفاته بنفسه، ويحاسب نفسه ويمتنع عن المحرمات والأثام، ولو كان فيها لذةً مادية، أو فائدة خاصة، ويرتدع عن البغي والظلم والعدوان.

٧ـ العقيدة الإسلامية تلبي فطرة الإنسان وطبيعته وتؤمن له الاستقرار النفسي والكمال الروحي، والتفتح العقلي، والتقدم العلمي، فيعيش هانيء البال مرتاح الضمير، سعيداً مطمئناً مسروراً

٨ـ العقيدة الإسلامية تنمي الوازع الديني، والرقيب الذاتي، والضمير الحي عند كل إنسان مهما كان سنه، ومهما كان عمله ومهما تعددت واجباته، فيؤدي أعماله المختلفة ساعياً لرضاء ربه، والحفاظ على القيم

والأخلاق والمبادىء الإسلامية التي تدعوه إلى محبة الآخرين ونفعهم. والرسول عليه الصلاة والسلام يقول:

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(١).

ويقول:

«الخلق كلهم عيال الله فأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله»(٢).

٩ـ العقيدة الإسلامية التي يقام عليها صرح الشريعة هي فقط التي تكفل سعادة الإنسان في الدارين، وتأييد الله ونصره وعونه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ـ٣٢].

١٠ـ العقيدة الإسلامية تدفع المؤمن للرضا بقضاء الله وقدره، والصبر عند المصائب والأزمات، والالتجاء إلى الله عند الشدائد، وانتظار الفرج بعد الضيق، واليسر بعد العسر، وكله ثقة بالله وقدرته وعلمه وكرمه ورحمته وعنايته ولطفه، وكل ذلك دواء وشفاء لكل أسقام الحياة، وأمراض النفس، وراحة للبدن وطمأنينة للقلب، وتسليم للحق ورضاء بصدق.

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الأول، كتاب الايمان، باب من الايمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، الصفحة ١٤، رقم الحديث ١٣.
وأخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب الايمان، باب من خصال الايمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، الصفحة ٦٧، رقم الحديث ٤٥.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير،عن ابن مسعود، الجزء العاشر، الصفحة ٨٦، رقم الحديث ١٠٠٣٣.

١١ـ العقيدة الإسلامية ترفع من قوى الإنسان المعنوية، وتربطه بمثل أعلى وهو الله مصدر الخير والبر والكمال، وبهذا يسمو الإنسان عن الماديات ويرتفع عن الشهوات، ويستكبر على لذائذ الدنيا، ويرى أن الخير والسعادة في النزاهة والشرف، وتحقيق القيم الصالحة، ومن ثم يتجه المرء اتجاهاً تلقائياً لخير نفسه، ولخير أمته، ولخير الناس جميعاً.

١٢ـ العقيدة الإسلامية تربط المؤمنين بالله بالمحبة الصادقة، والعبودية الحقيقية، والطاعة الكاملة، وتربط المؤمنين بعضهم مع بعض على أساس من الشفقة والمحبة، وتحدد العلاقة بين المؤمنين وبين أعداء الله الصادين عن الحق على أساس من الغلظة والقسوة، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقد تجلت هذه الصفات في الرسول ﷺ وصحابته. قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

١٣ـ العقيدة الإسلامية لها أكبر الأثر في تغيير التاريخ، وفي تغيير واقع الناس وحياتهم من الضعف إلى القوة، ومن التفرقة إلى الوحدة، ومن الفقر إلى الغنى ومن الذل إلى العز، ومن الهزيمة إلى النصر، ومن الجهل إلى العلم، ومن الضلالة إلى الهدى، ومن الظلام إلى النور. وهذا ما حدث فعلاً في جزيرة العرب بفضل العقيدة الإسلامية.

١٤ـ العقيدة الإسلامية تدفع المؤمن للعمل الصالح في الدنيا، لينال رضاء الله وثوابه الجزيل في الآخرة، فتدفعه لمحاسبة نفسه، ومراقبة أعماله، والتوبة عن ذنوبه، والإسراع في الطاعات والعمل بأوامر الله والبعد عن معاصيه، والانتهاء عن نواهيه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لاعين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»(١).

فاقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

هذا غيض من فيض في موضوع أهمية العقيدة وثمارها.

أما البعد عن العقيدة، أو الكفر بالله، أو الشرك به، فإنه لا يثمر إلا شراً أبداً.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦].

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

وقال: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤ـ١٢٦].

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الثالث، في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة أنها مخلوقة، الصفحة ١١٨٥، رقم الحديث ٢٠٧٢.

هذا هو مصير المبتعد عن العقيدة، مهما ظن ذلك المحروم أنه على هدى، أو تقدم في حياته.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾ [الكهف: ١٠٣ـ١٠٦].

وبدون العقيدة الصحيحة ينحط الإنسان إلى درك أدنى من منزلة الحيوان، مهما زاد نصيبه من عرض هذه الحياة الدنيا ملكاً وتمتعاً. قال الله تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥ـ١٧٧].

وفصل الخطاب أن نستمع إلى قول الله عزّ وجل وهو يقارن لنا بين المؤمنين وبين الفاسقين: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ [السجدة: ١٨ـ٢٠].

من أجل أهمية العقيدة الإسلامية، والوصول إلى ثمارها، ولما لها من أهمية في حياة الإنسان، وآثار عظيمة في سلوكه وبناء مستقبله، مكث رسول الله ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة، والقرآن ينزل عليه يغرس العقيدة ويوضحها، ويحارب الأوهام والشرك والخرافات التي كانت سائدة بين العرب.

وقد أفرد الله سبحانه لها مساحة واسعة من كتابه، وأعطاها فترة طويلة حتى تستقر في الأعماق وتعيش مع النفوس، فالفترة المكية كلها تقريباً لا تكاد تخرج بنصوصها عن هذه القضية الكبرى، ولا تناقش إلا هذا الموضوع، وذلك لأنّ بناء النفوس بالعقيدة عملية بطيئة شاقة، قد يحتاج هذا العمل مدة توازي نمو الجسم نفسه.

قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾

[الإسراء: ١٠٦]

وكذلك فإن استقرار العقيدة في الأفئدة، يتوقف عليه جميع التشريعات، ومن هنا تأخر نزول التشريع إلى المدينة، حتى تستقر العقيدة في نفوس الصحب الكرام، هؤلاء الصحب الذين حملوا الراية الأولى للدعوة لهذه العقيدة، وكانوا النموذج الأول لها، فقدر الله لها أن تنتشر في جميع بقاع الأرض قاطبة.

وأخيراً ومن أجل هذه الأهمية للعقيدة، وما لها من ثمار جليلة، كان من الواجب على كل مسلم أن يعنى كلّ العناية بدراسة عقيدته، ويهتم بها كثيراً، ليعمق العقيدة في نفسه أولاً، ويربي زوجته وأولاده وأهله عليها ثانياً، ويدعو الآخرين إليها ثالثاً.

* * *

الباب الثاني

المهّدات الأولية للتربية

الفصل الأول: حسن الاختيار في
(الزواج ـ الأصحاب ـ المربين)

الفصل الثاني: الوالدان وتحمل المسؤولية

الفصل الثالث: القدوة الحسنة في الوالدين والمربين

الفصل الرابع: أهمية المحبة والرحمة والمودة في التربية

الفصل الأول

حسن الاختيار

لكل عمل من أعمال الحياة، ممهدات أولية ضرورية لابد من تهيئتها، وتحضيرها قبل البدء بذلك العمل، ليتم نجاحه بعد ذلك بشكل محقق، وعلى أوسع نطاق.

وبما أنّ التربية أدق الأعمال وأعظمها، لابد من تهيئة الممهدات الأولية لها قبل الشروع بها، لضمان نجاح هذه التربية، وبأعلى مستوى لها.

ولتربية العقيدة الإسلامية في نفوس الناشئة بشكل ناجح وصحيح، لابد لها من ممهدات أولية وأهمها: (حسن الاختيار والانتقاء)

١ـ في الزواج. ٢ـ للأصحاب. ٣ـ للمربين.

أولاً ـ الزواج:

الزواج هو الطريق القويم لبناء المجتمع الإسلامي، وهو الطريق الشرعي لإنجاب الأولاد، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [النحل: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١].

وبما أنّ أوّل مرحلة من مراحل البناء القويم تعتمد على التأسيس السليم، وكلّما كان الأساس قوياً متيناً، كان البناء سوياً صلباً لا عوج فيه ولا خور.

وبما أنّ أوّل مرحلة من مراحل البناء القويم للإسلام، المبني على تربية الأجيال تربية صالحة، تعتمد على تأسيس سليم للبناتها التي هي الأسرة، كان لابد من حسن الاختيار، والانتقاء بين الزوجين، لأنّ الإسلام رعى الأطفال، وخطط لمستقبلهم منذ أن كانوا في ضمير الغيب،

ومنذ أن كان الطفل أمنية مرجوّة في قلب الأب والأم.

ولما كان أهم قصد للزواج في الإسلام الولد الصالح، كما يفهم من قوله تعالى: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

يقول ابن كثير: [يعني الولد](١).

وهو رأي القرطبي القائل: [معناه وابتغوا الولد](٢).

وهو أيضاً ما ذهب إليه الغزالي، حين يذكر فوائد النكاح فيقول:

[الفائدة الأولى: الولد، وهو الأصل، وله وضع النكاح، والمقصود إبقاء النسل، وألا يخلوا العالم من جنس الإنس، وإنما الشهوة باعثة مستحثة](٣).

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء الأول، الصفحة ٢٢٧.
(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء الثاني، الصفحة ٣١٨.
(٣) إحياء علوم الدين، الجزء الثاني، كتاب آداب النكاح، الباب الأول في الترغيب في النكاح والترغيب عنه، الصفحة ٢٤.

ومع ما فرض الله على المرسلين من البلاغ، فإن الزواج من أجل الذرية من سننهم. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨].

ولما كان أهم قصد للزواج في الإسلام الولد الصالح، وجب الضمانة والتقديم له، أما التقديم له فقد قال الله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

والتقديم للنفس يعني استهداف غايات أبقى من وراء الزواج وعلى رأسها إنجاب الولد الصالح، جاء في تفسير المنار شرحاً للآية الكريمة:

[فهذه أوامر تدل على أنّ هناك شيئاً يرغب فيه، ويحذر منه، أما ما يرغب فيه فهو ما يقدم للنفس وهو ما ينفعها في المستقبل، ولا أنفع للإنسان في مستقبله من الولد الصالح، فهو ينفعه في دنياه كما هو ظاهر، وفي دينه من حيث أنّ الوالد سبب وجوده وصلاحه، وقد ورد في الحديث: أن الولد الصالح، من عمل المرء الذي ينفعه دعاؤه بعد موته، ولا يكون الولد صالحاً إلا إذا أحسن والداه تربيته، فالأمر بالتقديم للنفس يتضمن الأمر باختيار المرأة الودود الولود، التي تعين الرجل على تربية ولده بحسن خلقها وعملها، كما يختار الزراعة في الأرض الصالحة التي يرجى نماء النبات فيها، وإيتاؤه الغلة الجيدة، ويتضمن الأمر بحسن تربية الولد وتهذيبه. وأما ما يحذر منه ويتقي الله فيه: فهو إخراج النساء عن كونهن حرثاً، بإضافة مادة النسل في الحيض، أو بوضعها في غير موضع الحرث، وكذلك اختيار المرأة الفاسدة التربية وإهمال الولد][1].

وأما الضمانة للولد الصالح، فهو الاختيار والانتقاء الصحيح على

---

(١) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الجزء الثاني، الصفحة ٣٦٣.

أساس توجيهات الإسلام لذلك. والاختيار والانتقاء يكون في الزوج والزوجة.

أولاً ـ انتقاء الزوج للزوجة:

لما كانت الزوجة بمثابة الأرض التي سيزرع فيها بذور نبتات الأولاد، ولما كانت تربيتها السابقة في أسرتها له الأثر الأكبر في تكوين شخصيتها من حيث الدين والأخلاق، والعادات والتقاليد، والمشاعر والإحساسات المختلفة، كان على الزوج أن يحسن انتقاء هذه الزوجة، التي سيختارها لذلك الزرع الذي قال تعالى عنه: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وفي هذا الموضوع يوجهنا رسول الله ﷺ إلى حسن الاختيار.

عن عائشة رضي الله عنها، عن رسول الله ﷺ قال:

«تخيروا لنطفكم، فإنّ النّساء يلدن أشباه إخوانهن وأشباه أخواتهن»(١).

وفي رواية: **«تخيروا لنطفكم، وانكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم»**(٢).

وفي رواية: **«اختاروا لنطفكم المواضع الصالحة»**(٣).

وفي رواية: **«تزوجوا في الحجر الصالح، فإنّ العرق دساس»**(٤).

---

(١) أخرجه ابن عدي، الجزء الخامس، الصفحة ١٨٨٣.

(٢) أخرجه ابن ماجه، الجزء الأول، كتاب النكاح، باب الأكفاء، الصفحة ٦٣٣، رقم الحديث ١٩٦٨.

(٣) أخرجه الدار قطني، الجزء الثالث، الصفحة ٢٩٩.

(٤) أخرجه الديلمي في الفردوس، الجزء الثاني، الصفحة ٥١، رقم الحديث ٢٢٩١.

بل إنّ أبا الحسن الماوردي يعتبر اختيار الزوجة حق الولد على أبيه، اقتباساً من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيقول: [فمن أول حق الولد أن ينتقي أمه ويتخير من النساء الجميلة الشريفة، الدينة العفيفة، العاقلة لأمورها، المرضية في أخلاقها][(١)].

مما تقدم، نجد أنّ على الزوج أن يحسن اختيار زوجته، ولقد وجّه رسول الله ﷺ من أراد الزواج إلى طريق الانتقاء:

عن أبي هريرة رضي الله، أن رسول ﷺ قال:

«تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدّين تربت يداك»[(٢)].

فيجب على المؤمن أن يختار زوجته على أساس الدين.

[ونقصد بالدين الفهم الحقيقي للإسلام، والتطبيق العملي السلوكي لكل فضائله السامية وآدابه الرفيعة، ونقصد كذلك الالتزام الكامل بمنهاج الشريعة، ومبادئها الخالدة على مدى الزمان والأيام][(٣)].

وعند اختيار المؤمن لذات الدين عليه ألا ينخدع بالمظاهر، بل عليه أن يتحرى الدقة في السؤال والبحث، وقد بيّن لنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا الأمر، وذلك حينما جاءه رجل يشهد لرجل آخر.

---

(١) كتاب نصيحة الملوك، تحقيق الشيخ محمد الخضر، الصفحة ١٦٢.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، الصفحة ١٩٥٨ رقم الحديث ٤٨٠٥.

وأخرجه مسلم، الجزء الثاني، كتاب الرضاع باب استحباب نكاح ذات الدّين، الصفحة ١٠٨، رقم الحديث ١٤٦٦.

(٣) عبد الله علوان، تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق، الجزء الأول، الصفحة ٣٥.

[فقال له عمر: أتعرف هذا الرجل ؟ فأجاب: نعم. قال: هل أنت جار له ؟ تعرف مدخله ومخرجه، فأجاب الرجل: لا. قال عمر: هل صاحبته في السفر الذي تعرف به مكارم الأخلاق، فأجاب الرجل: لا. قال عمر: هل عاملته بالدينار والدرهم الذي يعرف به ورع الرجل، فأجاب الرجل: لا. فصاح عمر: لعلك رأيته قائماً قاعداً يصلّي في المسجد، يرفع رأسه تارة ويخفضه أخرى. فردّ الرجل: نعم. قال عمر: اذهب فإنك لا تعرفه، والتفت إلى الرجل وقال له: ائت بمن يعرفك][1].

إنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، لم ينخدع بشكل الرجل ولا مظهره، ولكن يريد معرفة الحقيقة بموازين صحيحة تكشف عن حاله، وتدل على دينه وأخلاقه، ولمثل ذلك يشير رسول الله ﷺ. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ:

«إنّ الله لاينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[2].

ويوضح الرسول، المرشد المعلم أسباب التفضيل على أساس الدين:

عن أنس رضي الله عنه قال، سمعت النبيّ ﷺ يقول:

«من تزوج امرأة لعزّها، لم يزده الله إلا ذلاً، ومن تزوجها لمالها، لم يزده الله إلا فقراً، ومن تزوجها لحسبها، لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوج

---

(١) ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٧، الصفحة ٢٠٦.

(٢) أخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، الصفحة ١٩٨٧، رقم الحديث ٢٥٦٤.
وأخرجه ابن ماجه، الجزء الثاني، كتاب الزهد، باب القناعة، الصفحة ٢٠٦، رقم الحديث ٤١٤٣.

امرأة لم يتزوجها إلا ليغضّ بصره، أو ليحصن فرجه، أو يصل رحمه، بارك الله له فيها، وبارك لها فيه»[1].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول ﷺ:

«لا تزوجوا النساء لحسبهن، فعسى حسبهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين، ولأَمَةٌ خرقاء[2] **سوداء، ذات دين، أفضل»**[3].

ومع توجيه الرسول في الانتقاء لذات الدين، يوجه لانتقاء الزوجة من أسرة عريقة عرفت بالصلاح والخلق، وأصالة الشرف، وأرومة الأصل.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنّ رسول ﷺ قال:

«إياكم وخضراءَ الدِّمَن[4]**، قالوا: ما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء»**[5].

وذات الدين التي أشار إليها رسول الله ﷺ، هي الزوجة الصالحة،

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط، الجزء الثالث، الصفحة ١٧٨، رقم الحديث ٢٣٦٣.

(٢) الأمة الخرقاء: الذي في أذنها شق أو ثقب. (ابن منظور، لسان العرب، المجلد الرابع، الصفحة ٧٣)

(٣) أخرجه ابن ماجه، الجزء الأول، كتاب النكاح، باب تزويج ذات الدين، الصفحة ٥٩٧، رقم الحديث ١٨٥٩.

(٤) خضراء الدمن: عشب المزابل، د.إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، الجزء الأول، الصفحة ٢٩٨.

(٥) أخرجه الديلمي في الفردوس، الجزء الأول، فصل في التحذير والوعيد، الصفحة ٣٨٢، رقم الحديث ١٠٣٧ وهو حديث ضعيف.
وأخرجه القضاعي في مسند الشهاب واللفظ له، الجزء الثاني، الصفحة ٩٦، رقم الحديث ٩٥٧.

وهي الكنز الحقيقي، الذي يدخره الرجل في دنياه وآخرته، عن ثوبان قال: «**لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، كنّا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فقال بعض أصحابه: أنزلت في الذهب والفضة، لو علمنا أي المال خير لاتخذناه، فقال رسول الله ﷺ: أفضله لسان ذاكر، وقلب شاكر، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه**»(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنّ رسول ﷺ قال:

«**الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة**»(٢).

فالأساس الذي تبنى عليه سعادة الفرد بعد تقوى الله: زوجة تعينه على الخير، وتجلب لزوجها الأنس والسرور، في خلية مؤمنة ترفرف عليها المودة والتعاون والوفاء، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرّته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله**»(٣).

---

(١) أخرجه ابن ماجه، الجزء الأول، في كتاب النكاح باب أفضل النساء، الصفحة ٥٩٦، رقم الحديث ١٨٥٦.
وأخرجه الترمذي، الجزء الثامن، الصفحة ٢٤٧، رقم الحديث ٣٠٩٣ (وقال هذا حديث حسن).

(٢) أخرجه مسلم، الجزء الثاني، في الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، الصفحة ١٠٩ رقم الحديث ١٤٦٧.
وأخرجه ابن ماجه، الجزء الأول، كتاب النكاح، باب أفضل النساء، الصفحة ٥٩٦، رقم الحديث ١٨٥٥.

(٣) أخرجه ابن ماجه، الجزء الأول، كتاب النكاح، باب أفضل النساء، الصفحة ٥٩٦، رقم الحديث ١٨٥٧.

ثانياً ـ انتقاء الزوجة للزوج:

كذلك من حق الزوجة أن تختار زوجها، الذي سيشاركها هذه الحياة، والرسول ﷺ يوجهها أن تختار عن طريق وليها، صاحب الخلق والدين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «**إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض، وفساد عريض**»(١).

[وأيّة فتنة أعظم على الدين والتربية والأخلاق، من أن تقع الفتاة المؤمنة بين براثن خاطب متحلل، أو زوج ملحد، لا يرقب في مؤمنة إلاّ ولا ذمّة، ولا يقيم للشرف والغيرة والعرض، وزناً ولا اعتباراً ؟.

وأية فتنة أعظم على المرأة الصالحة، من أن تقع في عصمة زوج إباحي فاجر، يُكرهها على السفور والاختلاط، ويجبرها على احتساء الخمرة، ومراقصة الرجال، ويقسرها على التفلت من ربقة الدين والأخلاق ؟](٢).

وفي هذا الموضوع يقول الإمام الغزالي:

[ويجب على الولي أيضاً أن يراعي خصال الزوج، ولينظر لكريمته فلايزوجها ممن ساء خلقه أو خلقه، أو ضعف دينه أو قعد عن القيام بحقها، أوكان لا يكافئها نسباً](٣).

بل إنّ ضعف المرأة يفرض على الولي دقة خاصة في الاختيار، وفي

---

(١) أخرجه ابن ماجه، الجزء الأول، كتاب النكاح، باب الأكفاء، الصفحة ٦٣٢، رقم الحديث ١٩٦٧.

(٢) عبد الله علوان، تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق، الجزء الأول، الصفحة ٣٨.

(٣) إحياء علوم الدين، الجزء الثاني، الصفحة ٤١.

ذلك يقول الغزالي في نفس الموضوع: [والاحتياط في حقها أهم، لأنها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها، والزوج قادر على الطلاق بكل حال، ومهما زوج ابنته ظالماً أو فاسقاً أو مبتدعاً أو شارب خمر، فقد جنى على دينه، وتعرض لسخط الله، لما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار](١).

وفي الخبر: [النكاح رق، فلينظر أحدكم أين يضع كريمته](٢).

وفي تاريخنا الإسلامي أمثلة حية لحرص الأولياء على الانتقاء، على أساس الدين لبناتهم فلذة أكبادهم، ولو لم يملك الزوج المقومات الأخرى للزواج.

فقد خطب بلال وصهيب من بيت ذي حسب ونسب، ومال وجمال، فزوجوهما لصحبتهما رسول الله ﷺ، ومكانتهما الإسلامية، ولأخلاقهما ودينهما دون النظر لفقرهما وحالتهما السابقة.

[قال بلال: أنا بلال وهذا أخي صهيب، كنّا ضالّين فهدانا الله، وكنّا مملوكين فأعتقنا الله، وكنّا عائلين فأغنانا الله فإن تزوجونا فالحمد لله، وإن تردونا فسبحان الله. فقالوا: بل تتزوجان والحمد لله. فقال صهيب لبلال: لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله ﷺ. فقال: اسكت، فقد صدقت فأنكحك الصدق](٣).

فإذا ما تم الزواج الإسلامي، على أساس من حسن الانتقاء

---

(١) المرجع السابق، والصفحة نفسها.

(٢) محمود الحداد، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، الجزء الثاني، الصفحة ٩٧٢، رقم الحديث ١٣٤٤، وقال أخرجه أبو عمر الشوقاني في معاشرة الأهلين، موقوفاً على عائشة وأسماء ابنتي أبي بكر، وقال البيهقي: وروى ذلك مرفوعاً، والموقوف أصح.

(٣) إحياء علوم الدين، الجزء الثاني، الصفحة ٣٩.

والاختيار، كما وجه إليه الرسول ﷺ، وتحققت المودة والمحبة، والسعادة وهدوء النفس وطمأنينة القلب بين الزوجين، وحقق الزواج أهدافه كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

وأنتج هذا الزواج أولاداً، وجب أن يتعاون الأب الصالح مع الأم الصالحة، على تربية أولادهما تربية إيمانية متكاملة، وبذلك ينتج من هذا الزواج أولاد صالحون بررة، وبقدر ما يعم مثل هذا الزواج بين الناس، بقدر ما يتصف مجتمعهم بالصلاح والنجاح، والفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة.

ومما سبق، نجد أنّ مثل هذا الزواج يُعتبر الخطوة الأولى في المنهاج الإسلامي، لتربية عقيدة الناشىء الذي نتناوله بالبحث والدراسة.

ثانياً ـ الأصحاب:

لابد للناشىء من صحبة مَن هم في عمره، ليعبر عن نفسه يبادلهم الآراء، ويخرج معهم ويلعب، وهذا أمر طبيعي بين كل الأطفال والأولاد والناشئة، بل لا بد منه لتنمو شخصية الطفل والناشىء، عاطفياً وجسمياً واجتماعياً بشكل صحيح ومتوازن.

وتلعب الصحبة دوراً كبيراً في التأثير على شخصية الطفل والناشىء، فهي مرآة الصديق لصديقه، وفي هذا المعنى يقول الشاعر[1]:

---

(١) نقلاً عن محمود حمدي بن داود المرعشي، نيل الأرب في معرفة الأدب، تحقيق محمد علي بلطةجي ومعروف زريق، دار الخير، دمشق ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م، الصفحة ٦٩.

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه   فكـل قـريـن بـالمقـارن يقتـدي
فإن كان ذا شر فجانبه سرعةً   وإن كان ذا خير فقاربه تقتدي

وقد لفت رسول الله ﷺ الأنظار إلى أثر الصاحب على صاحبه، ونبه إلى ضرورة البحث عن الصاحب المناسب، الذي يرشد إلى الدين الصحيح والأخلاق الفاضلة.

فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»[1].

كما بين رسول الله ﷺ أثر الجليس في جليسه فقال:

«إنما مثل الجليس الصالح، والجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير فحامل المسك، إما أن يحذيك[2]**، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة»**[3].

---

(١) أخرجه أبو داود، الجزء الرابع، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، الصفحة ٢٥٩، رقم الحديث ٤٨٣٣.
وأخرجه الترمذي، الجزء السابع، كتاب الأدب، باب الرجل على دين خليله، الصفحة ١١٠، رقم الحديث ٢٣٧٩.

(٢) يحذيك: يعطيك، (النووي، شرح صحيح مسلم، المجلد الثامن، الجزء السادس عشر، الصفحة ١٧٨).

(٣) أخرجه البخاري الجزء الثاني، في كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك، الصفحة ٧٤١، رقم الحديث ١٩٩٥.
وأخرجه مسلم عن أبي موسى، عن النبي، الجزء الرابع، كتاب البر والصلة والآداب، باب إستحباب مجالس الصالحين ومجانبة قرناء السوء، الصفحة ٢٠٢٦، رقم الحديث ٢٦٢٨، واللفظ له.

لذلك وجب على الوالدين اختيار الصديق الصالح لولدهما، ليحادثه ويسامره ويلعب معه، ويتبادل معه أمور المعرفة، ويكتسب منه الأخلاق الفاضلة، والعادات الحميدة، والآداب الرفيعة، وخاصة في طفولته [فالطفل يحاكي ويقلّد، فإذا اختلط بأطفال على شاكلته من الخلق، والتنشئة الصالحة الإسلامية كان ذلك أدعى إلى ترسيخ كل جميل في قلبه ونفسه، فلن يتغير كل ما تعلمه من إيمان صحيح، وعادات إسلامية رائعة، وخلق إسلامي هادف](١).

والبحث عن الصديق والصاحب المناسب، أمر صعب وشاق وخاصة في الوقت الحاضر، الذي ينطبق عليه قول الله عزّ وجلّ في حالة الأصدقاء: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾

[الزخرف: ٦٧].

ولكن مع صعوبة البحث، فهو غير مستحيل، فقد بشّر النبي ﷺ بدوام الخير واستمراره بأمته إلى يوم القيامة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:

«مثل أمتي مثل المطر لا يُدرى أوله خير أو آخره»(٢).

وعن معاوية قال: قال رسول الله ﷺ:

«لايزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لايضرهم من خذلهم ولامن

---

(١) حبشي فتح الله الحفناوي، تربية الأطفال في الإسلام، المركز العربي للنشر والتوزيع، القاهرة الصفحة ٥٧.

(٢) أخرجه الترمذي، الجزء الثامن، كتاب الأمثال، باب مثل أمتي مثل المطر، الصفحة ٨٣، رقم الحديث ٢٨٧٣.

خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»[1].

ورحم الله من قال:

تمسك إن ظفرت بذيل حر   فإن الحر في الدنيا قليل

ومهما يكن الأمر فيجب الابتعاد عن صديق السوء لما له من أثر سيىء وكبير في انحراف الأبناء، وبعدهم عن دينهم وأخلاقهم، وقد وصف الله عزّ وجلّ حالتهم يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

وقد قال رسول الله ﷺ محذراً من قرناء السوء:

«إياك وقرين السوء فإنك به تعرف»[2].

ومع صعوبة مهمة انتقاء الأصحاب الخيرين في هذا الوقت، فإن ذلك يحتم على الآباء والأمهات البحث عن أصدقاء صالحين لأولادهم، وتشجيعهم على الصحبة، فيما بينهم، ومساعدتهم على الحفاظ عليها بشتى الوسائل، لأن اختيار الصديق الصالح والصاحب المؤمن، يعتبر من الأمور الهامة في تطبيق المنهج الإسلامي وخاصة في تربية عقيدة الناشئة الذي نتناول بحثه ودراسته.

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الثالث، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي آية فأراهم انشقاق القمر، الصفحة ١٣٣١، رقم الحديث ٣٤٤٢.

(٢) أخرجه ابن عساكر عن أنس بن مالك، في تهذيب تاريخ مدينة دمشق، الجزء الرابع، الصفحة ٢٩٢.

ثالثاً ـ المربون:

عند تطبيق المنهج التربوي الإسلامي في الناشئة، لابد من مربٍ يساعد الوالدين على تربية أبنائهما التربية الإسلامية المتكاملة، فيقوم بتعليم الأولاد أمور دينهم في جميع المجالات، ويشرف عليهم ويوجههم بما يرضي الله عزّ وجل، وينمي فيهم الأخلاق الفاضلة والآداب السامية، والسلوك المستقيم، والإيمان الكامل والعبادة الصحيحة، ويتعهدهم بالرعاية والتأديب والملاحظة والتوجيه ولقد كان رسول الله ﷺ المربي الأول للمؤمنين، كلفه الله بهذه المهمة قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقد أشار الله أنّ من أهم وظائف الرسول ﷺ، تعليم النّاس الكتاب والحكمة وتزكيتهم بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وبعد الأنبياء والرسل تسلم العلماء هذه المهمة.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله عليه وسلم يقول:

«إنّ العلماء ورثة الأنبياء، إنّ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنّما ورّثوا العلم، فمن أخذه، أخذ بحظ وافر»[١].

---

(١) أخرجه ابن ماجه، في المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، الصفحة ٨١، رقم الحديث ٢٢٣.

وأخرجه الترمذي، الجزء السابع، في كتاب العلم باب ما جاء فضل الفقه على العبادة، الصفحة ٣٢٥. =

ولقد فطن السلف الصالح لأهمية المربي، فكانوا يختارون لأولادهم المربين الصالحين، باذلين لهم كلّ حب وتقدير واحترام، مقدرين قيمة مهمتهم بالعطاء الكثير والمال الوفير، لإدراكهم مقدار تأثير المربي في تربية الأولاد التربية الإسلامية الصحيحة، وما لها من فائدة حفظ أولادهم من الضياع والهلكة والبعد عن الدين، ويقينهم أنّ تلك المهمة لا تقدر بثمن ولا مال.

من هؤلاء الخليفة المسلم هارون الرشيد، الذي كان يهتم كثيراً بتربية أولاده فكان يختار لهم المربين الصالحين، ويقوم بخدمتهم بنفسه، وكان قد اختار جملة من المربين لأولاده، وكان أهمهم المربي القدير أبا معاوية الضرير.

[عن علي بن المديني يقول: سمعت أبا معاوية يقول: أكلت مع هارون الرشيد ـ أمير المؤمنين ـ طعاماً يوماً من الأيام، فصب على يدي رجل لا أعرفه، فقال هارون الرشيد: يا أبا معاوية تدري من يصب على يديك؟ قلت: لا. قال: أنا، قلت: أنت يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم! إجلالاً للعلم][1].

وإذا اتصف السلف الصالح بشدة الحرص على السعي وراء المربين لتربية أولادهم، فنحن اليوم أشد حاجة منهم، وخاصة أمام ما يحاك من مؤامرات كثيرة لهدم أخلاق أبنائنا، وإبعادهم عن عقيدتهم، وأمام ما يهيأ

= وأخرجه أبو داود في كتاب العلم باب الحث على طلب العلم، الصفحة ٣١٧، رقم الحديث ٣٦٤١.

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، المجلد الرابع عشر، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، الصفحة ٨.

من الوسائل الحديثة والكثيرة، التي تجذب أبناءنا نحو أعدائنا ليسهل عليهم تحقيق مآربهم.

لذلك كان من أهم الواجبات الملحة على الآباء والأمهات، في هذا الوقت الذي نعيشه، أن ينتقوا لأولادهم المربين الواعين، والمشرفين المختصين بأمور التربية، حتى يساعدوهم على تربية أبنائهم التربية السليمة في أمور العقيدة والعبادة والأخلاق والآداب والسلوك.

وعلى ذلك فإنّ موضوع البحث عن المربي المرشد، من أهم الواجبات الضرورية والأساسية الملقاة على الوالدين، وخاصة في موضوع تطبيق المنهج الإسلامي في تربية عقيدة الناشىء الذي يطرحه الباحث.

* * *

الفصل الثاني

الوالدان وتحمل المسؤولية

أولادنا هم نور عيوننا، وعطر حياتنا، ودقات قلوبنا، وهم الذكرى الممتدة لنا في الحياة بعد موتنا، نجوع ليشبعوا، ونتعب ليستريحوا، ونسهرليناموا، ونمرض ليصحوا، ونتعرى ليلبسوا.

وهم أنس البيت وسكن الأسرة ومعقد آمال الأب والأم.

وقد وصف الشاعر حطان بن المعلى الطائي هذه المشاعر فقال:

وإنّما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض
إن هبت الريح على بعضهم لم تشبع العين من الغمض[1]

ولقد بين الله عزّ وجلّ قيمة الأولاد عند الإنسان، بأنّهم من أهم زينة الدنيا وشهواتها.

قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦].

وقال سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤].

---

(١) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، الجزء الثاني، الصفحة ٤٣٨.

ولمّا كان الأولاد بهذه الأهمية، كان على الوالدين أن يتحملا مسؤوليتهما كاملة في تربية أولادهما، حتى لا ينقلب الأولاد إلى غمّ وهمّ وحزن ووبال وآلام لا تحمل لدى الوالدين، فبينما كان أعداء الإسلام يفتخرون بكثرة الأولاد: ﴿وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥].

رد الله عليهم في تصرفهم الخاطىء فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٠].

ولفت أنظار المؤمنين إلى فساد هذا الاتجاه: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥].

ثم بين للمؤمنين أنّ الأولاد من جملة فتنة هذه الحياة وامتحاناتها: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨].

ووضح لهم أنّ طريق القرب إلى الله ليس بكثرة الأولاد ولكن بالإيمان والعمل الصالح: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [سبأ: ٣٧].

وحذر الله عزّ وجلّ المؤمنين أن يصبح الأولاد من أسباب البعد عن الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

وقد وصف رسول الله ﷺ أثر الأولاد في تصرفات العبد.

روى الترمذي بسنده عن عمر بن عبد العزيز قال:

«زعمت المرأة الصالحة: خولة بنت حكيم قالت: خرج

رسول الله ﷺ ذات يوم وهو محتضن أحد ابني ابنته وهو يقول:

إنكم لتُبَخِّلون، وتُجبِّنون، وتُجَهِّلون، وإنكم لمن ريحان الله»[1].

وقد يصبح الولد أحياناً عدواً عندها يجب الحذر منه، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن: ١٤].

بل وقد يكون الولد سبباً في انحراف الأب وكفره، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ [الكهف: ٨٠ـ٨١].

نستنتج مما سبق أنه لابد من العناية بتربية الأولاد ليكونوا سبباً في سعادة الوالدين لا شقائهما.

وتبدأ العناية بالأولاد من الطفولة لأنها بغير شك مرحلة البناء وهي أخطر مرحلة في حياة الناشئة، بل وأعقد مرحلة، لأنّ الطفل يتعرض فيها لأنماط من النمو، وأنواع من السلوك تكون نتاجاً لعوامل متباينة جسمية وعقلية ونفسية، ومن بعد يحتاج إلى رعاية تامّة، ليتجه الوجهة الصالحة التي نريده عليها، لهذا كان دور التربية في الطفل والملاحظة الدقيقة له، في جميع الأحوال وسائر سلوكه، دوراً إيجابياً فعّالاً. والطفل في هذه الحالة يشبه إلى حد ما العجينة اللينة حيث يمكن تشكيله والتأثير فيه، وطبعه بالطابع الخاص الذي ينشده المربي.

وهناك سؤال يطرح نفسه، من المسؤول عن تربية الطفل ؟

في المجتمع الإسلامي، وفي ظل الإسلام، يتعاون الجميع على تربية

---

(١) أخرجه الترمذي، الجزء السادس، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في حب الولد، الصفحة ١٦٥، رقم الحديث ١٩١١.

الطفل بدءاً من الوالدين، إلى الأهل والأقارب، إلى الجيران والمعارف، إلى المجتمع الصغير، وختاما الأمة جميعها، وذلك بإقامة شرع الله وتطبيقه على جميع المستويات، ومنها تربية الطفل المتكاملة الشاملة.

فأي كلمة أو تصرف يصدر عن الطفل، يجد كل من حوله يشجعه إن أحسن وينبهه إن أخطأ.

ويختلف هذا الأمر بمقدار تمسك المجتمع بالدّين أو بعده عنه، وفي كلتا الحالتين فإنّ المسؤول الأول والأخير عن تربية الأولاد هم الوالدان، وتزداد هذه المسؤولية بمقدار ابتعاد المجتمع عن الدّين كما أنها تزداد في مراحل الطفولة المبكرة.

حيث [دلّت تجارب العلماء على ما للتربية في الأسرة من أثر عميق خطير، يتضاءل دونه أثر أية منظمة اجتماعية أخرى في تعيين الشخصيات وتشكيلها، وخاصة خلال مرحلة الطفولة المبكرة، أي السنوات الخمس أو الست من حياة الفرد، وذلك لأسباب عدة منها: أنّ الطفل في هذه المرحلة لا يكون خاضعاً لتأثير جماعة أخرى غير أسرته، ولأنّه يكون فيها سهل التأثر، سهل التشكيل شديد القابلية للإيحاء والتعليم، قليل الخبرة، عاجزاً ضعيف الإرادة قليل الحيلة.

وتكون السنوات الأولى من حياة الطفل فترة حاسمة خطيرة في تكوين شخصيته، وتتلخص خطورتها في أنّ ما يغرس في أبنائها، من عادات واتجاهات، وعواطف ومعتقدات، يصعب أو يستعصي تغييره، أو استئصاله فيما بعد، ومن ثمّ يبقى أثراً ملازماً للفرد في عهد الكبر](١).

---

(١) أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، الطبعة التاسعة، المكتب المصري الحديث للطباعة عام ١٩٧٣ م، الصفحة ٤٢٦.

مسؤولية الوالدين:

يحمّل رسول الله ﷺ الوالدين مسؤولية تربية الأبناء مسؤولية كاملة، فهما المطالبان والمسؤولان عن رعاية أولادهما وتربيتهم، وسوف يسألان ويحاسبان عن هذه الرعاية، هل أعطيت حقها بالشكل الذي يريده الله عزّ وجلّ، والذي بينه رسول الله ﷺ؟ عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال:

«كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع ومسؤول عن رعيته»(١).

وقد أورد الدكتور مصطفى البغا الشرح التالي للحديث:

[مسؤول عن رعيته: مطالب ومحاسب عن قيامه بشؤون من تحت رعايته، وفي كنفه في الدنيا، ويوم القيامة.

أهله: زوجته وأولاده ومن تحت رعايته وتجب عليه نفقتهم](٢).

وتبدأ هذه المسؤولية في الرعاية منذ الولادة، فإنّ الله عزّ وجلّ يخلق المولود على الفطرة السليمة، التي تتجه نحو دين الإسلام وتعاليمه لأنّه دين الفطرة، التي فطر الله النّاس عليها، فإن أحسن الوالدان التربية ساعد ذلك على استمرار الفطرة في نفس الطفل، وتمكن الدين في أعماقه

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، في كتاب النكاح، باب المرأة راعية في بيت زوجها، الصفحة ١٩٩٦، رقم الحديث ٤٩٠٤.
وأخرجه مسلم، الجزء الثالث، في كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل، الصفحة ١٤٥٩، رقم الحديث ١٨٢٩.

(٢) هامش صحيح البخاري، الجزء الخامس، الصفحة ١٩٩٦.

وأصبح مؤمناً حقاً، وإن قصرا في أداء المهمة أو أهملاها أثر ذلك سلبا في عقيدة وسلوك هذا المولود، وإن كانا كافرين تبع المولود أبويه بالكفر والملّة التي يشاهدهم عليها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل يحسون فيها من جدعاء.**

ثمّ يقول أبو هريرة رضي الله عنه:

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠]»(١).

ولقد أمر الله عزّ وجلّ الوالدين بتربية الأبناء ومتابعة هذه التربية وحضّهم على ذلك وحمّلهم مسؤوليتها بقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

وممّا ورد في تفسير الألوسي لهذه الآية: [روى أنّ عمر قال حين نزلت، يا رسول الله نقي أنفسنا فكيف لنا بأهلنا؟ قال عليه الصلاة والسلام: تنهونهنّ عما نهاكم الله عنه وتأمرونهنّ بما أمركم الله به، فيكون ذلك وقاية بينهنّ وبين النّار.

وأخرج ابن المنذر والحاكم وصححه، وجماعة عن علي كرّم الله تعالى وجهه أنّه قال في الآية:

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الأول، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، الصفحة ٤٥٦، رقم الحديث ١٣٩٢.
وأخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، الصفحة ٢٠٤٧، رقم الحديث ٢٦٥٨.

علّموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم، والمراد بالأهل على ما قيل ما يشمل الزوجة والولد والعبد والأمة. واستدلّ بها على أنّه يجب على الرجل تعلم ما يجب من الفرائض وتعليمه لهؤلاء، وأدخل بعضهم الأولاد في الأنفس لأنّ الولد بعض من أبيه، وفي الحديث «**رحم الله رجلاً قال: يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعكم معهم في الجنّة**»، وقيل: **إنّ أشدّ النّاس عذاباً يوم القيامة من جهل أهله**][1].

وورد في تفسير القرطبي لهذه الآية:

[وهي الأمر بوقاية الإنسان نفسه وأهله النّار، وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس:

قوا أنفسكم وأمروا أهليكم بالذكر والدعاء حتى يقيهم الله بكم، وقال علي رضي الله عنه وقتادة ومجاهد قوا أنفسكم بأفعالكم، وقوا أهليكم بوصيتكم.

وعبّر الحسن في هذه الآية بقوله: يأمرهم وينهاهم وقال العلماء لما قال:

(قوا أنفسكم) دخل فيه الأولاد لأنّ الولد بعض منه، فيعلمه الحلال والحرام، ويجنّبه المعاصي والآثام إلى غير ذلك من الأحكام][2].

وفي تفسير السيوطي:

[أخرج عبد الرزاق، والغريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد،

---

(١) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الجزء الثامن والعشرين، الصفحة ١٥٦.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء الثامن، الصفحة ١٩٤ ـ ١٩٥.

وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، والبيهقي في المدخل، عن علي بن أبي طالب في قوله (قوا أنفسكم وأهليكم ناراً) قال:

علّموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر، عن ابن عباس في قوله (قوا أنفسكم وأهليكم ناراً) قال: اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، وأمروا أهليكم بالذكر ينجِكم الله من النّار.

وأخرج ابن مردويه عن زيد بن أسلم قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية (قوا أنفسكم وأهليكم ناراً) فقالوا: يا رسول الله كيف نقي أهلنا ناراً؟ قال: تأمرونهم بما يحبه الله وتنهونهم عمّا يكره الله][1].

وقال ابن كثير في تفسيره:

[قال سفيان الثوري: عن منصور عن رجل عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾ يقول: أدبوهم وعلموهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾ يقول اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله وأمروا أهلكم بالذكر ينجيكم الله من النار. وقال قتادة: تأمرهم بطاعة الله وتنهاهم عن معصية الله وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه فإذا رأيت لله معصية قذعتهم عنها وزجرتهم عنها، وهكذا قال الضحاك ومقاتل: حق على المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده ما فرض الله عليهم وما نهاهم الله عنه][2].

---

(١) السيوطي، الدر المنثور في التفسير المأثور، الجزء السادس، الصفحة ٣٧٤ ـ ٣٧٥.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء الرابع، الصفحة ٤١٧.

ولقد مدح الله عزّ وجلّ إسماعيل لعنايته بتربية أبنائه بأنه: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٥].

من كلّ ما ورد، نعلم أنّ مسؤولية تربية الأبناء تقع على الآباء والأمهات، بأن يأمروهم بأوامر الله، وينهوهم عمّا نهاه، ويعلموهم الخير، ويؤدبوهم بآداب الإسلام، وأن يأمروهم بمراقبة الله والخوف منه وذكره، ويعلموهم الحلال والحرام، ويجنّبوهم المعاصي والآثام إلى غير ذلك من الأحكام، وأن يمارسوا معهم الطاعات والبعد عن المنكرات، ويأمروهم بما يحبه الله وينهوهم عمّا يكره.

وذلك بالتوجيه والنّصح والتعليم والمراقبة والتشجيع والمتابعة، لما ورد في تفسير الآية من أمر بأوامر الله، ونهي عمّا نهاه، والتأدب بآداب الإسلام، والتخلق بأخلاقه، والعمل بأحكامه، وتعلّم الحلال والحرام، وتجنّب المعاصي والآثام، وتعلّم الخير والعمل بالطاعات، والبعد عن المنكرات، وسوف يسأل الله عزّ وجلّ الوالدين عن هذه المسؤولية، كما ورد في الحديث السابق وكما ورد في حديث آخر:

«إنّ الله سائل كلّ راع عمّا استرعاه، أحفظ أم ضيّع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته»(١).

وإذا كان الإنفاق على الأولاد من أعظم الأعمال، كما ورد في الحديث عن ثوبان أنّ النّبي ﷺ قال:

---

(١) أخرجه النسائي في سننه الكبرى، الجزء الخامس، كتاب عشرة النساء، باب مسألة كل راع عما استرعاه، الصفحة ٣٧٤،
وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، الجزء الرابع، الصفحة ١٠٨، رقم الحديث ١٦٣٠٦.

«أفضل دينار ينفقه الرجل، دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابّته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله.

قال أبو قلابة[1]: وبدأ بالعيال، ثمّ قال أبو قلابة:

وأي رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عيال صغار، يعفهم أو ينفعهم الله به ويغنيهم»[2].

وإذا كان المؤمن مأموراً بالإنفاق، وأعظم صور الإنفاق ما ينفق على الولد، فهذا من أجل تربية الجسد، فكيف من أجل تربية الروح والإيمان والعقيدة؟

ورد في الحديث:

«ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن»[3].

وورد أيضاً:

«لأن يؤدب الرجل ولده خيراً من أن يتصدق بصاع»[4].

وإذا شجع الرسول ﷺ على هداية الآخرين، لما في ذلك من ثواب جزيل:

---

(١) من التابعين واسمه: عبد الله بن زيد بن عمرو. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، الجزء الخامس، الصفحة ٢٢٤.

(٢) أخرجه مسلم، الجزء الثاني، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك، الصفحة ٦٩٢، رقم الحديث ٩٩٤.

(٣) أخرجه الترمذي، الجزء السادس، أبواب البر والصلة، باب ماجاء في أدب الولد، الصفحة ١٨٦، رقم الحديث ١٩٥٣.

(٤) أخرجه الترمذي، الجزء السادس، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في أدب الولد، الصفحة ١٨٦، رقم الحديث ١٩٥٢.

«والله لأن يُهدى بك رجل واحد، خير لك من حمر النعم»(١).

فإن الأولاد أحق بالهداية، فيسعى الوالدان لهدايتهم وتربيتهم ورعايتهم، بل عليهما مراقبتهم وملازمتهم ومصاحبتهم، والإشراف الكامل على تربيتهم ورعايتهم، كما بين ذلك رسول الله ﷺ: **«أكرموا أولادكم، وأحسنوا أدبهم»**(٢).

[أي لا تتركوهم هملاً، دون راع، أو تتركوهم وتدعوهم لغيركم، لأنّ الملازمة تغرس فيهم وعلى الدوام، نوازع كريمة، وتكون سبباً عملياً في تقويم طبع الولد وخلقه، وتنشئته تنشئة صالحة](٣).

وتحمّل مسؤولية التربية ليست خاصة بالرجل دون المرأة، فالمرأة أيضاً راعية على بيت زوجها وولده، ومسؤولة عن رعيتها.

[فالأم في تحمّل المسؤولية كالأب سواء بسواء، بل مسؤوليتها أهم وأخطر، باعتبار أنّها ملازمة لولدها منذ الولادة إلى أن يشب ويترعرع، ويبلغ السن التي تؤهله ليكون إنسان الواجب ورجل الحياة](٤).

ويجب أن تتفرغ الأم لتربية أطفالها، إلى جانب أداء واجبها المنزلي، وألا تنشغل بعمل آخر وخاصة في السنوات الأولى للطفل: [فالطفل في

---

(١) أخرجه البخاري عن سهل بن سعد، الجزء الثالث، كتاب الجهاد، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة، الصفحة ١٠٧٧، رقم الحديث ٢٧٨٣.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، الجزء الثاني، كتاب الآداب، باب بر الوالد والإحسان إلى البنات، الصفحة ١٢١١، رقم الحديث ٣٦٧١.

(٣) محمد كامل الشربجي، نهج الإسلام في تربية الأطفال، دار البشائر، الطبعة الأولى ١٤١٣ ـ ١٩٩٣، الصفحة ٤٣.

(٤) عبد الله علوان، تربية الأولاد في الإسلام، الجزء الأول، الصفحة ٤١، مرجع سابق.

سنواته الأولى على الأقل، يحتاج إلى أم متخصصة، ولا يشغلها شيء عن رعاية الطفولة وتنشئة الأجيال، وأنّ كلّ أمر تقوم به خلافاً لتدبير أمور البيت ورعاية الأطفال، إنّما يتم على حساب هؤلاء الأطفال، وعلى حساب الجيل القادم من البشرية][(١)].

وهكذا نجد أنّ على الأم أن تشارك زوجها في تربية أطفالها ورعايتهم الرعاية الإسلامية المتكاملة.

وإذا ما قدّر الله عزّ وجلّ موت الأب، كان على الأم أن تتحمل المسؤولية كاملة، وأن تسعى للبحث عن المربين الذين يساعدونها في تحمّل تربية أولادها، كما فعلت الصحابية الجليلة أم سليم، فقد فقدت زوجها، وخلف من بعده ذريّة ضعافاً ومن بينهم أنس، فتعهدته بالتربية وقومته بالخلق الفاضل، ثمّ تولت تعليمه، فصار يجيد الكتابة والقراءة، ثمّ ذهبت به إلى المربي الفاضل ليتمم تربيته التربية الإسلامية المتكاملة.

ذهبت أم سليم إلى رسول الله ﷺ [فقالت: يا رسول الله هذا أنس، غلام لبيب كاتب يخدمك، قال أنس: فقبلني رسول الله ﷺ][(٢)].

وعن أنس بن مالك قال: [خدمت النبيّ صلّى الله عليه وسلم عشر سنين، وما كل أمري كما يحب صاحبي أن يكون، ما قال فيها أف، ولا قال لي لم فعلت هذا! وألا فعلت هذا][(٣)].

---

(١) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، جزءان، دار الشروق، الجزء الثاني، الطبعة السابعة، الصفحة ١٠٨.
(٢) المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة الجزء الثالث، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م، الصفحة ٣٦٧.
(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، الجزء الرابع، رقم الحديث ١٣٠٢٠، الصفحة ٣٨٨.

ومن حرصها على سعادة ابنها، سعت إلى رسول الله ﷺ طالبة الدعاء له.

عن قتادة عن أنس عن أم سليم قالت: يا رسول الله أنس خادمك، ادع له، قال:

«اللهم أكثر ماله، وولده وبارك له فيما أعطيته»(١).

واستجاب الله دعاء نبيّه، فكان له بستان يحمل الفاكهة في السنة مرتين، وكان فيه ريحان يجيء منه ريح المسك، وولد له من صلبه ثمانون ذكراً وابنتان، ومات وله من ولده وولد ولده مائة وعشرون ولداً وتوفي وعمره مائة سنة وثلاث سنين(٢).

ومن صور تربيتها له أنه: [كانت له ذؤابة(٣)، فأراد أن يعجرها(٤)، فنهته أمه وقالت: كان النبيّ يمدها ويأخذ بها](٥).

لقد أراد الصبي أن يلف شعره الطويل حول رأسه، وأدركت أمه أثر هذه البادرة على خلقه، لأنّها بداية افتتانه بنفسه، فحذرته لتبقى له شخصيته التي تسير به إلى تمام الرجولة، ويمتثل الصبي لوصية أمه.

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب الدعوات باب الدعاء بكثرة الولد مع البركة، الصفحة ٢٣٤٤، رقم الحديث ٦٠١٧.

(٢) انظر ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة الجزء الأول، الصفحة ١٢٨.

(٣) ذؤابة: الشعر المضفور من شعر الرأس (ابن منظور لسان العرب، الجزء الخامس، الصفحة ١٥).

(٤) الاعتجار: لفّ الشعر على استدارة الرأس (ابن منظور لسان العرب، الجزء التاسع، الصفحة ٥٦).

(٥) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، الجزء الأول، الصفحة ١٢٧.

وهذه الصورة من التربية فيها الدروس والعبر الكثيرة لتربية الأبناء التربية السليمة، فمثل هذه اللفتات الرشيدة في مستهل حياة الطفل، لها أثر كبير في حياته المقبلة، تقيم عوجه وتطبعه بطابع الجد والصراحة والتزام الحق في تناوله للأمور.

وكذلك الرجل إذا فقد زوجته عليه أن يؤثر جانب أولاده وتربيتهم، على جانب رغباته وميوله فإن أراد الزواج فعليه أن ينتقي الزوجة الصالحة، التي تعينه على تربية أطفاله، ولو أدى به ذلك ترك رغباته ومشتهيات نفسه وهواها، وهذا ما فعله الصحابي الجليل جرير بن عبد الله عندما مات والده وترك له اخوة صغاراً، فآثر الزواج بامرأة ثيب تعينه على تربية إخوته، ولم يلتفت إلى رغباته الذاتية وطلباته الخاصة لانتقاء زوجته.

«عن جابر رضي الله عنه قال: تزوجت امرأة فأتيت النبي ﷺ فقال: **أتزوجت يا جابر؟** فقلت: نعم، فقال: **بِكراً أم ثيباً؟** فقلت: لا بل ثيباً فقال: **هلا جارية تلاعبها وتلاعبك**، فقلت: يا رسول إن عبد الله (أي والده) مات وترك سبع بنات أو تسعاً فجئت بمن يقوم عليهن، قال: فدعا لي»(1).

وأخيراً فإنّنا نجد أنّ الإسلام بمصدريه القرآن الكريم والسنّة المطهّرة، قد حمّل الوالدين مسؤولية رعاية الأولاد وتربيتهم منذ الصغر، وتنشئتهم النشأة الإيمانية الحسنة، وسيسألان عن هذه المسؤولية يوم القيامة.

فإن تحمّل الوالدان مسؤوليتهما هذه كما ينبغي، وكما رسمتها

---

(1) أخرجه الترمذي، الجزء الرابع، كتاب النكاح، باب ما جاء في تزويج الأبكار، الصفحة ٥٢، رقم الحديث ١١٠٠، وقال حديث حسن صحيح.

الشريعة، كان الأولاد ذخراً لوالديهما في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يصبح الأولاد مضرب المثل، في الصلاح والإيمان والتقوى، والمعاملة والمكانة العالية والمنزلة الرفيعة، فلسان حال كل شاب عندما يكبر وقد وفقه الله بالحفظ والرعاية، وتطبيق الشرع، وقد أصبح ذو مكانة عالية في مجتمعه يشار إليه بالثبات قي إيمانه وتقواه، وصلاحه وبخاصة في دينه ودنياه، لسان حاله قول ابن باديس في فضل والده عليه: [إنّ الفضل يرجع أولاً إلى والدي، الذي رباني تربية صالحة، ووجهني وجهة صالحة، ورضي لي العلم طريقة أتبعها، وشرباً أرده، وقاتني وأعاشني وبراني كالسهم، وحماني من المكاره صغيراً وكبيراً][1].

وبعد الموت الذي ينقطع فيه العمل، يصل إلى الوالدين أعمال صالحة، ترفع من درجاتهما وذلك بفضل أعمال ودعاء الأولاد لهما. وقد ورد في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال:

«إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[2].

أما إن أهمل الوالدان تربية أولادهما، فإنّ خطراً كبيراً سيعود أول ما يعود على الوالدين في الدنيا والآخرة.

قال الشاعر:

إهمال تربية البنين جناية   عادت على الآباء بالويلات

---

(١) مجلة البيان، المنتدى الإسلامي لندن، العدد ١٣ عن كتاب ابن باديس، د. عمار الطالبي.

(٢) أخرجه مسلم، الجزء الثالث، كتاب الوصية، باب مايلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، الصفحة ١٢٥٥، رقم الحديث ١٦٣١.

وقال ابن قيم الجوزية:

[فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى، فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنّما جاء فسادهم من قبل الآباء، وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدّين وسنته، فأضاعوهم صغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق، فقال:

يا أبت عققتني صغيراً فعققتك كبيراً، وأضعتني وليداً فأضعتك شيخاً][1].

* * *

(١) ابن الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، مرجع سابق، الصفحة ١٥٦.

الفصل الثالث

القدوة الحسنة في الوالدين والمربين

التقليد والمحاكاة من الوسائل الفطرية الأساسية، التي تساعد الطفل على التربية، ويؤكد المنهج الإسلامي على هذه الوسيلة التربوية، وذلك من خلال القدوة الحسنة، وبما أن التربية الإسلامية لا تعتمد على الناحية التعليمية فحسب، وإنما ترنو إلى تهذيب السلوك، وتقويم الأخلاق، وتثبيت العقيدة فلا بد من وجود القدوة الحسنة الذي يطبق الإسلام عملياً ليقتدى به.

والقدوة في التربية، هي من أ نجح الوسائل المؤثرة في إعداد الولد وتكوينه من جميع النواحي المختلفة (الصحية والنفسية والعقلية والخلقية والاجتماعية . . .).

ذلك أن المربي، هو المثل الأعلى في نظر الطفل، والأسوة الصالحة في عين الولد، يقلده سلوكياً ويحاكيه فكرياً وخلقياً من حيث يشعر أو لا يشعر، بل تنطبع في قلبه وإحساسه صورته القولية والقلبية، والحسية والمعنوية، من حيث يدري أو لا يدري.

[من هنا كانت القدوة عاملاً كبيراً في صلاح الولد أو فساده: فإن كان

المربي صادقاً أميناً خلوقاً، كريماً شجاعاً عفيفاً، نشأ الولد على الصدق والأمانة، والخلق والكرم، والشجاعة والعفة، وإن كان المربي كاذباً خائناً متحللاً بخيلاً، جباناً نذلاً، نشأ الولد على الكذب والخيانة، والتحلل والجبن والبخل والنذالة](1).

وقد اختار الله سبحانه وتعالى الرسول ﷺ ليكون القدوة الأولى والعليا لجميع المسلمين فقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقد قال رسول الله ﷺ عن نفسه: «**أدبني ربي فأحسن تأديبي**»(2).

وكان عليه الصلاة والسلام المثل الأعلى في تطبيق ما جاء به القرآن الكريم.

فقد روي عن سعد بن هشام بن عامر قال: [يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ، قالت: ألست تقرأ القرآن ؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن](3).

---

(١) عبد الله علوان، تربية الأولاد في الإسلام، الجزء الثاني، مرجع سابق، الصفحة ٦٣٣.

(٢) الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة، الجزء الأول، الصفحة ١٧٣، رقم الحديث ٧٢، وقال ابن تيمية في مجموعة الرسائل الكبرى، الجزء الثاني، الصفحة ٣٣٦: معناه صحيح ولكن لايعرف له إسناد ثابت.

وذكره الشيخ اسماعيل العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عن مااشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، الجزء الأول، الصفحة ٧٠، وقال في الأصل رواه العسكري عن علي رضي الله عنه، وسنده ضعيف جداً ولكن معناه صحيح.

(٣) أخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، الصفحة ٥١٢، رقم الحديث ٧٤٦.

فكان ﷺ الترجمان الحي، لتوجيهات القرآن الكريم، والقدوة المتحركة لتطبيقاتها [ولعل أهمية القدوة هنا، أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه يثبت بالبراهين العملية، والتجارب العقلية، أن ما يدعوا إليه هو أمر ممكن التنفيذ، وآية ذلك أنه مشخص في سلوكه](١). فتأثر الصحابة رضوان الله عليهم، وتربوا على يديه، وساروا على منهجه، وكانوا أفضل جيل في التاريخ.

وقد تعلم الصحابة الكرام الكثير من أمور دينهم، بطلب من رسول الله ﷺ أن يقتدوا به، فكان يقول لهم: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»(٢).

وعن جابر بن عبد الله قال: أفاض رسول الله ﷺ من عرفة، وعليه السكينة وأمرنا بالسكينة ثم قال: «خذوا مناسككم، لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا»(٣) وروى سهل بن سعد قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ قام عليه - يعني المنبر - فكبر وكبر الناس وراءه، وهو على المنبر، ثم رفع فنزل القهقرى حتى سجد في أصل المنبر، ثم عاد وحتى فرغ من آخر صلاته، ثم أقبل على الناس فقال: «**يا أيها الناس إني إنما صنعت هذا لتأتموا بي ولِتَعلموا صلاتي**»(٤) (أي لتتعلموا).

---

(١) د.سعيد اسماعيل علي، أصول التربية الإسلامية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٨م.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الأول، كتاب الآذان، باب الأذان للمسافر، الصفحة ٢٢٦، رقم الحديث ٦٠٥.

(٣) أخرجه النسائي، السنن الكبرى، الجزء الثاني، كتاب الحج، باب الأمر بالسكينة في الإفاضة من عرفة، الصفحة ٤٢٥، رقم الحديث ٤٠١٦.

(٤) أخرجه البخاري، الجزء الأول، كتاب الجمعة، باب الخطبة على المنبر، الصفحة ٣١٠، رقم الحديث ٨٧٥. =

وكان ﷺ يسمعهم الآية أحياناً في صلاة الظهر مع أنها سرية، وكانوا يسمعون منه النغمة بـ (سبح اسم ربك الأعلى) و(هل أتاك حديث الغاشية)[١].

مما سبق، نجد أن الرسول ﷺ هو القدوة الحسنة، والمثل الأعلى لجميع المسلمين في كل زمان ومكان، في تطبيق المنهج الإسلامي الكامل.

وفي مجال بحثنا المطروح، فإن الوالدين مطالبان بأن يقتديا بالرسول الأعظم ﷺ ليكونا القدوة الحسنة لأبنائهما، ليتربوا التربية الإسلامية المتكاملة، وذلك بالتمسك الكامل بتعاليم الإسلام وتطبيقاته، في جميع مجالات الحياة، لأنهم العنصر الأول المؤثر في عملية التربية عند الأطفال الناشئة:

[لقد أدت المقارنة بين اتجاهات الأطفال، واتجاهات آبائهم الدينية إلى أن تلك الاتجاهات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً، ويؤيد هذا الفرض القائل: بأن الفرد يتعلم القيم الدينية عن طريق الاحتكاك الاجتماعي، وعلاوة على ذلك، فقد وجد أن تشجيع الآباء لأبنائهم على اعتناق المبادىء الدينية، كان مرتبطا ليس فقط باتجاهات الأطفال الدينية، ولكن أيضاً بكثرة ارتيادهم لأماكن العبادة، ويوضح ذلك قيمة الدور الذي يمكن أن يقوم به الآباء في تنمية الجوانب الدينية والخُلقية في أبنائهم][٢].

= وأخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب المساجد مواضع الصلاة، باب جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة، الصفحة ٣٨٦، رقم الحديث ٥٤٤.

(١) ابن خزيمة في صحيحه، الجزء الأول، كتاب الصلاة، باب ذكر قراءة القرآن في الركعتين الأوليتين، الصفحة ٢٥٧.

(٢) عبد الرحمن محمد عيسوي، دراسات سيكلوجية، منشأة المعارف، الاسكندرية، الصفحة ٢٣٧.

ولا ننسى أثر المحاكاة والتقليد عند الصغار، فالصبي في مثل هذه السن الصغيرة، لا يزن الأمور ولا يقدر مرامي الأعمال، وإنما يتصرف ويسلك تحت تأثير المحاكاة الفطرية في النفس، وللمربي الأثر البالغ في غرس العقيدة والقيم، والأخلاق والسلوك في نفوس الناشئة.

وقد تنبه المربون إلى هذا الدور، وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله:

[ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج، الاعتناء بأمر خلقه، فإنه ينشأ عما عوده المربي في صغره من حرد وغضب ولجاج وعجلة وخفة مع هواه، وطيش وحدة وجشع، فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك، وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له، فلو تحرز منها غاية التحرز فضحته ولابد يوماً ما، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها][1].

من كل ذلك، نرى أثر قدوة الوالدين والمربين في أولادهم، بل لهم أكبر الأثر في تحديد عقيدة أبنائهم المستقبلية، كما بين ذلك رسول الله ﷺ:

«فأبواه يهودانه أوينصرانه أو يمجسانه»[2].

لذلك يجب على الوالدين أن يقوما بتوفير الجو الديني والروحي المطلوب في البيت الذي يعيشان فيه، ويتم ذلك بتطبيق الوالدين أوامر الله كاملة، فيرى الطفل ذلك أمام عينيه، فيحاكيهما ويتأسى بهما ويتربى على ذلك، هذا ولصلاح الوالدين أثر كبير على نفس الطفل

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود، تحقيق محمد علي أبو العباس، الصفحة ١٦٢.

(٢) متفق عليه وقد سبق تخريجه.

وتربيته، فينشأ على الطاعة والانقياد لله وهذا ما أكدته الآية الكريمة: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٤].

فإذا ما نشأت الذرية على الطاعة لله والدعوة لدينه، كان اللقاء بينهم في جنات الخلد: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍۚ كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

ولصلاح الوالدين أيضاً أثر في رعاية الله وحفظ أولادهما: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢].

قال القرطبي: [فيه ما يدل على أن الله تعالى يحفظ الصالح في نفسه، وفي ولده وإن بعدوا عنه، وقد روى أن الله تعالى يحفظ الصالح في سبعة من ذريته، وعلى هذا يدل قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].][(١)].

كذلك يجب على الوالدين أن يراقبا أعمالهما، وينتبها إلى تصرفاتهما جيداً، لأن أولادهما سيفعلون ويحاكون ويطبقون كل ما يرونه أو يسمعونه منهما.

ولقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على مثل هذه الأمور.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«من قال لصبي تعالَ هاك[(٢)]، ثم لم يعطه فهي كذبة»[(٣)].

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء الحادي عشر، الصفحة ٣٨ ـ ٣٩.

(٢) هاك: خذ (ابن منظور، لسان العرب، المجلد الخامس عشر، الصفحة ١٠).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة، الجزء الثالث، الصفحة ٤٦٧، رقم الحديث ٩٨٤٣.

وعن عبد الله بن عامر قال:

«دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد بيننا وقالت: تعالَ أعطِك، فقال لها رسول الله ﷺ: ما أردت أن تعطيه؟، قالت: أردت أن أعطيه تمراً، فقال لها: أما لو أنك لو لم تعطه شيئاً، كتبت عليك كذبة»(١).

وبما أن الأولاد يراقبون سلوك والديهم، فإنهم سيقتدون بهما، فإن كان الوالدان صادقين نشأ الأولاد على الصدق، وكذلك في باقي الأمور الأخرى، وسيقومون بتقليد قدوتهم في جميع أعمالهم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: [بت عند خالتي ميمونة ليلة، فنام النبي ﷺ، فلما كان في بعض الليل قام رسول الله ﷺ فتوضأ من شن معلق وضوءاً خفيفاً، ثم قام يصلي فقمت فتوضأت نحواً مما توضأ، ثم جئت فقمت عن يساره، فحولني فجعلني عن يمينه، ثم صلى ما شاء الله](٢).

وأنس بن مالك الذي دفعته أمه وهو طفل، ليخدم رسول الله، ويتعلم منه، استفاد كثيراً من خدمته وملازمته لرسول الله ﷺ.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: [ما رأيت أحداً أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من ابن أم سليم «يعني أنساً»](٣).

والطفل الناشىء من خلال مراقبته لسلوك والديه وكلامهما، سيتساءل

---

(١) أخرجه أبو داوود في سننه، الجزء الرابع، كتاب الأدب، باب في التشديدفي الكذب، الصفحة ٢٩٨، رقم الحديث ٤٩٩١.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الأول، كتاب صفة الصلاة، باب وضوء الصبيان، الصفحة ٢٩٣، رقم الحديث ٨٢١.

(٣) ابن حجر العسقلاني، الجزء الأول، الإصابة في تمييز الصحابة، الصفحة ٧٢.

عن سبب ذلك، وسوف يقلد ويطبق، حتى يعتاد على ذلك ويصبح عنده سلوكاً ثابتاً.

عن عبد الله بن أبي بَكْرة رحمه الله قال: [قلت يا أبت أسمعك تقول كلَّ غداة: اللهم عافني في سمعي ـ اللهم عافني في بصري ولاإله إلا أنت (تكررها ثلاثاً حين تصبح وثلاثاً حين تمسي)، فقال: يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يدعو بهن فأنا أحب أن أستن بسنته][1].

ففي فطرة الطفل ميل قوي للمحاكاة والتقليد لمن حوله، وهو عندما يرى والديه يطبقان الفضائل السلوكية، تتولد لديه القناعة بأن بلوغ هذه الفضائل في متناول القدرات الإنسانية، فيثير ذلك في نفسه الاستحسان والإعجاب، وتهيج في نفسه دوافع الغيرة، فيحاول تقليد ما استحسنه وأعجب به.

[ويجب أن يكون الوالدان على وفاق وتفاهم تامين في كل الأمور، وخاصة في مسألة تربية الأطفال وألا يبدو بينهما التناقض في التربية والتوجيه، والأم المربية حقاً، هي التي تساعد أطفالها على احترام والدهم وبره، إذ تجعل له مكانة جليلة أمامهم، فيقبلون على قبول النصح والطاعة، والأم الجاهلة قد تستغل طيبة الأب، وتساعدهم على التمرد عليه. وإن كان قاسياً فقد تخفي عليه أمرهم، وتظهر ذلك لأولادهما فيستخفون به، ويستهينون بشأن توجيهاته. وعلى الأب كذلك أن يحترم زوجته، ويقدرها، وخاصة أمام الأطفال ليقتدوا به في سلوكه][2].

---

(١) أخرجه أبو داوود في سننه، الجزء الرابع، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، الصفحة ٣٢٤، رقم الحديث ٥٠٩٠.

(٢) محمد حامد الناصر وخولة عبد القادر درويش، تربية الأطفال في رحاب الإسلام، الصفحة ٢٦٦، مرجع سابق.

وإلى جانب الوالدين، فإن للمربي أيضاً الأثر البالغ في غرس القيم والسلوك في الناشئة، فكثيراً ما يطبع الناس بطابع المعلمين أو الدعاة، أو الأئمة أو المربين الذين يتأثرون بهم، لذلك يجدر بالمربي أن يكون قدوة حسنة، ومثلاً أعلى يحتذيه الطفل وفي ذلك عرض عملي للفضائل التي يدعو إليها، لأن [ناشئتنا يفترضون في معلمهم البراءة من كل عيب والتنزه عن كل خطأ ويحلونه دائماً محل القداسة فهو المثل الأعلى في أنظارهم والقدوة الحسنة في نفوسهم فينبغي أن يحذر من أن يقلدوه فيما يسيء إليهم وإلى ذويهم وإلى مجتمعهم الذي يعيشون فيه](1).

وأخيراً يجب على الوالدين والمربين، التيقن من أن موضوع الاعتقاد والإيمان ثم التطبيق والعمل، والالتزام والتخلق، أمور ضرورية للقدوة، حتى يحصل التأثير فيمن يقتدون به ويتربون عنه ويستفيدون منه، فكيف يطاع مرب يقوم بالتدخين ثم يأمر بعدمه ويتحدث عن مضاره ؟ وكيف يقتدي بمرب يجلس لمشاهدة الأفلام الماجنة ثم يصرخ في وجوه من يربيهم لينصرفوا عنها، ذاكراً أضرارها ومفاسدها ؟ وكيف يصلي الأولاد، وهم لايرون والديهما يقومان بأداء الصلوات ؟

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن المربي الذي لا يلتزم بما يدعو إليه، يقع تحت المعاتبة والتوبيخ والبغض الإلهي في الدنيا قبل الدار الآخرة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢-٣].

---

(١) محمد علي الأبشيهي، تربية الناشئة في ضوء السيرة والسنة، البحوث والدراسات المقدمة للمؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية، الطبعة الأولى، الجزء الخامس، الصفحة ٤٩٧، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

وقال سبحانه: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

ثم ينال المصير السيىء في الآخرة.

عن أسامة بن زيد، رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه»[1].

ونختم هذا الفصل بقول الشاعر[2]:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا ... كيما يصح به وأنت سقيم
إبدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما وعظت ويقتدى ... بالعلم منك وينفع التعليم

* * *

(١) أخرجه البخاري، الجزء الثالث، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، الصفحة ١١٩١، رقم الحديث ٣٠٩٤، واللفظ له.
وأخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولايفعله، الصفحة ٢٢٩٠،
رقم الحديث ٢٩٨٩.

(٢) ذيل كتاب المنذري، الترغيب والترهيب، تحقيق مصطفى محمد عمارة، الجزء الأول، الصفحة ١٢٨.

الفصل الرابع

أهمية المحبة والرحمة والمودة في التربية

عند الحديث عن تربية الأولاد، لا بد من الحديث عن صفة هامة، يجب أن يتحلى بها الوالدان والمربون، وهي المحبة والرحمة والمودة مع أولادهم، لأنها تبني العلاقة الصحيحة بين المربين والأطفال، فينشؤون نشأة سليمة صحيحة.

وهذه الصفة ترتبط بالعاطفة حيث [تشكل العاطفة مساحة واسعة في نفس الطفل الناشىء، وهي تكون نفسه، وتبني شخصيته، فإن أخذها بشكل متوازن، كان إنساناً سوياً في مستقبله وفي حياته كلها وإن أخذها بغير ذلك سواء بالزيادة أو النقصان تشكلت لديه عقد لا تحمد عقباها، فالزيادة تجعله مدللاً لا يقوم بتكاليف الحياة بجد ونشاط، ونقصانها يجعله إنساناً قاسياً عنيداً على كل من حوله، لذلك فإن البناء العاطفي له أهمية خاصة في بناء نفس الطفل وتكوينه][1].

ويلعب الوالدان الدور الأكبر في البناء العاطفي في أولادهما، لأنهما

---

(١) محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، منهج التربية النبوية للطفل، مرجع سابق، الصفحة ١٧٩.

المصدر الأساسي لأشعة العاطفة عند أولادهما، وهما الركن الرشيد الذي يأوي إليه الطفل لينعم بحرارة العاطفة، ونعمة الأبوة والأمومة. لذلك أودع الله في قلبي الأبوين المشاعر النبيلة، والعاطفة الجياشة لينشأ الأطفال نشأة عاطفية متكاملة، فقذف في قلبيهما الرحمة بالأولاد والرأفة بهم والعطف عليهم.

ولقد حض الإسلام الوالدين والمربين، على التحلي بصفة الرحمة والرأفة والمحبة للأطفال لينشأ الأطفال النشأة الإسلامية الصحيحة المتوازنة المتكاملة. والرحمة بالأطفال هي الصفة التي تدفع للعناية بهم، والرأفة بهم ومحبتهم، والرحمة صفة من صفات الله فنحن نستفتح جميع أعمالنا ببسم الله الرحمن الرحيم. والرحمة صفة من صفات رسول الله ﷺ بل أرسله الله بها فقال جل وعلا:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وبين له أسلوب النجاح في الدعوة فقال له:

﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾

[آل عمران: ١٥٩].

وكان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالصغار فقد روي عن أنس قوله:

[ما رأيت أحداً أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ](١).

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما: «**كان رسول الله ﷺ يأخذني**

---

(١) أخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، الصفحة ١٨٠٨، رقم الحديث ٢٣١٦.

فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن على فخذه الآخر ثم يضمهما ثم يقول: اللهم ارحمهما فإني أرحمهما»(١).

ولقد اهتم الرسول ﷺ بموضوع الرحمة وحرص على تحلي الكبار بهذا الخلق الكريم، والشعور النبيل.

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**أتى النبي ﷺ رجل ومعه صبي، فجعل يضمه إليه، فقال النبي ﷺ: أترحمه، قال: نعم، قال: فالله أرحم منك به، وهو أرحم الراحمين**»(٣).

ومن صورة رحمة الرسول ﷺ بالأطفال. ماروي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأدخل في الصلاة، وإني أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي، مما أعلم، لوجد أمه ببكائه**»(٤).

[وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي بالناس،

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب الأدب، باب وضع الصبي على الفخذ، الصفحة ٢٢٣٦، رقم الحديث ٥٦٥٧.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، الجزء السادس، كتاب البر والصلة، باب ماجاء في رحمة الصبيان، الصفحة ١٧٠، رقم الحديث ١٩٢٠.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب رحمة العيال، الصفحة ١١٩، رقم الحديث ٣٧٧.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه، الجزء الأول، كتاب إقامة الصلاة والسنة، باب الإمام يخفف الصلاة إذا حدث أمر، الصفحة ٣١٦، رقم الحديث ٩٨٩.

وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها](١).

وكان رسول الله ﷺ إذا رأى أحداً من أصحابه، لا يرحم أولاده، يزجره بحزم، ويوجهه إلى ما فيه صلاح البيت والأسرة والأولاد، فقد روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**أتى النبي ﷺ ناس من الأعراب فقال له رجل منهم: يا رسول الله أتقبلون الصبيان؟ فوالله ما نقبلهم، فقال رسول الله ﷺ: أو أملك أن كان الله عز وجل نزع من قلبك الرحمة؟**»(٢).

وعن أنس بن مالك قال: «جاءت امرأة إلى عائشة رضي الله عنها، فأعطتها عائشة ثلاث تمرات، فأعطت كل صبي لها تمرة، وأمسكت لنفسها تمرة، فأكل الصبيان التمرتين ونظرا إلى أمهما، فعمدت الأم إلى التمرة فشقتها فأعطت كل صبي نصف تمرة، فجاء النبي ﷺ فأخبرته عائشة فقال: **وما يعجبك من ذلك؟ لقد رحمها الله برحمتها صبييها**»(٣)

ولقد مدح رسول الله ﷺ نساء قريش باتصافهن بالحنو على الولد والاهتمام به ورعايته، روى عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«**خير نساءٍ ركبن الإبل صالحو نساء قريش، أحناه على ولد في**

---

(١) أخرجه أبو داود، الجزء الأول، كتاب الصلاة، باب العمل في الصلاة، الصفحة ٢٤١، رقم الحديث ٩١٧.
وأخرجه البخاري، الجزء الأول، كتاب سترة المصلي، باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة، الصفحة ١٩٣، رقم الحديث ٤٩٤

(٢) أخرجه البخاري، في الأدب المفرد، باب من لا يَرحم لا يُرحم، الصفحة ٤٢، رقم الحديث ٩٨.

(٣) أخرجه البخاري، في الأدب المفرد، باب الوالدات رحيمات، الصفحة ٤٠، رقم الحديث ٨٩.

صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده»[(١)] .

ولصفة الرحمة والمودة والمحبة مظاهر كثيرة أظهرها لنا رسول الله ﷺ:

أولاً ـ إفشاء السلام:

لما له من إشعار الطفل بمكانته وتقدير الآخرين له.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه مر على صبيان مسلماً عليهم وقال: [كان النبي ﷺ يفعله][(٢)] .

ثانياً ـ القبلة:

لما لها من كبير الدلالة على الحب، ومالها من دور فعال في تحريك مشاعر الطفل وعاطفته، وتسكين ثوراته وغضبه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**قبل النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال الأقرع بن حابس: إن لي عشرة من الولد، ما قبلت منهم أحداً، فقال رسول الله ﷺ: من لا يَرحم لا يُرحم»**[(٣)] .

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب النكاح، باب إلى من ينكح وأي النساء خير، الصفحة ١٩٥٥، رقم الحديث ٤٧٩٤.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب الإستئذان، باب التسليم على الصبيان، الصفحة ٢٣٠٦، رقم الحديث ٥٨٩٣.

(٣) أخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، الصفحة ١٨٠٨، رقم الحديث ٢٣١٨.

ثالثاً ـ المداعبة والممازحة:

لما في ذلك من تعميق الصلة والمحبة بين المربين والأطفال، عن جابر رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يمشي على أربع والحسن والحسين رضي الله عنهما على ظهره وهو يقول: «**نعم الجملان جملكما ونعم الحملان أنتما**»(١). وكان يصنع مثل ذلك مع حفيدته أمامة بنت العاص رضي الله عنها «عن أبي قتادة الأنصاري، أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ، ولأبي العاص بن الربيع بن عبد شمس فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها»(٢). وعن جابر رضي الله عنه قال: «كنا مع رسول الله ﷺ، فدعينا إلى طعام فإذا حسين يلعب في الطريق، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم، ثم بسط يده فجعل الغلام يفر ههنا وههنا، ويضاحكه النبي ﷺ حتى أخذه، فجعل إحدى يديه في ذقنه، والأخرى بين رأسه، ثم اعتنقه ثم قال النبي ﷺ: **حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، الحسين سبط من الأسباط**»(٣). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

«سمعت أذناي هاتان، وأبصرت عيناي هاتان رسول الله ﷺ وهو آخذ بكفيه جميعاً حسناً، أو حسيناً وقدماه على قدمي رسول الله ﷺ وهو

---

(١) أخرجه ابن مردويه، الصفحة ٢٠٧، رقم الحديث ١٠٩.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الأول كتاب سترة المصلي باب إذاحمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة الصفحة ١٩٣رقم الحديث ٤٩٤.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب معانقة الصبي، الصفحة ١١٦، رقم الحديث ٣٦٤.

يقول: **حُزُقَّة حُزُقَّة**[١] **ارْقِ عَيْنُ بَقَّة**[٢]، فيرقى الغلام حتى يضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ، ثم قال له: **افْتَحْ قال ثم قبله ثم قال: اللهم أَحِبَّهُ فَإِنِّي أُحِبُّهُ**»[٣].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ، كان يدخل على أم سليم ولها ابن من أبي طلحة يكنى أبا عمير، وكان يمازحه فدخل عليه فرآه حزيناً فقال: «**مالي أرى أبا عمير حزيناً، فقالوا: مات نغره الذي كان يلعب به، قال: يا أبا عمير ما فعل النغير**»[٤].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**دخل علي رسول الله ﷺ، وأنا ألعب بالبنات (اللعب)، فقال: ما هذا يا عائشة؟ قالت: خيل سليمان ولها أجنحة، فضحك**»[٥].

وعن عبد الله بن شداد قال: «**بينما رسول الله ﷺ يصلي بالناس**، إذ جاءه الحسين فركب عنقه، وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر، فلما قضى صلاته قالوا: قد أطلت السجود يا رسول الله

---

(١) حُزُقَّة حُزُقَّة: الضعيف الذي يقارب خطوه من ضعف (ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، الصفحة ١٥٤).

(٢) ارْقِ عَيْنُ بَقَّة: اصعد، كناية عن صغر العين (المرجع نفسه، الصفحة نفسها).

(٣) أخرجه الطبراني، المعجم الكبير، باب الحاء، الجزء الثالث، الصفحة ٤٩، رقم الحديث ٢٦٥٣.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، الجزء الرابع، الصفحة ٢٠٤، رقم الحديث ١٢٢٠٠.

أخرجه أبو داود، في سننه، الجزء الرابع، كتاب الأدب، باب ما جاء في الرجل يكنى وليس له ولد، الصفحة ٢٩٣، رقم الحديث ٤٩٦٩.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، الجزء الرابع، كتاب الأدب، باب في اللعب بالبنات، الصفحة ٢٨٣، رقم الحديث ٤٩٣٢.

حتى ظننا أنه قد حدث أمر، فقال: **إن ابني قد ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»**[1].

وعن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت: «أتيت رسول الله ﷺ مع أبي، وعلي قميص أصفر، فقال رسول الله ﷺ: سَنَهْ سَنَهْ قال عبد الله: وهي بالحبشية حسنة قالت: فذهبت ألعب بخاتم النبوة، فزبرني أبي، فقال رسول الله ﷺ: دعها ثم قال: **أَبلِي وأَخْلِقِي، ثم أبلي وأخلقي، ثم أبلي وأخلقي قال عبد الله: فبقيت حتى ذكر يعني من بقائها»**[2].

ومن لطائف ملاعبته ﷺ للأطفال: أنه دعا لعبد الله بن جعفر، وهو يبيع مع الصبيان (أي يلعب لعبة البيع) فقال: **«اللهم بارك له في بيعه»**[3].

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال له: **«ياذا الأذنين، يعني، يمازحه»**[4].

وعنه أيضاً رضي الله عنه قال: **«كان رسول الله ﷺ يلاعب زينب بنت**

---

(١) الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، الجزء الرابع، الصفحة ١٦٥.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب الأدب، باب من ترك صبية غيره حتى تلعب أو قبلها أو مازحها، الصفحة ٢٢٣٤، رقم الحديث ٥٦٤٧.
وزبرني: أي نهرني، وعبد الله هو عبد الله بن المبارك، وهو متصل بالإسناد المذكور.
وأبلي وأخلقي: أي إلبسي إلى أن يصيرخلقاً بالياً (القسطلاني، إرشاد الساري، المجلد التاسع، الصفحة ١٤).

(٣) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، الجزء الثاني، الصفحة ٢٨٩.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، الجزء الرابع، كتاب الأدب، باب ماجاء في المزاح، الصفحة ٣٠١، رقم الحديث ٥٠٠٢.

أم سلمة، ويقول: يا زوينب يازوينب مراراً»[1].

وأثرت هذه التربية في نفوس الصحابة، فأخذوا يقتدون برسول الله ﷺ.

قال عمر رضي الله عنه: [ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي، (أي في الأنس والبشر وسهولة الخلق، والمداعبة مع أولاده) فإذا التمس ما عنده، وجد رجلاً][2].

حتى أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ليعزل أحد عماله من الولاية، لأنه وجد منه دليلاً واضحاً على قسوة قلبه تجاه أولاده، فكيف يرحم الناس؟

[عن محمد بن سلام قال: استعمل عمر بن الخطاب رجلاً على عمل، فرأى الرجل عمر يقبل صبياً له، فقال الرجل: تقبله وأنت أمير المؤمنين، لو كنت أنا ما فعلته، قال عمر: فما ذنبي إن كان نزع من قلبك الرحمة! إن الله لا يرحم من عباده إلا الرحماء، ونزعه عن عمله، فقال: أنت لا ترحم ولدك، فكيف ترحم الناس][3].

وهذا أبو هريرة ـ وكان يستخلفه مروان على المدينة ـ يمازح الأطفال

---

(١) الهندي، كنز العمال، الجزء السابع، الصفحة ١٤٠، رقم الحديث ١٨٤٠٣، وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، المجلد الثاني، حرف الكاف، باب كان وهي من الشمائل الشريفة، الصفحة ٨٩٦، رقم الحديث ٥٠٢٥.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء الثاني، كتاب آداب النكاح، باب آداب المعاشرة، الصفحة ٤٤.

(٣) عبد الرحمن الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، الجزء الثاني، باب في فضل العدل واجتناب الظلم، فصل في الشفقة على خلق الله تعالى، الصفحة ٣٠٤.

بل ويشاركهم لعبهم، وربما أتى الصبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الأعراب فلا يشعرون، حتى يلقي نفسه بينهم ويضرب برجليه فيفزع الصبيان فيفرون[1].

وعن أبي سفيان قال: «دخلت على معاوية وهو مستلق على ظهره وعلى صدره صبي أو صبية تناغيه فقلت: أمطر عنك هذا يا أمير المؤمنين، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **من كان له صبي فليتصاب له**»[2].

رابعاً ـ مسح رأس الطفل وخديه:

لإشعاره بلذة الرحمة والحنان، والحب والعطف، الأمر الذي ينمي إحساس الطفل بوجوده وبحنو الآخرين عليه وحبهم له واهتمامهم به.

عن أنس رضي الله عنه قال: [كان رسول الله ﷺ يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم ويمسح برؤوسهم ويدعو لهم][3].

وعن جابر بن سمرة ـ وهو من أطفال الصحابة ـ قال: «**صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى ـ يعني صلاة الظهر ـ ثم خرج إلى أهله، وخرجت معه فاستقبله ولدان فجعل ﷺ يمسح خدي أحدهم واحداً**

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، الجزء الثاني، الصفحة ٦١٤.

(٢) أخرجه الديلمي في الفردوس، الجزء الثالث، الصفحة ٥١٣، رقم الحديث ٥٥٩٩.

وأخرجه المناوي، فيض القدير، الجزء السادس، الصفحة ٢٠٩، رقم الحديث ٨٥٧٥، ذكره في الحاشية برواية ابن عساكر في تاريخه.

(٣) أبو نعيم في الحلية، المجلد السادس، الصفحة ٢٩١، رقم الحديث ٣٨٥.

واحداً، قال جابر: وأما أنا فمسح خدي فوجدت ليده برداً أو ريحاً كأنما أخرجها من جُونة عطار[(1)]»[(2)].

خامساً ـ حسن استقبال الطفل:

لإشعاره بأهميته ومكانته واهتمام الآخرين به.

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: «**كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تلقى الصبيان من أهل بيته، وأنه جاء من سفر فسبق بي إليه، فحملني بين يديه، ثم جيء بأحد ابني فاطمة الحسن والحسين رضي الله عنهما فأردفه خلفه، فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة**»[(3)].

سادساً ـ تفقد حال الطفل:

والسؤال عنه حرصاً عليه ومحبة له.

عن سلمان رضي الله عنه قال: «كنا حول رسول الله ﷺ فجاءت أم أيمن رضي الله عنها فقالت: يا رسول الله لقد ضل الحسن والحسين رضي الله عنهما، قال: وذلك رأد النهار ـ يقول: ارتفاع النهار ـ فقال رسول الله ﷺ: **قوموا فاطلبوا ابنيَّ**، وأخذ كل رجل تجاه وجهة وأخذت نحو النبي ﷺ فلم يزل حتى أتى سفح جبل، وإذا الحسن والحسين

---

(١) جُونة عطار: سليلة مستديرة يجعل فيها العطار عطره (النووي، شرح صحيح مسلم، المجلد الثامن، الجزء ١٥، الصفحة ٨٥)

(٢) أخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي صلى الله عليه وسلم ولين مسه والتبرك بمسحه، الصفحة ١٨١٤، رقم الحديث ٢٣٢٩.

(٣) ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، الجزء السابع، الصفحة ٣٢٩.

رضي الله عنهما يلتزق كل واحد منهما صاحبه، وإذا شجاع ـ أي الحية الذكر ـ قائم على ذنبه، يخرج من فيه شبه النار، فأسرع إليه رسول الله ﷺ، فالتفت مخاطباً لرسول الله ﷺ ثم انساب ـ أي جرى ـ فدخل في بعض الأجحرة، ثم أتاهما فأفرق بينهما ثم مسح وجوهَما وقال: **بأبي وأمي أنتما ماأكرمكما على الله**، ثم حمل أحدهما على عاتقه الأيمن، والآخر على عاتقه الأيسر فقلت: طوبى لكما نعم المطية مطيتكما، فقال رسول الله ﷺ: ونعم الراكبان هما وأبوهما خير منهما»(١).

سابعاً ـ بذل الهدايا والعطايا للأطفال:

لما في ذلك من أثر طيب في نفوسهم، وما فيه من تشجيع لهم وتوثيق ارتباطهم بوالديهم ومربيهم، قال رسول الله ﷺ: «**تهادوا تحابوا**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**كان يؤتى بأول الثمر فيقول: اللهم بارك لنا في مدينتنا، وفي ثمارنا وفي مُدِّنا وفي صاعنا، بركة مع بركة ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان**»(٣).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قدمت هدايا من النجاشي فيها فص حبشي، فأخذه رسول الله ﷺ بعود أو ببعض أصابعه معرضاً عنه ثم دعا أمامة بنت أبي العاص من بنته زينب فقال: **تحلي بهذا يا بنية**»(٤).

---

(١) الهندي، كنز العمال، الجزء الثالث عشر، الصفحة ٦٦٢، رقم الحديث ٣٧٦٨٥.

(٢) أبو يعلى الموصلي في مسنده، عن أبي هريرة رضي الله عنه، الجزء الحادي عشر، الصفحة ٩، رقم الحديث ٦١٤٨.

(٣) أخرجه مسلم، الجزء الثاني، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة، الصفحة ١٠٠٠، رقم الحديث ١٣٧٣.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، الجزء الرابع، كتاب الخاتم، باب ماجاء في =

ثامناً ـ الرفق بهم عند وقوعهم بخطأ ما:

«وروى رافع بن عمرو الغفاري قال: كنت وأنا غلام أرمي نخل الأنصار، فأتي بي النبي ﷺ، فقال: **يا غلام أو يا بني لم ترم نخلهم؟ قال: قلت: آكل. قال: فلا ترم النخل وكل ما يسقط في أسافلها، قال: ثم مسح على رأسي، وقال: اللهم أشبع بطنه**»[1].

جاء في عبقرية عمر للمرحوم الأستاذ عباس العقاد:

[وبلغ من حنانه ـ أي عمر ـ على الأطفال، أنه كان يشفق عليهم أن يحزنوا في لهوهم ولعبهم، فلا يترك الخائف منهم حتى يأمن على لهوه ومحصول لعبه، تحدث سنان بن سلمة: أنه كان في صبيان يلتقط البلح في أصول النخل مع بعض الصبية إذ أقبل عمر فتفرق الغلمان، وثبت هو في مكانه، فلما دنا منه أسرع قائلاً: يا أمير المؤمنين إنما هذا ما ألقت الريح قال: أرني أنظر ـ فإنه لا يخفى علي، فنظر في حجره، ثم قال: صدقت. إلا أن الصبي لم يقنع بهذا حتى يحرسه أمير المؤمنين إلى بيته، فقال: يا أمير المؤمنين أترى هؤلاء الآن؟ وأشار إلى الصبية الهاربين ثم قال: والله لأن انطلقت لأغاروا علي فانتزعوا ما معي، فمشى معه عمر حتى بلغه بيته][2].

= الذهب للنساء، الصفحة ٩٣، رقم الحديث ٤٢٣٥.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، الجزء الثاني، كتاب التجارات، باب من يمر على ماشية قوم أو حائط هل يصيب منه؟، الصفحة ٧٧٠، رقم الحديث ٢٢٩٩.

(٢) عباس محمود العقاد، العبقريات الإسلامية، عبقرية عمر، الصفحة ٥٢٣، مرجع سابق. وعلي الطنطاوي وناجي الطنطاوي، أخبار عمر، عناية عمر بغلام، الصفحة ١٩١.

هذه بعض النماذج من معاملة النبي ﷺ وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم للأطفال بالرحمة والمودة والمحبة، والعطف والحنان، لتكون للوالدين والمربين نماذج تحتذى من قبلهم في معاملتهم لأولادهم، حتى تتعمق الصلة، وتشتد الرابطة، وتقوى المحبة، وتزداد الثقة فيما بين الأطفال والوالدين، أو المربين، وهذا يسهل عملية التلقين والتربية والتعليم والرعاية، ويحصل المطلوب من غرس المنهج الإسلامي في تربية الناشئة، وخاصة في أمور العقيدة، ويجب الانتباه إلى أن:

[من أهم عواقب حرمان الطفل من العطف والحنان والمحبة في سنيه الأولى، هو عدم قدرته على محبة الآخرين أو تلقي المحبة منهم فيما بعد][1].

وفي حديثنا عن المحبة والرحمة والمودة يجب أن ينتبه الوالدان إلى أمرين مهمين:

الأول: الرحمة والمودة والمحبة لجميع الأطفال، ذكوراً كانوا أم إناثاً، متمسكين بذلك، وفق توجيهات الإسلام مبتعدين عن آثار الجاهية الأولى، قال تعالى:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

[النحل: ٥٨ـ٥٩].

أما المؤمن فإنه يرضى بعطاء الله وقسمته وتدبيره المبرم، وإرادته النافذة ومشيئته المطلقة، وأمره الغالب، ويستسلم لذلك فرحاً مسروراً. قال تعالى:

---

(١) د.محمد نبيه الغبرة، المشكلات السلوكية عند الأطفال، مقتبس من كتاب الطفل الطبيعي للطبيب الانكليزي المشهور (ايلنفورث)، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، الصفحة ٥.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩ـ٥٠].

[وللبنت في المنهج الإسلامي اعتبارها الخاص، لقد وقف الإسلام إلى جانبها، وشدد النكير على إهمالها، وضاعف الجزاء لمن أعطاها حقها، وكانت لهذه العناية ما يبرزها:

١) أنها ضعيفة رقيقة المشاعر.

٢) ليس في طباع الآباء الجاهلين ما يدعو إلى الترحيب بها.

٣) ما تحققه تربيتها من أثر مبارك، ينسحب على الذرية التي تجيء امتداداً لها][١].

فقد ورد في الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«**من كن له ثلاث بنات، فصبر على لأوائهن**[٢]**، وضرائهن، أدخله الله الجنة برحمته إياهن، فقال رجل: وإن بنتان يا رسول الله، قال: وإن بنتان، قال رجل: وإن واحدة يا رسول الله، قال: وواحدة**»[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «دخلت علي امرأة ومعها ابنتان لها، تسأل، لم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها شيئاً، ثم قامت فخرجت، فدخل

---

(١) د. محمود محمود عمارة، أولادنا، الصفحة ١٨، مرجع سابق.

(٢) لأواء: الشدة (الرازي، مختار الصحاح، مرجع سابق، الصفحة ٥٨٨).

(٣) أخرجه الحاكم، الجزء الرابع، المستدرك، كتاب البر والصلة، الصفحة ١٧٦.

النبي ﷺ علينا فأخبرته فقال: من ابتلى من هذه البنات بشيء، فأحسن إليهن، كن له ستراً من النار»[(١)].

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه»[(٢)].

وقد قال تعالى في حق النساء:

﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

[النساء: ١٩].

وهكذا البنات أيضاً، قد يكون للعبد فيهن خير في الدنيا والآخرة، ويكفي في قبح كراهيتهن أن يكره ما رضيه الله وأعطاه عبده، وقال صالح بن أحمد: [كان أحمد إذا ولد له ابنة يقول: الأنبياء كانوا آباء بنات، ويقول: قد جاء في البنت ما قد علمت وقال يعقوب بن بختان: ولد لي سبع بنات، فكنت كلما ولد لي ابنة دخلت على أحمد بن حنبل فيقول لي: يا أبا يوسف الأنبياء آباء بنات، فكان يذهب قوله همي][(٣)].

مما سبق نرى ضرورة المساواة بين الأولاد ذكوراً كانوا أم إناثاً، بل على العكس يجب الاهتمام أكثر في تربية الإناث لأنّهنّ أمهات المستقبل

---

(١) أخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان للبنات، الصفحة ٢٠٢٧، رقم الحديث ٢٦٢٩.

(٢) أخرجه مسلم، الجزء الرابع،كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان للبنات، الصفحة ٢٠٢٨، رقم الحديث ٢٦٣١.

(٣) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، مرجع سابق، الصفحة ٢٥.

وعليهنّ تقع مسؤولية تربية الأجيال القادمة كما قال الشاعر حافظ إبراهيم:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

فيجب عدم إهمال تربية الإناث لأن في إهمالهن العار والشنار والدمار والضياع والخسران

وفي ذلك يمكن أن نقول:

إهمال تربية البنات جناية عادت على الآباء بالويلات

الثاني: المساواة والعدل بين الأولاد في كل الحقوق ومنها الرحمة والمودة والمحبة فلا يميز بين أحد الأولاد دون الآخرين ولا يظهر وداً لأحدهم أكثر من الآخرين حتى لا يفسد تربية الأبناء ويوقع بينهم العداوة والبغضاء والشحناء والحسد ويوقعهم في العقوق فالعدل من أهم عوامل الاستقرار النفسي عند الأطفال لأنه يبهج نفوسهم ويريح أفئدتهم، وقد وضح لنا رسول الله ﷺ قاعدة عظيمة في طريقة بر الأطفال وخضوعهم لوالديهم وذلك بالعدل والمساواة.

«عن النعمان بن البشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به إلى رسول الله ﷺ فقال: إني نحلت[1] ابني هذا غلاماً كان لي، فقال رسول الله ﷺ: **أَكُلَّ ولدك نحلته مثل هذا ؟** فقال: لا. فقال رسول الله ﷺ: **لا تشهدني على جور،** ثم قال ﷺ: **أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء ؟** قال: بلى، قال رسول الله ﷺ: **فلا إذن**»[2].

---

(١) نحلت: أعطيت (ابن منظور، لسان العرب، الجزء الرابع عشر، الصفحة ٧٤).

(٢) أخرجه مسلم، الجزء الثالث، كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، الصفحة ١٢٤٣، رقم الحديث ١٦٢٣

وفي رواية فقال: «**أفعلت هذا بولدك كلهم ؟** قال: لا ، قال: **اتقوا الله واعدلوا في أولادكم**، فرجع أبي في تلك الصدقة»[1].

حتى أن رسول الله ﷺ نبه إلى العدل في القبلة بين الصبي والبنت:

«عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً كان جالساً مع النبي ﷺ فجاء بنيٌّ له فقبله وأجلسه في حجره. ثم جاءت بنته فأخذها فأجلسها إلى جنبه فقال النبي ﷺ: **فما عدلت بينهما**»[2].

ولأهمية العدل والمساواة رغب الله بهما وجعل ثوابهما عظيماً يوم الآخرة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**إن المقسطين عند الله على منابر من نور، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلّوا**»[3].

والخلاصة يجب على الآباء والأمهات والمربين أن يأخذوا بأيدي صغارهم مرشدين بهدوء وموجهين بحنان ومعلمين برفق وبهدوء ورحمة حينذاك تكون النتيجة المرضية وتكون الثمرة المرجوة.

ويجب على الوالدين والمربين أن يتصفوا بصفة الرحمة والمودة والمحبة لجميع أولادهم حتى يستطيعوا أداء مسؤوليتهم في تربية أولادهم خير أداء على أحسن وجه.

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الثاني، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، الصفحة ٩٣٨، رقم الحديث ٢٥٠٧.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، الجزء السادس، باب في حقوق الأولاد والأهلين، الصفحة ٤١٠، رقم الحديث ٨٧٠٠.

(٣) أخرجه مسلم، الجزء الثالث،كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، الصفحة ١٤٥٨، رقم الحديث ١٨٢٧.

وأن يسووا بين الأولاد ذكوراً كانوا أم إناثاً وأن يعدلوا بينهم في كل المعاملات حتى تنتج التّربية ثمارها اليانعة وحتى تتحقق الغايات المرجوة منها.

* * *

الباب الثالث

تربية عقيدة الناشئ

الفصل الأول
مقدمات التربية في الجنين

قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء: ١].

ويقول سبحانه:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

خلق الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام، ثمّ خلق له حواء لتكون له زوجة، وكان منهما نسل ابن آدم من الرجال والنساء، الذين تكاثروا وكثروا وانتشروا في هذه الأرض.

ولقد جعل الله الزواج طريق التكاثر الشرعي، وحمّل الوالدين مسؤولية تربية الأولاد التربية المتكاملة في جميع نواحيها، وفي مجال التربية الإسلامية، ومنها التربية العقدية، فإنّ الإسلام يأمر الزوجين أن ينتقي كل منهما الآخر على أساس الدّين، لتتحقق آمالهما في إنجاب الأولاد الصالحين.

والغاية الأولى من الزواج في الإسلام إنجاب الأولاد الصالحين، والرسول صلّى الله عليه وسلّم يحث المسلم أثناء بحثه عن الزوجة الصالحة، أن يعمل بالأسباب المتاحة له في الزمن الذي يعيشه، لمعرفة قدرتها على الإنجاب فيتزوج بالمرأة الولود.

عن معقل بن يسار، قال: جاء رجل إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال: إنّي أحببت امرأةً ذات حسب وجمال وإنّها لا تلد أفأتزوجها ؟ قال لا، ثم أتاه الثانية، ثم أتاه الثالثة فقال:

«تزوجوا الودود الولود، فإنّي مكاثر بكم الأمم»(١).

وإذا كان الانتقاء والاختيار بين الزوجين، على أساس من الدين والأخلاق هو القاعدة الأولى في إنجاب الأولاد الصالحين، فإنّ لذلك متمّماتٍ كثيرة لتحقيق الغاية المنشودة منها:

أولاً ـ بما أنّ ليلة الزفاف هي الليلة الأولى المباركة من عمر الحياة الزوجية، وجب أن تكون حفلة الزفاف حفلة إيمانية شرعية، لا يُرتَكَبُ فيها معصية ولا إثم، وإنّما للقاء الأهل والأصحاب على فرح عظيم بما يرضي الله ضمن حدود الشرع والدين.

ثانياً ـ يستحب للعروسين ليلة الدخول، أن يطهرا باطنيهما، ويزيناهما بالتوبة من جميع الذنوب والآفات، والآثام والعيوب، وعليهما عند الدخول إلى بيتهما، أن يدعوا بما جاء في الحديث عن أبي مالك الأشعري في ذلك رضي الله عنه حيث يقول: قال رسول الله ﷺ:

«إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللّهمّ إنّي أسألك خير المولج، وخير

---

(١) أخرجه أبو داود، الجزء الثاني، كتاب النكاح، باب تزويج الأبكار، الصفحة ٢٢٠، رقم ٢٠٥٠.

المخرج، باسمك اللّهمّ ولجنا وخرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا، ثم ليسلّم على أهله»[1].

ثالثاً ـ فإذا دخل الزوجان مخدع الزوجية [يستحب للزوج أن يسمي الله تعالى، ويأخذ بناصيتها أول ما يلقاها ويقول: بارك الله لكل واحد منّا في صاحبه][2].

ويدعو بما رواه عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله عنهم، عن النبي ﷺ قال: **«إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادماً فليقل: اللّهمّ إنّي أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها، وشر ما جبلتها عليه»** وفي رواية: **«ثم ليأخذ بناصيتها، وليدع بالبركة في المرأة والخادم»**[3].

وفي هذا المعنى يقول الشيخ رضي الدين أبو نصير شارحاً وجهة النظر الإسلامية ليلة العرس:

[إذا أدخلت عليك أهلك فخذ بناصيتها، واستقبل بها القبلة، وقل: اللّهمّ بأمانتك أخذتها، وبكلمتك استحللت فرجها، فإن قضيت لي منها ولداً، فاجعله مباركاً سوياً، ولا تجعل للشيطان فيه شركاً ولا نصيباً][4].

---

(١) أخرجه أبو داود، الجزء الرابع، كتاب الآداب باب ما جاء في من دخل بيته ما يقول، الصفحة ٣٢٥، رقم الحديث ٥٠٩٦.

(٢) ذكره النووي، في الأذكار باب ما يقول الزوج إذا دخلت عليه امرأته ليلة الزفاف، مكتبة مصطفى الحلبي وأولاده مصر، الطبعة الرابعة ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥ م، الصفحة ٢٥١.

(٣) أخرجه أبو داود، الجزء الثاني، كتاب النكاح، باب في جامع النكاح، الصفحة ٢٤٨، رقم الحديث ٢١٦٠.

(٤) الطبرسي، مكارم الأخلاق، باب في آداب الزفاف والمباشرة وغيرهما، دار البلاغة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١م، الصفحة ٢١٨.

رابعاً ـ ثم يستحب للزوجين أن يصليا ركعتين، لأنّ ذلك منقول عن السلف الصالح رضوان الله عليهم، وفيه أثران:

الأول: [عن أبي سعيد مولى أبي أسيد قال: تزوجت وأنا عبد مملوك، فدعوت نفراً من أصحاب النبي ﷺ، وفيهم ابن مسعود وأبو ذر وحذيفة، قال: وأقيمت الصلاة، قال فذهب أبو ذر ليتقدم فقالوا: إليك، قال أو كذلك؟ قالوا نعم(١). قال: فتقدمت بهم وأنا عبد مملوك، وعلموني فقالوا: إذا دخل عليك أهلك فصلّ ركعتين، ثم سل الله تعالى من خير ما دخل عليك، وتعوّذ من شره، ثم شأنك وشأن أهلك](٢).

الثاني: [عن شقيق قال: جاء رجل يقال له أبو جرير فقال: إنّي تزوجت جارية شابة ـ أي بكراً ـ وإنني أخاف أن تفركني ـ أي تبغضني ـ فقال عبد الله يعني ابن مسعود: إن الالف من الله، والفرك من الشيطان، يريد أن يُكرِهَ إليكم ما أحل الله لكم، فإذا أتتك فأمرها أن تصلي وراءك ركعتين، وقل: اللهم بارك لي في أهلي، وبارك لهم فيّ، اللهم اجمع بيننا ما جمعت بخير، وفرق بيننا إذا فرقت بخير](٣).

خامساً ـ ومن اهتمام الإسلام بالجنين حتى قبل أن يتكون، ولمجرد النية في الإنجاب، عند اللقاء بين الزوجين، وجه الرسول ﷺ لما

---

(١) يشيرون بذلك إلى أنّ الزائر لا يؤم المزور في بيته، إلا أن يأذن له لقوله صلى الله عليه وسلم ((لايؤمن الرجل الرجل في سلطانه)) أخرجه مسلم عن أبي مسعود، الجزء الأول، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق الناس بالإمامة، الصفحة ٤٦٤، رقم الحديث ٦٧٣.

(٢) أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، الجزء الرابع، كتاب النكاح، باب ما يؤمر به الرجل إذا دخل على أهله، الصفحة ٣١١

(٣) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

يلي: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«أما لو أنّ أحدهم يقول حين يأتي أهله: باسم الله، اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، ثم قدّر بينهما في ذلك، أو قضي ولد، لم يضره شيطان أبداً»**(١).

فليست العلاقة جنسية محضة، وإنّما هي فوق ذلك دعاء وابتهال ليجنب الله هذا الجنين الشيطان ونزعاته.

وإنّ الاستفتاح باسم الله مأمور به في مثل هذه اللحظة، التي تحتوي الإنسان فيها شهوة جامحة، آخذاً في عين اعتباره مقصود الزواج، وهو الولد الصالح الذي ينجو بالدعوة الصالحة من كيد الشيطان.

سادساً ـ أن ينوي الزوجان في الجماع الولد الصالح، وفي هذا يقول أبو الحسن الماوردي:

[وأن ينوي في ذلك كلّه نية الولد، وأن يتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم، وينوي في الولد أن الله لعله يرزقه من يعبد الله ويوحده، ويجري على يديه صلاح الخلق، وإقامة الحق، وتأييد الصدق، ومنفعة العباد، وعمارة البلاد](٢).

سابعاً ـ وإذا كان لقاء الرجل بأهله مظنة التساهل والتجوز، فإنّ الإسلام يلفت بقوة إلى الحفاظ على أن يبقى الجو إنسانياً وإسلامياً، بما يأمره من الاستتار ليستنزل به دعاء الملائكة، الذي تتم به البركة المأمولة في الولد.

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، باب النكاح، باب ما يقوله الرجل إذا أتى أهله، الصفحة ١٩٨٢، رقم الحديث ٤٨٧٠.

(٢) الماوردي، نصيحة الملوك، باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع، تحقيق الشيخ خضر محمد الخضر، الصفحة ١٦٦.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**إذا أتى أحدكم أهله فليستتر، فإنّه إذا لم يستتر استحيت الملائكة، فخرجت فإن كان بينهما ولد كان للشيطان فيه نصيب**»[(١)].

ثامناً ـ وإن كان الولد الصالح هو ثمرة الزواج الأولى في الإسلام، فإنّه يأخذ في عين الاعتبار كل ما يحقق ذلك من مقدمات تساعد على تكون الجنين، على أفضل مستوى، ومنه أن تتم المتعة في جو من الطهر والنظافة، والتجمّل والسرور والممازحة والملاعبة، والاستعداد النفسي، ففي حديث جابر بن عبد الله مع رسول الله ﷺ. قال رسول الله ﷺ: «**أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك**»،

وفي رواية: «**مالك وللعذارى ولِعابها**» أي: ملاعبتها[(٢)].

«وعن جابر بن عبد الله قال: قفلنا مع النبي ﷺ من غزوة، فتعجلت على بعير لي قطوف[(٣)]، فلحقني راكب من خلفي فنخس بعيري بعنزة[(٤)] كانت معه، فانطلق بعيري كأجود ما أنت راءٍ من الإبل، فإذا النبي ﷺ فقال: ما يعجلك؟ قلت: كنت حديث عهد بعرس، قال: بكراً أم ثيباً؟ قلت: ثيب، قال: فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك. قال: فلمّا ذهبنا

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط، نقلاً عن الزيلعي في كتابه نصب الراية لأحاديث الهداية، الجزء الرابع، كتاب البيوع، الصفحة ٢٤٧، رقم الحديث ٢١.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب النكاح، باب تزويج الثيبات، الصفحة ١٩٥٤، رقم الحديث ٤٧٩١.

(٣) قطوف: بطيء. (القسطلاني، إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، المجلد الثامن، الصفحة ١٣).

(٤) العنزة: عصا طويلة أقصر من الرمح. (المرجع نفسه، الصفحة نفسها)

لندخل، قال: أمهلوا حتى تدخلوا ليلاً[1] لكي تمتشط الشعثة[2] وتستحد المغيبة[3]»[4].

وفي رواية قال ﷺ: «**إما إنّك قادم، فإذا قدمت فالكَيسَ الكَيسَ**[5]»[6].

من هذا الحديث نرى أن الزواج من البكر أمر مرتجى فيه، وذلك لما يحققه في الغالب من المودة والأنس الانبساط وغيرها من المشاعر، التي هي أعظم أهمية من شهوة الجنس، وأبلغ تأثيراً في نفسية الطفل، وتحقيق اتزانه العاطفي.

تاسعاً ـ دعاء الوالدين أن يجعلهما الله من الصالحين وأن يرزقهما الذرية الصالحة فقد وصف الله عزّ وجلّ عباد الرحمن بقوله:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

---

(١) ليلاً: أي عشاءً وذلك لأنّ أهل المدينة علموا بقدوم الرسول صلى الله عليه وسلم. (المرجع السابق، الصفحة نفسها).

(٢) الشعثة: المنتشرة الشعر المغبرة الرأس غير المتزينة. (المرجع نفسه، الصفحة ١٤).

(٣) تستحد: إزالة الشعر وتنظيف البدن. (المرجع نفسه، الصفحة نفسها).

(٤) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب النكاح، باب تزويج الثيبات، الصفحة ١٩٥٤، رقم الحديث ٤٧٩١.

(٥) فالكيس الكيس: حض على طلب الولد، واستعمال الرفق في الجماع. (القسطلاني، إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، المجلد الرابع، الصفحة ٣٥).

(٦) أخرجه البخاري، الجزء الثاني، كتاب البيوع، باب شراء الدواب والحمير، الصفحة ٧٣٩، رقم الحديث ١٩٩١.

وهكذا كان الرسل الكرام يطلبون الذرية الصالحة ويدعون الله بذلك.

قال الله عزّ وجلّ على لسان زكريا عليه السلام:

﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾

[الأنبياء: ٨٩].

وقوله:

﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ [مريم: ٥-٦].

وقوله: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [آل عمران: ٣٨].

ويقول الله تعالى على لسان إبراهيم:

﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠٠-١٠١].

وقوله:

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾

[إبراهيم: ٤٠].

وقوله على لسان إبراهيم وابنه إسماعيل: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨].

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنّ الله عزّ وجلّ يصلح بصلاح الرجل الصالح ولده، وولد ولده، وأهل دويرته، وأهل دويرات حوله، فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم»(١).

---

(١) أخرجه ابن مردويه، أورده السيوطي، الدر المنثور في التفسير المأثور، المجلد الخامس، تفسير سورة الكهف، الصفحة ٤٢٢.

عاشراً ـ أن يسعى الزوجان للعمل الصالح ليصلح الولد ويحفظ بصلاح والديه.

قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢].

قال القرطبي: [ففيه دليل على أنّ الله تعالى يحفظ الصالح في نفسه وفي ولده، وإن بعدوا عنه، وقد روي أنّ الله يحفظ الصالح في سبعة من ذريته، وعلى هذا يدل قوله تعالى:

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]](١).

[قال سعيد بن المسيب: إنّي لأصلّي فأذكر ولدي، فأزيد في صلاتي.

ولقد كان سهل التستري يتعهد ولده وهو في صلبه، فيباشر إلى العمل الصالح، رجاء أن يكرمه الله تعالى بالولد الصالح، فيقول:

إنّي لأعهد الميثاق الذي أخذه الله تعالى عليّ في عالم الذر، وإنّي لأرى أولادي من هذا الوقت، إلى أن أخرجهم الله تعالى إلى عالم الشهود والظهور](٢).

حادي عشر ـ الالتجاء إلى الله بالدعاء أن يتمم الحمل على أحسن حال، وأن يجعل الجنين كاملاً، وأن يرعاه ويحفظه من كل سوء، فقد بذر الوالد بذار الجنين في تربة الأم المؤمنة الطاهرة، والله هو الخالق والمقدر والمصور كيف يشاء، قال الله تعالى:

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٠-٢٣].

---

(١) القرطبي، الجزء الحادي عشر، الصفحة ٣٨.

(٢) حاشية ابن عابدين، الجزء الأول، مكتبة بابي الحلبي مصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م، الصفحة ٥٣٢.

وقال سبحانه: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [الزمر: ٦].

وقال جلّ شأنه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٦].

هذه المراحل العجيبة [من النطفة إلى العلقة إلى المضغة، إلى العظام، إلى الخلق الواضح، فيه عنصر البشرية، في ظلمات ثلاث: ظلمة الكيس الذي يغلف الجنين، وظلمة الرحم الذي يغلف هذا الكيس، وظلمة البطن الذي تستقر فيه الرحم.

ويد الله تخلق هذه الخلية الصغيرة خلقاً بعد خلق، وعين الله ترعى هذه الخليقة وتودعها القدرة على النمو، والقدرة على التطور، والقدرة على الارتقاء](١).

وأخيراً، على الزوج والزوجة أن يكونا معاً في حالة من التفاهم، والاتفاق والفرح والسرور والطمأنينة والسعادة بما يتعلق بموضوع إنجاب الأولاد، وتربيتهم، لينعكس ذلك إيجابياً على الجنين ونفسيته، ويجب على الأم أن تتخذ أثناء الحمل جميع الوسائل الوقائية، الجسمية والنفسية، لأنّ ذلك يعين الطفل على أن يبدأ حياته بداية صحيحة متكاملة، كما يجب على الأب أن يهتم بالأم الحامل، ويرعاها طبياً وغذائياً ونفسياً وجسمياً واجتماعياً، بحيث يحاط الجنين بأحسن ظروف ممكنة لإكمال عملية نموه.

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، الجزء الخامس، دار الشروق بيروت، الطبعة السابعة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م، الصفحة ٣٠٣٩.

وختاماً، فإنّ العقيدة الإسلامية تهيىء للوالدين الأسلوب الإيماني، وتوضح الطريق السليم لهما كي تكون العلاقة الزوجية مبنية على القواعد الصحيحة، التي ينشأ فيها الجنين نشأةً إيمانية بعيدة عن الشيطان، مرضية للرحمن على سنة رسول الله، مبنية من حفلة الزفاف إلى ساعات اللقاء الأولى ببسم الله الابتداء، وبصلاة ركعتين مع الدعاء، ثم لقاء شرعي فيه السعادة والطمأنينة، وفيه المودة والمحبة، فإذا ما تكون الجنين كانت الفرحة، والدعاء والصلاح، والتحمل والعناية، والصبر والانتظار (وهن على وهن) لساعات استقبال الوليد الجديد.

* * *

الفصل الثاني
تطبيقات التربية في المولود إلى الحولين

الطلق والولادة:

إذا حان الوقت المقدر من الله عز وجل للجنين، بالخروج من بطن أمه، شعرت الأم بالطلق، وإنّ للطلق آلامه الشديدة، ومتاعبه الكبيرة الجسدية والنفسية، ولحظة خروج المولود من اللحظات الحرجة لكلا الزوجين.

ومن عظمة ديننا الحنيف، أنه لم يترك شاردة ولا واردة إلا ذكرها، وفي هذه اللحظات الحرجة ترشد السنة المطهرة إلى ما يستحب ذكره أثناء الطلق، وهو ما علمه الرسول ﷺ أن يقال أثناء طلق ابنته فاطمة.

روى ابن السني أن فاطمة رضي الله عنها لما دنا ولادها، أمر الرسول ﷺ أم سلمة، وزينب بنت جحش، أن يأتيا فيقرأا عندها آية الكرسي، وإنّ ربكم الله . . . . . إلى آخر الآية، ويعوذاها بالمعوذتين[1].

وهناك آيتان تبدأان» إنّ ربكم الله . . . .

---

(١) النووي، الأذكار، كتاب أذكار النكاح، باب ما يقال عند الولادة وتألم المرأة، الصفحة ٢٥٣.

الأولى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

والثانية: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

«**إذا عسر على المرأة ولدها أخذ إناءً لطيفاً يكتب فيه:**

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

و ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦].

و ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ﴾ [يوسف: ١١١].

ثم يغسل ويسقي المرأة منه، وينضح على بطنها وفرجها»(١).

وفي هذه الساعات الشديدة العصيبة التي لا معين فيها إلا الله سبحانه، ما أجدر الزوج أن يتوجه إلى الله بالدعاء بخشوع وتضرّع، أن يسهل على زوجته الولادة، وأن يجعل ولده كاملاً في خلقه وعقله وجسمه وصحته.

وما أجدر الأم أن تجدد التوبة النصوح وأن تتضرّع إلى الله بصدق وإخلاص، وتدعوه أن يسهل عليها طلقها.

وما أجدر النساء اللواتي يجتمعن حول هذه الأم، أن يقمن بقراءة القرآن، والأدعية والأعمال المأثورة التي مر ذكرها، حتى ييسر الله تعالى

(١) أخرجه ابن السني في كتاب عمل اليوم والليلة، تحقيق بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان دمشق، الطبعة الأولى ١٩٨٧ م، الصفحة ٢٩٢، رقم الحديث ٦١٩.

على هذه الأم ولادتها، ويهيىء لها أسباب تحمل آلام المخاض ومشاقه وآلام الوضع والولادة.

وقال الشيخ ابن المظفر المكي: [بلغني أن أبا السري بن منصور بن عمار رضي الله عنه أصاب أمه وجع الولادة، وعندها قابلتها وهو صبي بين يديها، فقالت له: يا منصور بادر إلى أبيك فادعه، فقال لها: أتستعينين في حال الشدة بمخلوق لايضر ولا ينفع، وأكون أنا رسولك إليه. قالت: الساعة أموت، قال لها: قولي يا الله أغثني. فقالت ذلك فاندلق جنينها من ساعته](1).

البشارة والتهنئة بالمولود الجديد:

يتصف المجتمع الإسلامي بالتكامل الاجتماعي، ومن هذه الصفة نجد أفراده لا يدعون مناسبة فرح أو حزن إلا شاركوا فيها، وهذه جملة من حقوق الأخوة الإيمانية:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

فلذلك كان بنيانهم مرصوصاً متيناً، فيه الألفة والمحبة والمودة، والأخوة الصادقة، التي تظهر في كل مناسبة، ومن أهم هذه المناسبات أن يلد للمسلم مولود جديد، عندها يستحب للمسلم أن يبادر إلى مسرة أخيه المسلم، ببشارته وإدخال السرور عليه إن لم يكن يعلم بذلك، وكان غائباً وقتها، وإن الأسرة التي تنتظر هذا القدوم السعيد تسر بالبشرى به يحملها صديق عزيز أو قريب حبيب.

فالأولاد زينة الحياة الدنيا، وريحانة القلوب وبهجة النفوس، تتلهف

---

(١) كتاب أنباء نجباء الأبناء، تحقيق إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، الصفحة ١٦٣.

النفوس لقدومهم وتتشوق القلوب لرؤياهم، وتنشرح الصدور بوجودهم وتستبشر الأرواح لاستقبالهم، قال تعالى:

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦].

والقرآن الكريم ذكر البشارة بالولد في مناسبات عدة، إرشاداً وتعليماً للأمة الإسلامية، لما لهذه البشارة من أثر كبير في تنمية الروابط الاجتماعية، وتقويتها بين المسلمين.

قال الله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام:

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾(١) [هود: ٦٩-٧١].

وقال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١].

وقال: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨].

وقال: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥١-٥٣].

وقال الله تعالى في قصة زكريّا عليه السلام:

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩].

---

(١) حنيذ: مشوي على الحجارة المحماة بالنار، وقيل هو المشوي بحر الحجارة من غير أن تمسه النار، (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء التاسع، الصفحة ٦٣.)

وفي آية أخرى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧].

[ولما كانت البشارة تسر العين وتفرح، استحب للمسلم أن يبادر إلى مسرة أخيه وإعلامه بما يفرحه، ولما ولد النبي عليه السلام بشرت به ثويبة أبا لهب، وكان مولاها وقالت: قد ولد الليلة لعبد الله ابن، فأعتقها أبو لهب سروراً به، فلم يضع الله ذلك له، وسقاه بعد موته في النقرة(١) التي في أصل إبهامه](٢).

[قال عروة: وثويبة مولاة لأبي لهب، وكان أبو لهب أعتقها، فأرضعت النبي ﷺ، فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله(٣) بَشرِّحيبةٍ(٤) قال له: ماذا لقيت؟ قال أبو لهب: لم ألق بعدكم خيراً، غير أني سقيت في هذه بعتاقتي ثويبة](٥).

فإن فات المؤمن بشارة أخيه، استحب له تهنئته، والفرق بينهما أنّ البشارة إعلام له بما يسره، والتهنئة دعاء له بالخير فيه بعد أن علم به.

[قال أبو بكر بن المنذر في الأوسط: روينا عن الحسن البصري أن رجلاً جاء إليه، وعنده رجل قد ولد له غلام، فقال له: يهنئك الفارس،

---

(١) النُقرة: الحفرة الصغيرة (الرازي، مختار الصحاح، الصفحة ٦٧٥).
(٢) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، الصفحة ٢٦، مرجع سابق.
(٣) بعض أهله: هو العباس. (القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المجلد الثامن، الصفحة ٣١).
(٤) بشرحيبة: أي متلبساً بسوء حاله. (المرجع نفسه، الصفحة نفسها).
(٥) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب النكاح، باب وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم، الصفحة ١٩٦١، رقم الحديث ٤٨١٣.

فقال له الحسن: ما يدريك فارس هو أم حمار، قال فكيف نقول ؟، قال: قل بورك في الموهوب، شكرت الواهب، وبلغ أشده ورزقت بره][1].

دعاء بالبركة في المولود، وشكر للواهب، وتضرع لله أن يكون الولد من البارين بآبائهم، فما أحرانا أن نسير في عاداتنا حسبما كان عليه سلف هذه الأمة، لنربط الحاضر بالماضي.

[وهذه البشارة والتهنئة، ينبغي أن تشمل كل مولود، سواء أكان ذكراً أم أنثى دون تفريق. فما أحرى المسلمين أن يطبقوا في مجتمعهم هذه السنة الكريمة، لكي تقوى روابطهم وتتعمق على مدى الأيام أواصرهم، وتخيم عرائش الأنس والمحبة على بيوتاتهم وأسرهم، وما أجدر أن يسيروا في الطريق الموصل إلى تآلفهم وتآزرهم ووحدتهم، حتى يكونوا دائماً عباد الله إخواناً، وحتى تكون وحدتهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وما يفعله بعض الأسر بتقديم الزهور والهدايا لأهل المولود، فهو شيء حسن، لكونه يدخل في عموم قوله عليه الصلاة والسلام: «**تهادوا تحابوا**»[2] وهو مما يزيد الألفة والمحبة بين المسلمين][3].

ويجب أن يستقبل الوالدان والأقارب والأهل المولود بكل حفاوة وابتسامة، وسرورمهماكان المولود ذكراً أو أنثى، فمن رضي عن مولوده

---

(١) ابن قيم الجوزية، تحفة المورود في أحكام المولود، الصفحة ٢٧، مرجع سابق.

(٢) ذكره العجلوني، كشف الخفاء، الجزء الأول، الصفحة ٣١٩، رقم الحديث ١٠٢٣، وقال أخرجه الطبراني في الأوسط، والحربي في الهدايا، والعسكري في الأمثال عن عائشة مرفوعاً.

(٣) عبد الله علوان، تربية الأولاد في الإسلام، الجزء الأول الصفحة ٧٣، مرجع سابق.

فقد رضي عن فعل الله عزّ وجلّ وإرادته، ومن سخط من مولوده فكأنّه سخط من فعل الله عزّ وجلّ وإرادته، لأنّ الله عزّ وجلّ هو المقدر والرزاق والواهب.

قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠].

وفي هذه الآية ذكر الله عزّ وجلّ وهبته الإناث قبل الذكور، والرسول ﷺ يشير إلى احتفاء الملائكة بقدوم الأنثى، فقدروي عن نبيط بن شريط قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إذا ولد للرجل ابنة بعث الله عز وجل ملائكة يقولون: السلام عليكم أهل البيت يكتنفونها بأجنحتهم، ويمسحون بأيديهم على رأسها، ويقولون: ضعيفة خرجت من ضعيف، القيم عليها معان إلى يوم القيامة»[1].

حقوق الوليد:

إذا صار الجنين وليداً، فإنّ له في عنق والديه حقوقاً أرشد إليها الإسلام، الذي أمر بحسن استقباله والاحتفاء به على نحو يضمن صحته الجسمية والنفسية، ويساعد على تثبيت العقيدة الصحيحة في روحه وقلبه منذ اللحظات الأولى من عمره، فقد أرشد الرسول ﷺ إلى هذه الحقوق وهي:

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير، باب الألف، الصفحة ٦١، رقم الحديث ٦٤.

أولاً ـ استحباب التأذين في أذنه اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى:

وذلك حين الولادة مباشرة. لما روي عن أبي رافع رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ قال: [رأيت رسول الله ﷺ أذّن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة](1).

روى الحسن بن علي عن النبي ﷺ قال:

«من ولد له مولود، فأذّن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى، رفعت عنه أم الصبيان(2)»(3).

«وعن ابن عباس أن النبي ﷺ أذّن في أذن الحسن بن علي يوم ولد، وأقام في أذنه اليسرى»(4).

[وسر التأذين: أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان: الكلمات المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التي هي أول ما يدخل بها الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها، وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، الجزء الرابع،كتاب الأدب باب في الصبي يولد فيؤذّن في أذنه، الصفحة ٣٢٨، رقم الحديث ٥١٠٥.

(٢) أم الصبيان: الريح التي تعرض لهم فربما غشي عليهم منها. (ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول، الصفحة ٢١٩) وقيل التابعة من الجن. (د. وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، الجزء الثالث، الصفحة ٦٤٠).

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب، الجزء السادس، باب في حقوق الأولاد والأهلين، الصفحة ٣٩٠، رقم الحديث ٨٦١٩.

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب، الجزء السادس، باب في حقوق الأولاد والأهلين، الصفحة ٣٩٠، رقم الحديث ٨٦٢٠. (وفي هذين الإسنادين ضعف).

قلبه وتأثره به وإن لم يشعر مع ما في ذلك من فائدة أخرى، وهي هروب الشيطان من كلمات الآذان، وهو كان يرصده حتى يولد، فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها، فيسمع شيطانه ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به.

وفيه معنى آخر، وهو أن تكون دعوته إلى الله وإلى دين الإسلام، وإلى عبادته سابقة على دعوة الشيطان، كما كانت فطرة الله التي فطر الناس عليها سابقة على تغيير الشيطان لها، ونقله عنها ولغير ذلك من الحكم][1].

والسر في ذلك وحكمته أيضاً كما قال الإمام الدهلوي رحمه الله:

[الأذان من شعائر الإسلام، واعلام الدين المحمدي، ثم لا بد من تخصيص المولود بذلك الأذان ولا يكون إلا بأن يصوت به في أذنه، وأيضاً فقد علمت أن خاصية الأذان أن يفر منه الشيطان، والشيطان يؤذي الولد في أول نشأته حتى ورد في الحديث أن استهلاله لذلك][2].

وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«**ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد، فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه، إلا مريم وابنها**.

ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم:

﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦] »[3].

---

(١) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، الصفحة ٢٩، مرجع سابق.

(٢) حجة الله البالغة، الجزء الثاني، المطبعة الخيرية، الطبعة الأولى، ١٣٢٢ هـ، الصفحة ١٠٨.

(٣) أخرجه البخاري، الجزء الرابع، كتاب التفسير (آل عمران)، باب ﴿وإني =

وهذه المعاني التي أفاض فيها ابن قيم والدهلوي، أكبر دليل على اهتمام الرسول ﷺ بعقيدة التوحيد والإيمان، ومطاردة الشيطان والهوى، من حين أن يشم الولد رائحة الدنيا، ويتنسم نسائم الوجود.

ثانياً ـ استحباب تحنيك المولود عندما يولد والدعاء له.

عن أبي موسى قال: [ولد لي غلام فأتيت به النبي ﷺ، فسماه إبراهيم فحنكه بتمرة، ودعا له بالبركة، ودفعه إليّ وكان أكبر ولد أبي موسى](1).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان ابن لأبي طلحة يشتكي، فخرج أبو طلحة، فقبض الصبي، فلما رجع أبو طلحة قال ما فعل الصبي؟ قالت أم سليم: هو أسكن ما كان، فقربت إليه العشاء، فتعشى، ثم أصاب منها، فلما فرغ، قالت: واروا الصبي فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: **أعرستم الليلة؟** قال: نعم. قال: **اللهم بارك لهما**، فولدت غلاماً، فقال لي أبو طلحة: احمله، حتى تأتي النبي وبعث به بتمرات، فأخذه النبي عليه السلام فقال: **أمعه شيء؟** قالوا: نعم، تمرات، فأخذها النبي ﷺ فمضغها ثم أخذها من فيه، فجعلها في فيّ الصبي، ثم حنكه به وسماه عبد الله»(2).

= أعيذها»، الصفحة ١٦٥٥، رقم الحديث ٤٢٧٤

(١) أخرجه البخاري الجزء الخامس،كتاب العقيقة، باب تسمية المولود غداة يولد، الصفحة ٢٠٨١، رقم الحديث ٥١٥٠.

ومسلم، الجزء الثالث،كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنكه، الصفحة ١٦٩٠، رقم الحديث ٢١٤٥.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب العقيقة، باب تسمية المولود غداة يولد، الصفحة ٢٠٨٢، رقم الحديث ٥١٥٣. =

«وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة قالت: فخرجت وأنا متم، فأتيت المدينة، فنزلت قباء، فولدت بقباء، ثم أتيت به الرسول ﷺ، فوضعته في حجره، ثم دعا بتمرة، فمضغها، ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، قالت: ثم حنكه بالتمرة، ثم دعا له فبرّك عليه، وكان أول مولود في الإسلام، قالت: ففرحوا به فرحاً شديداً، وذلك أنهم قيل لهم: إن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم»(١).

[وعن هذه الآثار نشأ اتفاق العلماء على استحباب تحنيك المولود عند ولادته بتمر، فإن تعذر فما في معناه، وقريب منه من الحلو، فيمضغ المحنك حتى تصير مائعة، بحيث تبتلع، ثم يفتح فم المولود ويضعها فيه، ليدخل شيء منها في جوفه.

ويستحب أن يكون المحنك من الصالحين، وممن يتبرك به، رجلاً كان أو امرأة، فإن لم يكن حاضراً عند المولود حمل إليه](٢).

[وقال الخلال: أخبرني محمد بن علي، قال: سمعت أم ولد أحمد بن حنبل تقول: لما أخذني الطلق كان مولاي نائماً، فقلت له: يا مولاي

= ومسلم، الجزء الثالث، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته، الصفحة ١٦٩٠، رقم الحديث ٢١٤٤.

(١) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب العقيقة، باب تسمية المولود غداة يولد، الصفحة ٢٠٨١، رقم الحديث ٥١٥٢.
ومسلم، الجزء الثالث، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته، الصفحة ١٦٩١، رقم الحديث ٢١٤٦.

(٢) انظر صحيح مسلم، الجزء الثالث، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود وحمله إلى صالح يحنكه، الصفحة ١٦٨٩.

هو ذا أموت ! فقال يفرج الله، فما هو إلا أن قال يفرج الله، حتى ولدت سعيداً، فلما ولدته قال: هاتوا ذلك التمر، لقد كان عندنا من تمر مكة، فقال لأم علي: امضغي هذا التمر وحنكيه، ففعلت والله أعلم][1].

[والتحنيك معناه مضغ التمرة، ودلك حنك المولود بها، وذلك بوضع جزء من الممضوغ على الإصبع، وإدخال الإصبع في فم المولود، ثم تحريكه يميناً وشمالاً بحركة لطيفة، حتى يتبلغ الفم كله بالمادة الممضوغة، وإن لم يتيسر التمر فليكن التحنيك بأية مادة حلوة كالمعقود، أو رائب السكر الممزوج بماء الزهر، تطبيقاً للسنة، واقتداءً بفعله عليه الصلاة والسلام.

ولعل الحكمة في ذلك تقوية عضلات الفم بحركة اللسان مع الحنك مع الفكين بالتملط، حتى يتهيأ المولود للقم الثدي، وامتصاص اللبن بشكل قوي، وحالة طبيعية، ومن الأفضل أن يقوم بعملية التحنيك من يتصف بالتقوى والصلاح تبركاً به، وتيمناً بصلاح المولود وتقواه][2].

[والتحنيك بكل المقاييس معجزة نبوية طبية مكثت البشرية أربعة عشر قرناً من الزمان لكي تعرف الهدف والحكمة من ورائها، فلقد تبين للأطباء أن كل الأطفال الصغار (وخاصة حديثي الولادة والرضع) معرضون للموت لو حدث لهم أحد أمرين:

١ ـ إذا نقصت كمية السكر في الدم (بالجوع).

---

(١) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، الصفحة ٣١، مرجع سابق.

(٢) عبد الله علوان، تربية الأولاد في الإسلام، الجزء الأول، الصفحة ٧٥، مرجع سابق.

٢ـ إذا انخفضت درجة حرارة أجسامهم عند التعرض للجو البارد المحيط بهم][1].

وللتمر والبلح فوائد دوائية مختلفة، أقرها الطب العربي القديم، ثم حققها البحث العلمي الحديث وفوائده ليست للرضيع فقط، بل وللأم الحامل عند ولادتها أيضاً.

قال الله تعالى مبيناً ذلك: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا﴾ [مريم: ٢٥ـ٢٦].

ثالثاً ـ العقيقة:

[أهل الحديث قاطبة وفقهاؤهم وجمهور أهل السنة قالوا: هي من سنة رسول الله ﷺ واحتجوا بالحديث التالي][2]:

روي عن سلمان بن عامر الضبي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«مع الغلام عقيقة، فأهريقوا عنه دماً وأميطوا عنه الأذى»[3].

[والعقيقة كما ذكر أبو عبيد عن الأصمعي وغيره، أن أصلها الشعر الذي يكون على رأس الصبي حين يولد، وسميت الشاة التي تذبح عنه

---

(١) د. فاروق مساهل، مجلة الأمة القطرية، العدد (٥٠) في مقالة تحت عنوان، اهتمام الإسلام بتغذية الطفل، معلقاً على حديث التحنيك.

(٢) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، الصفحة ٣٥، مرجع سابق.

(٣) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب العقيقة، باب إماطة الأذى عن الصبي في العقيقة، الصفحة ٢٠٨٢، رقم الحديث ٥١٥٤.

عقيقة، لأنه يحلق عنه ذلك الشعر عند الذبح ولهذا قال: أميطوا عنه الأذى يعني بذلك الشعر.

وقال أحمد بن حنبل: إنما العقيقة الذبح نفسه، وهذا المعنى معروف في اللغة عق إذا قطع ومنه عق والديه إذا قطعهما][1].

فالعقيقة إذاً: ذبح شاة أو أكثر.

عن سَمُرَةَ قال: قال رسول الله ﷺ:

«كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه، ويسمى فيه ويحلق رأسه»[2].

والمراد بالغلام: المولود، ذكراً كان أو أنثى.

وفي رواية للترمذي:

«الغلام مرتهن بعقيقته، تذبح عنه يوم السابع، ويسمى ويحلق رأسه»[3].

[ومرتهن: قيل لا ينمو نموّ مثله حتى يعق عنه، وقال الخطابي: وأجود ما قيل فيه ما ذهب إليه أحمد بن حنبل أنه إذا لم يعق عنه، لم يشفع في والديه يوم القيامة، ورهين أي مرهون، والمعنى أنه كالشيء المرهن

---

(١) انظر ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، الصفحة ٤١، مرجع سابق.

(٢) أخرجه أبو داود، الجزء الثالث، كتاب الأضاحي باب في العقيقة، الصفحة ١٠٦، رقم الحديث ٢٨٣٧.
وأخرجه ابن ماجه، الجزء الثاني، كتاب الذبائح باب العقيقة، الصفحة ١٠٥٦، رقم الحديث ٣١٦٥.

(٣) أخرجه الترمذي، الجزءالخامس، في الأضحية باب العقيقة، الصفحة ٢٣٧، رقم الحديث ١٥٢٢.
=

لايتم الانتفاع والاستمتاع به دون فكه، والنعمة إنما تتم على المنعم بقيامه بالشكر، ووظيفة الشكر في هذه النعمة ما سنه النبي ﷺ، وهو أن يعق عن المولود شكراً لله تعالى، وطلباً لسلامة المولود][1].

مقدار الذبح: بيّن ذلك سيدنا محمد ﷺ في أحاديث كثيرة منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ النبي ﷺ قال:

«**إنّ اليهود تعق عن الغلام، ولا تعق عن الجارية، فعقوا عن الغلام شاتين وعن الجارية شاة**»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

«**عن الغلام شاتان متكافئتان، وعن الجارية شاة**»[3] وعنها أيضاً قالت:

«أمرنا رسول ﷺ أن نعق عن الغلام شاتين وعن الجارية شاةً»[4].

وأما نوع الذبيحة فقد بيّنه رسول ﷺ في الحديث التالي:

عن أم كرز الكعبية أنها سألت رسول الله ﷺ عن العقيقة فقال:

«**عن الغلام شاتان وعن الأنثى واحدة، ولايضركم ذكراناً كن أو إناثاً**»[5].

---

(١) القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، دار الفكر، المجلد الثامن، الصفحة ٢٥٣.

(٢) أخرجه البيهقي الجزء التاسع، السنن الكبرى، كتاب الضحايا، باب ما يعق عن الغلام وما يعق عن الجارية، الصفحة ٣٠٢.

(٣) أخرجه الترمذي، الجزء الخامس، في الأضحية باب ما جاء في العقيقة، الصفحة ٢٢٨، رقم الحديث ١٥١٣.

(٤) أخرجه ابن ماجه، الجزء الثاني، كتاب الذبائح، باب العقيقة، الصفحة ١٠٥٦، رقم الحديث ٣١٦٣، وقال حسن صحيح.

(٥) أخرجه الترمذي، الجزء الخامس، في الأضحية باب الأذان في أذن =

وهذا التفريق بين الذكر والأنثى ليس للتعظيم لكن لما كان الغرض من العقيقة [استبقاء النفس فأشبهت الدية لأن كلاً منهما فداء للنفس](١).

ولعل أحكام الميراث القاضية بتفضيل الرجل على المرأة في القسمة تكون جواباً للتفريق، ليظل الإسلام وفياً لمبادئه.

وهذه المفاضلة هي ما تدل عليه ظواهر الأحاديث، وهي مذهب ابن عباس وعائشة وجماعة من أهل العلم والحديث، أما مذهب الإمام مالك فالعقيقة عنده للذكر شاة، وللأنثى شاة، واحتج لمذهبه بالأحاديث التالية:

«عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ عق عن الحسن والحسين كبشاً»(٢).

ويقول الإمام مالك: [ليست العقيقة بواجبة، ولكنها يستحب العمل بها، وهي من الأمر الذي لا اختلاف فيه، ولم يزل عليه الناس عندنا، فمن عق عن ولده فإنها بمنزلة النسك والضحايا، ولا يجوز فيها عرجاء ولا مكسورة ولا عجفاء (ضعيفة)، ولا مريضة ولا عوراء، ولا يباع من لحمها شيء ولا جلدها وتكسر عظامها، ويأكل أهلها من لحمها، ويتصدقون منها، ولايمس الصبي بشيء من دمها](٣).

= المولود، الصفحة ١٥١٤، رقم الحديث ٣١٦٣ (وقال حسن صحيح).

(١) القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المجلد الثامن، الصفحة ٢٥٣.

(٢) أخرجه أبو داود، الجزء الثالث، كتاب الأضاحي، باب في العقيقة، رقم الحديث ٢٨٤١.

(٣) الموطأ، الجزء الثاني،كتاب الضحايا باب العمل في العقيقة، الصفحة ٢٠٦، الرقم ٢١٩٠.

وقد اختلف العلماء في موضوع كسر عظام العقيقة:

[وقال ابن صعب: إنما قاله مالك لأن أهل الجاهلية كانوا إذا عقوا عن المولود لم يكسروا العظام، وإنما كانت العقيقة تفصل من مفصل إلى مفصل، فأتى الإسلام بالرخصة في ذلك إن أحب أهلها يصنعون من ذلك ما وافقهم، وفي الجملة أن كسر عظامها ليس بلازم وإنما لايجوز تحري الامتناع منه، والعقيقة في ذلك كسائر الذبائح، وربما كان لها مزية المخالفة لفعل أهل الجاهلية، وفي المجمل قال الشافعي وأحمد: تستحب أن لاتكسر عظامها بل يطبخ الأجزاء تفاؤلاً لسلامة أجزاء المولود.

قال الموفق: يستحب أن يفصل أعضاؤها ولا تكسر عظامها، لما روي عن عائشة أنها قالت:

السنة شاتان متكافئتان عن الغلام، وعن الجارية شاة تطبخ جرولاً «أي لايكسر لها عظم، وإنما تطبخ عضواً عضواً «ولا يكسر عظم، ويأكل ويطعم، ويتصدق، وذلك يوم السابع][1].

[ويستحب إعطاء القابلة من العقيقة: لما في مراسيل أبي داود أ ن النبي قال في العقيقة التي عقتها فاطمة عن الحسن والحسين: «**أن يبعثوا إلى القابل برجل، وكلوا وأطعموا، ولاتكسروا منها عظماً**»][2].

وكان من شدة اهتمام السلف الصالح بأمر العقيقة، أن الذي لا يجد

---

(١) الكاندهلوي، أوجز المسالك إلى موطأ مالك، المجلد التاسع، دار الفكر، لبنان بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، الصفحة ٢٠٤.

(٢) د.وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، الجزء الثالث، دار الفكر، دمشق الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، الصفحة ٦٤٠.

مالاً لكي يعق عن ولده عق بعصفور، فقد روى مالك بسنده عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أنه قال:

[سمعت أبي يستحب العقيقة ولو بعصفور][1].

[والعقيقة أفضل من التصدق بثمنها ولو زاد، ولا بأس من أن يستقرض ويعق من ليس عنده ما يعق، لأن النبي ﷺ قال: **«كل غلام رهينة بعقيقته»**.

وإني لأرجو إن استقرض أن يعجل الله الخلف، لأنه أحيا سنة من سنن رسول الله ﷺ واتبع ما جاء به][2].

والأفضل طبخ العقيقة دون إخراج لحمها نيئاً.

[وهذا لأنه إذا طبخها، فقد كفى المساكين والجيران المساكين مؤنة الطبخ. وهو زيادة في الإحسان وفي شكر هذه النعمة، ويتمتع الجيران والأولاد والمساكين بها هنيئة مكفية المؤنة، فإن من أُهدي إليه لحمٌ مطبوخ مهيأ للأكل مطيب، كان فرحه وسروره به أتم من فرحه بلحم نيء يحتاج إلى كلفة وتعب، فلهذا قال الإمام أحمد: يحملون ذلك، وأيضاً فإن الأطعمة المعتادة التي تجرى مجرى الشكران كلها سبيلها الطبخ][3].

ولقد ذكر ابن قيم الجوزية بهذه المناسبة أسماء الأطعمة المعتادة نذكرها للفائدة:

---

(١) الموطأ، الجزء الثاني، كتاب الضحايا باب العمل في العقيقة، الصفحة ٢٠٦، الرقم ٢١٨٨.

(٢) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، الصفحة ٤٦، مرجع سابق.

(٣) المرجع نفسه، الصفحة ٥٨.

[١ـ القرى: طعام الضيفان.

٢ـ المأدبة: طعام الدعوة.

٣ـ التحفة: طعام الزائر.

٤ـ الوليمة: طعام العرس.

٥ـ الخِراس: طعام الولادة.

٦ـ العقيقة: الذبح عنه يوم حلق رأسه في السابع.

٧ـ الغديرة: طعام الختان.

٨ـ الوضيمة: طعام المأتم.

٩ـ النقيعة: طعام القادم من سفره.

١٠ـ الوكيرة: طعام الفراغ من البناء.

فكان الإطعام عن هذه الأشياء أحسن من تفريق اللحم في مكارم الأخلاق والجود][١].

الوقت الذي يستحب فيه العقيقة:

قال صالح بن أحمد: [قال أبي في العقيقة، تذبح يوم السابع، فإن لم يفعل ففي أربعة عشر، فإن لم يفعل ففي أحد وعشرين][٢].

وقال أبو عمر: [وكان الحسن البصري يذهب إلى أنها واجبة عن الغلام يوم سابعه، فإن لم يعق عنه عق عن نفسه. وقال الليث بن سعد:

---

(١) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، الصفحة ٨، مرجع سابق.

(٢) المرجع نفسه، الصفحة ٤٥.

يعق عن المولود في أيام سابعه، فإن لم يتهيأ لهم العقيقة في سابعه، فلابأس أن يعق عنه بعد ذلك][1].

قال الخلال:

[باب ما يستحب لمن لم يعق عنه صغيراً أن يعق عن نفسه كبيراً][2].

ما يقال عند ذبحها:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ:

«**اذبحوا على اسمه وقولوا: بسم الله، اللهم لك وإليك، هذه عقيقة فلان**»[3].

من فوائدها:

للعقيقة فوائد كثيرة إضافة إلى حسن الاستقبال للمولود الجديد، وإعلان الفرحة بقدوم الولد ذكراً أو أنثى، من هذه الفوائد[4]:

١ـ أنها إعلام بالمولود وإشاعة نسبه بين الأهل والأقارب والجيران والمعارف.

٢ـ أنها قربان يقرب به عن المولود في أول أوقات خروجه إلى الدنيا،

---

(١) المرجع السابق، الصفحة ٤٦.
(٢) المرجع نفسه، الصفحة ٤٥.
(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، الجزء التاسع، كتاب الضحايا، باب ما جاء في وقت العقيقة وحلق الرأس والتسمية، الصفحة ٣٠٣.
(٤) انظر ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، الصفحتان ٤٧ـ٥٤، وانظر الدهلوي، حجة الله البالغة، الجزء الثاني، الصفحة ١٠٧، مرجع سابق.

والمولود ينتفع بذلك غاية الانتفاع، كما ينتفع بالدعاء له وإحضاره مواضع المناسك والإحرام عنه وغير ذلك.

٣ـ أنها تفك رهان المولود، فإنه مرتهن بعقيقته، قال الإمام أحمد: مرتهن عن الشفاعة لوالديه، وقال عطاء بن أبي رباح: مرتهن بعقيقته قال: يحرم شفاعة ولده.

٤ـ أنها فدية يفدى بها المولود، كما فدى الله سبحانه إسماعيل الذبيح بالكبش، وهي سبيل النسك كالأضحية والهدي.

٥ـ أن تكون سبباً لحسن إنبات الولد، ودوام سلامته وطول حياته في حفظه من ضرر الشيطان حتى يكون كل عضو منها فداء كل عضو منه.

٦ـ أن تكون حرزاً له من الشيطان بعد ولادته، كما كان ذكر اسم الله عند وضعه في الرحم حرزاً له من ضرر الشيطان.

٧ـ أن فيها معنى القربان والشكران والفداء والصدقة وإطعام الطعام عند حدوث السرور العظام، شكراً لله وإظهاراً لنعمته التي هي غاية المقصود من النكاح، فإذا شرع الإطعام للنكاح الذي هو وسيلة إلى حصول هذه النعمة، فلأن تشرع عند الغاية المطلوبة أولى وأحرى.

رابعاً ـ حلق رأس المولود والتصدق بوزن شعره:

[قال أبو عمر بن عبد البر: أما حلق رأس الصبي عند العقيقة فإن العلماء كانوا يستحبون ذلك][1].

وقد ثبت عن النبي ﷺ ذلك، فقد روي عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، الصفحة ٧١.

«كل غلام رهين بعقيقته، تذبح عنه يوم سابعه ويسمى فيه ويحلق رأسه»(١).

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: [وزنت فاطمة شعر حسن وحسين وزينب وأم كلثوم، فتصدقت بزنة ذلك فضة](٢).

وعن محمد بن علي بن الحسين أنه قال: [وزنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ شعر حسن وحسين، فتصدقت بزنته فضة](٣).

وعن علي كرم الله وجهه قال: [عق رسول الله ﷺ عن الحسن بشاة، وقال: **«يا فاطمة! احلقي رأسه وتصدقي بزنة شعره فضة»**، قال: فوزنته فكان وزنه درهماً أو بعض درهم](٤).

[والسبب في التصدق بالفضة أن الولد لما انتقل من الجنينية إلى الطفلية كان ذلك نعمة يجب شكرها وأحسن ما يقع به الشكر ما يؤذن (يشعر)أنه عوضه فلما كان شعر الجنين بقية النشأة الجنينية وازالته امارة للاستقلال بالنشأة الطفلية وجب أن يؤمر بوزن الشعر فضة، وأما تخصيص الفضة فلأن الذهب أغلى ولا يجده إلا غني وسائر المتاع ليس له بال بزنة شعر المولود](٥).

---

(١) أخرجه أبو داود، الجزء الثالث، كتاب الأضاحي، باب في العقيقة، الصفحة ١٠٦، رقم الحديث ٢٨٣٧.

(٢) مالك في الموطأ، الجزء الثاني، كتاب الضحايا في باب العقيقة، الصفحة ٢٠٥، رقم الحديث ٢١٨٥.

(٣) المرجع نفسه، الصفحة نفسها، رقم الحديث ٢١٨٦.

(٤) أخرجه الترمذي، الجزء الخامس، كتاب الأضحية، باب العقيقة بشاة، الصفحة ٢٣٤، رقم الحديث ١٥١٩، وقال حسن غريب.

(٥) الدهلوي، حجة الله البالغة، الجزء الثاني، مرجع سابق، الصفحة ١٠٨.

ويتعلق بالحلق مسألة القزع، وهي حلق بعض رأس الصبي وترك بعضه، فقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: [نهى رسول الله ﷺ عن القزع][1].

[وهذا من كمال محبة الله ورسوله للعدل، فإنه أمر به حتى في شأن الإنسان مع نفسه، فنهاه أن يحلق بعض رأسه ويترك بعضه، لأنه ظلم للرأس حيث يترك بعضه كاسياً وبعضه عارياً][2].

خامساً ـ ختان الولد:

من سنن الفطرة أن يختن الطفل، وفي ذلك إتباع للأحاديث الصحيحة، وحفظ لصحة الطفل من كثير من أمراض المسالك البولية، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط**»[3].

[فجعل الختان رأس خصال الفطرة، وإنما كانت هذه الخصال من

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب اللباس، باب القزع، الصفحة ٢٢١٤، رقم الحديث ٥٥٧٧.
ومسلم، الجزء الثالث، كتاب اللباس والزينة، باب كراهة القزع، الصفحة ١٦٧٥، رقم الحديث ١١٣.

(٢) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، الصفحة ٧٣.

(٣) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب اللباس، باب قص الشارب، الصفحة ٢٢٠٩، رقم الحديث ٥٥٥٠.
ومسلم، الجزء الأول، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، الصفحة ٢٢١، رقم الحديث ٢٥٧.

الفطرة، لأن الفطرة: هي الحنيفية ملة إبراهيم، وهذه الخصال أمر بها إبراهيم، وهي من الكلمات التي ابتلاه ربه بهن][1].

سادساً ـ ثقب أذن البنت:

[يجوز ثقبها للزينة نص عليه الإمام أحمد][2].

والدليل على ذلك ما جاء في الصحيحين [لما حرض النبي ﷺ النساء على الصدقة، جعلت المرأة تلقي خرصها وسخابها[3]][4].

[والخرص: هو الحلقة الموضوعة في الأذن، ويكفي جوازه، وسؤله بفعل الناس له، وإقرارهم على ذلك، فلو كان مما ينهى عنه لنهى القرآن أو السنة][5].

وما جاء في قول النبي ﷺ لعائشة في حديث أم زرع:

---

(١) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، الصفحة ١١٢، مرجع سابق.

(٢) المرجع نفسه، الصفحة ١٤٣.

(٣) خرصها: حلقتها الصغيرة المعلقة بأذنها. (القسطلاني، إرشاد الساري، المجلد الثاني، الصفحة ٢١٢).
سخابها: خيط من خرز يوضع في العنق كالقلادة. (المرجع نفسه، والصفحة نفسها).

(٤) أخرجه البخاري، الجزء الأول، كتاب العيدين، باب الخطبة بعد العيد، الصفحة ٣٢٨، رقم الحديث ٩٢١.
ومسلم، الجزء الثاني، كتاب صلاة العيدين، باب الصلاة قبل العيد وبعدها في المصلى، الصفحة ٦٠٢، رقم الحديث ٨٨٤.

(٥) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، الصفحة ١٤٣، مرجع سابق.

«كنت لك كأبي زرع لأم زرع»[1].

وفيه قول أم زرع: [أَنَاسَ من حُليٍّ أُذُنيَّ، أي: ملأها من الحلي، حتى صار ينوس فيها أي يتحرك ويجول][2].

سابعاً ـ تسمية المولود:

اعتاد الناس في كل زمان ومكان على تسمية مولودهم باسم يعرف به ويتميز لدى القريب والبعيد، والإسلام الذي هو دين الفطرة وبتشريعه المتكامل اعتنى بهذه الظاهرة، واهتم بها، ووضع لها أحكاماً تشعر بأهميتها وضرورة الاعتناء بها، وأهم الأحكام التي وضعها الإسلام في تسمية المولود:

١ـ الوقت الذي يسمى به المولود:

من الأحاديث المروية عن النبي ﷺ، نجد أن بعضها يشير أن من السنة أن تكون التسمية في يوم الولادة.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم»[3].

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل، الصفحة ١٩٨٩، رقم الحديث ٤٨٩٣.
ومسلم، الجزء الرابع،كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر حديث أم زرع، الصفحة ١٩٠١، رقم الحديث ٢٤٤٨.

(٢) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، الصفحة ١٤٣، مرجع سابق.

(٣) أخرجه مسلم، الجزء الرابع،كتاب الفضائل، باب رحمة النبي صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال، الصفحة ١٨٠٧، رقم الحديث ٢٣١٥.

ومن الأحاديث ما يشير إلى أن التسمية في اليوم السابع.

عن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«كل غلام رهين بعقيقته، تذبح عنه يوم سابعه، ويسمى فيه ويحلق رأسه»[1].

فيؤخذ من هذين الحديثين أنّ في الأمر سعة، فجاز تسميته في اليوم الأول من ولادته وجاز التأخير إلى يوم العقيقة وهو اليوم السابع.

ما يستحب من الأسماء وما يكره منها:

يجب على الوالدين أن ينتقيا لمولودهما الاسم المناسب للشرع، الحسن الجميل، عملاً بما أرشد إليه النبي ﷺ. عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم، وبأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم»[2].

ولقد نبه النبي ﷺ لأحب الأسماء إلى الله وهي (عبد الله وعبد الرحمن).

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه أبو داود، الجزء الثالث، كتاب الأضاحي، باب في العقيقة، الصفحة ١٠٦، رقم الحديث ٢٨٣٧.
وأخرجه ابن ماجه، الجزء الثاني، كتاب الذبائح، باب العقيقة، الصفحة ١٠٥٦، رقم الحديث ٣١٦٥.

(٢) أخرجه أبو داود، الجزء الرابع، كتاب الأدب، باب في تغيير الأسماء، الصفحة ٢٨٨، رقم الحديث ٤٩٤٨.

«إن أحب أسمائكم إلى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن»(١).

وعن جابر قال: ولد لرجل منا غلام فسماه القاسم، فقلنا لا نكنيك أبا القاسم ولا كرامة فأخبر النبي ﷺ فقال: **«سمّ ابنك عبد الرحمن»**(٢).

قال أبو محمد بن حزم: [اتفقوا على استحسان الأسماء المضافة إلى الله، كعبد الله وعبد الرحمن، وما أشبه ذلك](٣).

ومن الأسماء المحببة أيضاً أسماء الأنبياء فقد ورد في الحديث: عن أبي وهب الجشمي قال: قال رسول الله ﷺ:

«سموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرة»(٤).

وأما ما حرم من الأسماء: فقد قال أبو محمد بن حزم: [اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله: كعبد العزى وعبد هبل، وعبد عمرو، وعبد الكعبة وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب](٥).

---

(١) أخرجه مسلم، الجزء الثالث،كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان مايستحب من الأسماء، الصفحة ١٦٨٢، رقم الحديث ٢١٣٢.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب الأدب، باب أحب الأسماء إلى الله عزوجل، الصفحة ٢٢٨٧، رقم الحديث ٥٨٣٢.

(٣) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، مرجع سابق، الصفحة ٨١.

(٤) أخرجه أبو داود، الجزء الرابع، كتاب الآداب، باب في تغيير الأسماء، الصفحة ٢٨٨، رقم الحديث ٤٩٥٠.

(٥) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، مرجع سابق، الصفحة ٨٢.

ومن المحرم التسمية بملك الملوك وسلطان السلاطين وشاهنشاه فقد ثبت في الصحيحين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ:

«أخنع الأسماء عند الله رجل تسمى بملك الأملاك»[1]. ورواية مسلم:

«أغيظ رجل عند الله يوم القيامة، وأخبثه وأغيظه عليه، رجل كان يسمى: ملك الأملاك، لا ملك إلا الله».

ومن الأسماء المكروهة[2]: الأسماء التي فيها يُمن أو تفاؤل، حتى لا يحصل كدر عند مناداتهم وهم غائبون بلفظ لا، كالتسمية بأفلح ونافع ورباح ويسار.

وعن سمرة بن جندب، قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تسمين غلاماً يساراً ولا رباحاً ولا نجيحاً ولا أفلح، فإنك تقول أثَمَّ هو؟ فلا يكون، فيقول لا»[3].

ومنها التسمية بأسماء الشياطين: كخنزب، والولهان، والأعور، والأجدع.

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب الأدب، باب أبغض الأسماء إلى الله عزوجل، الصفحة ٢٤٤، رقم الحديث ٥٨٥٣.
ومسلم، الجزء الثالث، كتاب الآداب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك وبملك الملوك، الصفحة ١٦٨٨، رقم الحديث ٢١٤٣.

(٢) انظر ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، مرجع سابق، الصفحة ٨٤ ومابعدها.

(٣) أخرجه مسلم، الجزء الثالث، كتاب الآداب، باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة وبنافع ونحوه، الصفحة ١٦٨٥، رقم الحديث ٢١٣٧

ومنها أسماء الفراعنة والجبابرة، كفرعون وقارون وهامان.

ومنها أسماء الملائكة كجبريل وميكائيل وإسرافيل.

ومنها الأسماء التي لها معان تكرهها النفوس ولا تلائمها، كحرب ومرة وكلب وحية وأشباح.

حتى أن النبي ﷺ كان يشتد على الاسم القبيح، ويكرهه جداً، من الأشخاص والأماكن والقبائل والجبال، ويبتعد عنه أو يغيره إلى أي اسم آخر.

«عن سهل قال: أتي بالمنذر بن أبي أسيد إلى النبي ﷺ حين ولد، فوضعه على فخذه، وأبو أسيد جالس، فلها النبي ﷺ بشيء بين يديه، فأمر أبو أسيد بابنه، فاحتمل من فخذ النبي صلى الله عليه فاستفاق النبي ﷺ فقال: أين الصبي؟ فقال: أبو أسيد: قلبناه يا رسول الله، فقال: ما اسمه، قال: فلان، قال: ولكن اسمه المنذر، فسماه يومئذ المنذر»[(١)].

[وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن زينب كان اسمها بَرَّةَ[(٢)] فقيل: تزكي نفسها[(٣)] فسماها رسول الله ﷺ زينب][(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب الأدب، باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه، الصفحة ٢٢٨٩، رقم الحديث ٥٨٣٨

ومسلم، الجزء الثالث، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنكه وجواز تسميته يوم ولادته، الصفحة ١٦٩٥٢، رقم الحديث ٢١٤٩. وقلبناه: أي رددناه إلى المنزل.

(٢) بَرَّةَ: صيغة مبالغة من البر. (د. البغا على هامش صحيح البخاري، الجزء الخامس، الصفحة ٢٢٨٩).

(٣) تزكي نفسها: تمدحها وتثني عليها. (المرجع نفسه، والصفحة نفسها).

(٤) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب الأدب، باب تحويل الاسم إلى =

قيل زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ، وقيل زينب بنت أبي سلمة ربيبة النبي ﷺ، أمها أم سلمة رضي الله عنهم.

[قال أبو داود: وغير رسول الله ﷺ اسم العاص وعزيز وعتلة وشيطان والحكم وغراب وشهاب وحُباب، فسماه هشاماً، وسمى حرباً: سلماً وسمى المضطجع: المنبعث، وأرضاً تسمى عفرة: سماها خضرة، وشعب الضلالة سماه شعب الهدى، وبنو الزنية سماهم: بنو الرّشْدَة، وسمى بني مُغْوية: بني رِشْدة][1].

وإن للأشخاص من أسمائهم نصيب، وقد بين ذلك الحديث التالي:

عن سعيد بن المسيب عن أبيه: أن أباه جاء إلى النبي ﷺ فقال:

«**ماسمك؟ قال: حزن. قال: أنت سهل، قال: لا أغير اسماً سمانيه أبي، قال ابن المسيب: فمازالت تلك الحزونة فينا بعد**»[2].

ويجوز تكنية المولود بأبي فلان من حديث أنس رضي الله عنه قال:

«كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له: أبو عمير، وكان النبي ﷺ إذا جاء يقول له: يا أبا عمير ما فعل النغير»[3].

= اسم أحسن منه، الصفحة ٢٢٨٩، رقم الحديث ٥٨٣٩
ومسلم، الجزء الثالث، كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن وتغيير اسم برة إلى زينب وجريرية، الصفحة ١٦٨٧، رقم الحديث ٢١٤١.

(١) أبو داود، الجزء الرابع، كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح، الصفحة ٢٨٩، رقم الحديث ٤٩٥٦.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب الأدب، باب اسم الحزن، الصفحة ٢٢٨٨، رقم الحديث ٥٨٣٦.

(٣) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب الأدب، باب الإنبساط إلى الناس والدعابة مع الأهل، الصفحة ٢٢٧٠، رقم الحديث ٥٧٧٨ ومسلم، الجزء =

كما يجوز التسمية باسم نبينا أما كنيته فلا، عن جابر رضي الله عنه قال: «**ولد لرجل منا غلام فسماه القاسم، فقالوا: لا تكنه حتى نسأل النبي ﷺ، فقال: سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي**»[1].

اختر اسماً حسناً لمولودك:

وذلك بأن يكون هذا الاسم قليل الحروف، خفيفاً على الألسن، سهلاً في اللفظ، سريع التمكن من السمع، حسناً في المعنى، ملائماً احال المسمى، جارياً في أسماء أهل طبقته وأهل مرتبته.

وأفضل اختيار ما كان مضافاً لاسم من أسماء الله أو من أسماء الأنبياء والمرسلين، أو الصحابة والصالحين، أو مأخوذاً من ألفاظ القرآن الكريم، تنوي بذلك التقرب إلى الله - جل اسمه - وانتفاع مولودك بالمعاني التي ترتبط بهذا الاسم، وتتصل بجوهر العقيدة السليمة، وهذه بعض الأسماء المختارة للاستئناس لا الحصر.

آ- أسماء الذكور:

أولاً - من الأسماء المضافة إلى أسماء الله تعالى:

عبد الله - عبد الرحمن - عبد الرحيم - عبد الملك - عبد السلام - عبد العزيز - عبد الخالق - عبد الغفار - عبد الوهاب - عبد الرزاق - عبد

= الثالث، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنكه، الصفحة ١٦٩٢، رقم الحديث ٢١٥٠.

(١) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب الأدب، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي، الصفحة ٢٢٨٨، رقم الحديث ٥٨٣٣.

الفتاح ـ عبد الحكيم ـ عبد اللطيف ـ عبد الحليم ـ عبد الكريم ـ عبد الحق ـ عبد الحميد ـ عبد الصمد ـ عبد القادر ـ عبد الرؤوف ـ عبد الغني ـ عبد الهادي . . . .

ثانياً ـ من أسماء الأنبياء والمرسلين :

آدم ـ نوح ـ صالح ـ إبراهيم ـ إسماعيل ـ يعقوب ـ يوسف ـ شعيب ـ أيوب ـ موسى ـ داود ـ سليمان ـ يونس ـ زكريا ـ يحيى ـ عيسى .

ثالثاً ـ من أسماء سيدنا محمد ﷺ :

محمد ـ أحمد ـ محمود ـ مصطفى ـ الأمين ـ المأمون .

رابعاً ـ من أسماء الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم[(١)] :

أبو بكر ـ عمر ـ عثمان ـ علي ـ طلحة ـ بلال ـ صهيب ـ سلمان ـ أنس ـ جعفر ـ أسامة ـ حسان ـ مصعب ـ معاذ ـ سعد ـ حمزة ـ حذيفة ـ عمار ـ عبادة ـ زيد ـ عمير ـ عتبة ـ أسعد ـ سعيد ـ سراقة ـ سنان ـ عطاء ـ أوس ـ خبيب ـ عاصم ـ عامر ـ ثابت ـ سالم ـ سليم ـ تميم ـ نعمان .

خامساً ـ من الأسماء المختارة من القرآن الكريم وهذه طائفة منها مع معانيها[(٢)] :

آ ـ أسماء الذكور :

إحسان : البر وعمل المعروف	أسلم : إنقاد، دخل في دين الإسلام
أمين : حافظ الأمانة	أيمن : المبارك، ذهب ذات اليمين
بركات : النماء والزيادة والخير	برهان : الحجة البينة الفاصلة

(١) انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى.

(٢) انظر كتب تفاسير القرآن الكريم، ومعاجم اللغة.

بشير: صاحب البشارة

ثابت: المستقر، الحازم

جمال: الحسن في الخَلق وفي الخلق

جهاد: القتال في سبيل الله

حافظ: الموكل بالشيء يحفظه

حسن: الجميل، الملاحة

خليل: صافي المودة

راشد: المستقيم على طريق الحق

رضوان: الملك، خازن الجنان، الرضا من الله

شاكر: كثير الشكر

سعيد: الموفق

سليم: السالم، الخالص من الشرك والذنوب

صادق: الذي لا يكذب أبداً

ضياء: الضوء، النور

طالب: السائل، الذي يطلب العلم

عابد: الملتزم بشرائع الدين

علي: المرتفع، الرفيع القدر الشريف

غيث: المطر، الإغاثة

فاتح: الغازي، المنتصر

فؤاد: القلب، العقل

مرشد: الواعظ، الدليل

توفيق: الصواب الموافق للمراد

جلال: التناهي في عظمة القدر

جميل: الحسن خَلقاً وخلقاً

جهار: الواضح، المسموع

حامد: الراضي بالشيء والمستريح إليه

خالد: دوام البقاء

راغب: المترفع، المتضرع

رشاد: ضد الغي

رفيق: الصديق والصاحب

سامر: الذي يتحدث مع جليسه ليلاً

سلطان: الملك، الحجة

صابر: المتجلد

صفوان: الصافي، الحجر الأملس

طارق: الآتي ليلاً، النجم الثاقب

طه: اسم سورة من سور القرآن

عاصم: المانع، الحامي

عماد: كل ما رفع شيئاً وحمله، الشريف

فائز: ظافر، الرابح

فضل: الزيادة، ضد النقص

قاسم: مجزىء

محسن: صاحب الإحسان والجود والكرم

محفوظ: المصان، الممنوع من الضياع والتلف
مصباح: السراج
معروف: المشهور، المعلوم
معمر: من طال عمره
منتصر: منتقم، الرابح، الفائز
منذر: صاحب الإنذار، المحذر
منصور: الفائز، الرابح
مؤمن: المصدِّق
منير: المضيء، المشرق، المشع
ناصح: من ينصح غيره
نصر: العون، التأثير
نصوح: المبالغ في النصح
نعيم: كل ما يتلذذ به ويتنعم
نور: الضوء وسطوعه
ياسين: اسم سورة من سور القرآن
ياقوت: حجر من الأحجار الكريمة

ب ـ أسماء الإناث:

أولاً ـ من أسماء الصحابيات[1]:

خديجة ـ فاطمة ـ زينب ـ رقية ـ عائشة ـ حفصة ـ صفية ـ أروى ـ جمانة ـ أمامة ـ سمية ـ لبابة ـ نائلة ـ خولة ـ هند ـ أميمة ـ سلامة ـ لبنى ـ ليلى ـ حبيبة ـ عميرة ـ بشيرة.

ثانياً ـ من الأسماء المختارة من ألفاظ القرآن الكريم وهذه طائفة منها مع معانيها[2]:

آلاء: النعم
آمنة: الصادقة، المطمئنة
آيات: علامات، المعجزات
آية: العلامة، العبرة، المعجزة
إحسان: البر وعمل المعروف
أحلام: الحلم، رؤيا النائم

---

(١) انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، الجزء الثامن في النساء، الفهرس.
(٢) انظر كتب تفاسير القرآن الكريم، ومعاجم اللغة.

إخلاص: التوحيد

إشراق: انبعاث النور

أمل: الرجاء

براءة: التبرؤ والتباعد

بيان: الكشف والإيضاح، فصاحة اللسان

حنان: رقة القلب، الرحمة

دانية: الناعمة

راضية: هانئة، عكس ساخطة

رغد: الكثير، الواسع، النعمة

رويدا: على مهل، بلا تعجل، التأني

زخرف: الزينة، الذهب، كمال الشيء

سكينة: الهدوء، طمأنينة القلب وخشوعه

سندس: نوع من رقيق الديباج أو الحرير المنسوج متعدد الألوان

صباح: أول النهار، طلوع النهار وإشراقه

فاتن: الرائع، المستهوي، المعجب

فردوس: حديقة في الجنة

قطوف: الثمار المقطوفة

أسماء: اللفظ الذي يعرف به الشيء ويستدل عليه

أفنان: جمع الفنن وهو الغصن المستقيم من الشجرة

إيمان: ضد الكفر، التصديق بالقلب والإقرار باللسان

بنان: أطراف الأصابع

تسنيم: ماء في الجنة

حياة: نقيض الموت، النمو، البقاء

دعاء: طلب الرجاء والخير، الإبتهال، التوسل

رخاء: سعة العيش، حسن الحال

روضة: الأرض ذات الخضرة والنبات

ريحان: كل نبت طيب الرائحة

زكية: الطيبة، الطاهرة، الخصبة

سلام: الأمن، من أسماء الله تعالى، التحية

سنا: الضوء، اللمعان

عـُلى: الرفعة، الشرف، العلاء

فرح: ابتهجت، انشرحت، الرضا، السرور

فلك: السفينة، المدار ليسبح فيه الجرم السماوي

قمر: كوكب سيار

كواعب: فتيات ناهدات
كوكب: النجمة في السماء
لحن: ترنم، خطأ في الكلام
لؤلؤة: الدرة
لينة: النخلة الصغيرة
مباركة: المتفائلة، صاحبة البركة
مرجان: اللآلىء الصغار البيض أو الحمر
مرح: شدة الفرح والانشراح، الاختيال والعجب
مريم: البتول بنت عمران، والدة عيسى عليه السلام
ملك: مفردة الملائكة، أجسام نورانية من خلق الله
نادية: عشيرة
نجوى: أسرار الحديث، المناجاة
نجاة: الأمان، الخلاص
نُـهى: العقل، الوجان
هدى: ضد الضلال، الاستقامة
هدية: العطية بلا مقابل
وردة: زهرة، أصنافها وألوانها وأشكالها متعددة

مما سبق نجد أن على الوالدين أن يختارا لأولادهما الاسم الجميل الحسن والصادق والذي يحمل المعاني الحسنة المحببة للقلب، كعبد الله وعبد الرحمن وأسماء الأنبياء وأسماء الصحابة والصالحين، وأن يبتعدا عن الأسماء التي تحمل في طياتها التشبه أو الغرام أو تقليد أعداء الله، وأسماء المستهترين بالدين أو العصاة أو المائعين والماجنين.

[في تاريخ ابن أبي خيثمة: أن طلحة رضي الله عنه الصحابي الجليل، كان له عشرة من الولد لكل منهم اسم نبي، وكان للزبير رضي الله عنه عشرة، كلهم تسمى باسم شهيد][(١)].

---

(١) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، مرجع سابق، الصفحة ٩١.

إن اختيار الاسم من قبل الوالدين لمولودهما أمر بالغ الأهمية والخطورة، يجب اختياره بعد تفكير عميق بشكل يتناسب مع العرف، بشرط ألا يخالف الشرع ودون الالتفات إلى رغبات الأهل والأقارب مع الأخذ بالعلم أن المولود سيتأثر في المستقبل باسمه، وسيحاسب والديه عليه إن لم يكن جميلاً مناسباً، ولا يحمل معاني صادقة، فالاسم حق من حقوق الولد، على الوالدين أداؤه بشكل مناسب.

ولكل اسم مدلوله الخاص بما يتعلق به من المعاني المختلفة، التي يحملها هذا الاسم بارتباطه بمن عرف به فاسم خديجة وعائشة وفاطمة وأسماء تحمل في طياتها المعاني السامية، والصفات الجليلة التي عرفت بها صاحبات هذه الأسماء الأوائل.

وكذلك محمد وعمر وعثمان وعلي، كل اسم يحمل دلالاته الخاصة وصفاته العالية، فعندما يختار الوالدان اسماً لمولودهما، فهما يقصدان أن يتأثر هذا المولود بصفات الاسم الذي يسمى به تبركاً ورغبة في تقمص شخصيته.

وأخيراً وبعد تسمية المولود الأول فإن أبويه يُكنيان باسمه.

عن أبي شريح أنه كان يسمى أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: «**إن الله هو الحكم وإليه الحُكم**، فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين، فقال: **ما أحسن هذا! مالك من الولد؟**، فقلت: شريح ومسلم وعبد الله، **قال**: **فمن أكبرهم؟**، قلت: شريح، قال: **أنت أبو شريح**»(١).

---

(١) أخرجه أبو داود، الجزء الرابع، كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح، الصفحة ٢٨٩، رقم الحديث ٤٩٥٥.

ثامناً ـ الحضانة والرضاعة إلى الحولين:

الحضانة: تربية الطفل وحفظه، وجعله في سرير وربطه ودهنه وكحله وتنظيفه وهي مشتقة من الحضن وهو ما تحت الإبط وما يليه، وسميت التربية حضانة تجوزاً، من حضانة الطير لبيضه وفراخه لأنه يجعلها تحت جناحيه، فسميت تربية الصبي بذلك أخذاً من فعل الطائر[(١)].

[وكفالة الطفل وحضانته واجبة، لأنه يهلك بتركه، فيجب حفظه من الهلاك كما يجب الإنفاق عليه وإنجاؤه من المهالك][(٢)].

والإسلام حين ربط الرجل والمرأة برباط الزوجية، وجمعهما في مستقر واحد هو الأسرة، حمَّل كلاً منهما المسؤوليةَ لتكوين اللبنة الصالحة في بناء المجتمع الصالح، وجعل لكل منهما واجبات وحقوق، فعلى الزوج الإنفاق وعلى الزوجة الحضانة والإرضاع.

والرضاعة: إرضاع الطفل الحليب من ثدي أمه، وعلى مدى عامين كاملين إن أمكن ذلك. وقد أثبتت البحوث الصحية والنفسية اليوم أن إرضاع الطفل على مدى عامين كاملين ضروري لينمو نمواً سليماً من

---

(١) انظر الكاساني، بدائع الضائع، الجزء الخامس، كتاب الحضانة، مطبعة الإمام، مصر، الصفحة ٢٢٥٢.
وابن منظور، لسان العرب، الجزء الثالث، مرجع سابق، الصفحة ٢٢٠.

(٢) المقدسي، المغنى، الجزء السابع، باب من أحق الكفالة للطفل، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م، الصفحة ٦١٢.

الناحيتين الصحية والنفسية، وهو ماسبق الإسلام إلى تقريره في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وأخيراً ومن كل ما سبق في هذا الفصل من حقوق المولود، نجد أن الله عز وجل قد اهتم بهذا المولود الجديد، وجعل له حقوقاً، وأمر والديه بأدائها، ورسم الشرع لهما الطريق السليم لتحقيق هذه الحقوق على أكمل وجه.

أداء هذه الحقوق من قبل الوالدين إلى مولودهما الجديد إنما هي الخطوات الأولى في تطبيق العقيدة من قبلهما من جهة، ومن جهة أخرى نجد فيه تثبيتاً للعقيدة في أعماق الطفل وقلبه وكيانه وشخصيته، ولا تقتصر مسؤولية الوالدين من الناحية العقدية في هذه الفترة على ماسبق فقط، وإنما عليهما واجبات أخرى منها:

أولاً ـ أن يعلماه أول ما يعلمانه من الكلام اسم الله، وينبغي على الوالدين [أن يذكرا اسم الله أمام الطفل من خلال مواقف محببة وسارة فالطفل مثلاً قد يستوعب حركة السبابة عند ذكر الشهادتين يتلفظ بها الكبير أمامه (الأم والأب أو أحد الإخوة الكبار) وذلك منذ الشهر الرابع من عمره فإذا به يرفع إصبعه مقلداً الكبار][(١)].

---

(١) محمد خالد الناصر وخولة عبد القادر درويش، تربية الأطفال في رحاب الإسلام، مرجع سابق، الصفحة ٢٣٠.

وماأشد لطافة هذه الحركة، وماأحبها عند الأهل الذين لا يملكون إزاءها إلا ضم صغيرهم وتشجيعه، وهو يشير بإصبعه عند ذكر اسم الله، فيرسخ اسم الله في نفسه بمحبة عارمة من والديه، ويغرس حب الله في قلبه، ومن الممكن للأم أن تذكر الله بنغمة وترنم وهي ترضعه أو تداعبه للنوم وغيره، فإذا به يتأثر بهذا اللفظ وتلك النغمة، وتدخل في أعماقه وتصبح من محبوباته.

ثانياً ـ تلقين الطفل قول لا إله إلا الله، وذلك بالتكرار والتنغيم مع المداعبة والتلقين فقد جاء في الحديث قوله ﷺ:

«افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله»[1].

[فإذا كان وقت نطقهم فليلقنوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله سبحانه وتوحيده، وإنه سبحانه فوق عرشه ينظر إليهم ويسمع كلامهم، وهو معهم أينما كانوا][2].

فهذه أم سليم الرميصاء أم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ أسلمت وكان أنس صغيراً، لم يفطم بعد، فجعلت تلقن أنساً قل: لا إله إلا الله، قل: أشهد أن محمداً رسول الله، ففعل فيقول لها أبوه: لا تفسدي عليَّ ابني فتقول: إني لا أفسده[3].

---

(١) البيهقي، شعب الإيمان، الجزء السادس، باب في حقوق الأولاد الأهلية، الصفحة ٣٩٧، رقم الحديث ٨٦٤٩.

(٢) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، مرجع سابق، الصفحة ١٥٨.

(٣) انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، الجزء الثاني، مؤسسة الرسالة، الطبعة العاشرة ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م، الصفحة ٣٠٥.

وكان أبوه إذ ذاك مشركاً وكأن التاريخ يعيد نفسه، فهذا الأب المشرك يعتبر أن التلفظ بعقيدة التوحيد والنطق بالشهادتين، إفساد لطفله، تماماً كما يرى كثير من الملاحدة في هذا العصر أن غرس الإيمان، وعقيدة التوحيد إفساد للناشئة، وإبعاد لهم عن التقدمية كما يزعمون.

ثالثاً ـ يجب على الوالدين حماية فطرة مولودهما من الانحراف، وصيانة العقيدة من الشرك، وذلك بالبعد عن العادات الجاهلية المغايرة لعقيدة التوحيد، كتعليق التمائم المختلفة في عنق أو كتف المولود، فقد نهى رسول الله ﷺ عن تعليق التمائم تعويذاً للصغير الاعتماد على الله وحده، قال رسول الله ﷺ:

«من علق تميمة فلا أتم الله له»[١] والتميمة ما يعلق على الصبي من خرزة أو غيرها.

بل على الوالدين أن يرقيا مولودهما برقية النبي ﷺ.

عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يعوذ بعض أهله، يمسح بيده اليمنى ويقول: **«اللهم رب الناس، أذهب الباس، اشفه وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقماً»**[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين:

---

(١) أخرجه البيهقي، الجزء التاسع، في السنة الكبرى عن عقبة بن عسار الجهني، كتاب الضحايا، باب التمائم، الصفحة ٣٥٠.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب الطب، باب رقية النبي صلى الله عليه وسلم، الصفحة ٢١٦٨، رقم الحديث ٥٤١١.

«أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة ويقول: إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق»[1].

رابعاً ـ تعويد سمع المولود في هذا السن على آيات القرآن الكريم تلاوة، وعلى كل نشيد ومديح بالنغم الهادىء الطيب المريح من قبل الوالدين، أو من الوسائل الحديثة، مما يؤثر في أعماق الطفل، ويتعود على ذلك ويرتبط به ويحبه فتهدأ نفسه، وترتاح عند سماع ذلك.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الثالث، كتاب الأنبياء، باب يزفون (الصافات ٩٤)، الصفحة ٢٣٣، رقم الحديث ٣١٩١.

الفصل الثالث

تربية العقيدة في الناشئ إلى سن البلوغ

لاشك أن تأسيس العقيدة السليمة منذ الصغر أمر بالغ الأهمية في منهج التربية الإسلامية، وأمر بالغ السهولة كذلك إذا ما وعى الوالدان واجباتهما في أداء هذه المهمة، التي أوكلها الله عز وجل لهما، كما قال الإمام الغزالي:

[اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له وقد قال الله عزوجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦].

ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا فأن يصونه عن نار الآخرة أولى، وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوده التنعم، ولا يحبب إليه الزينة والرفاهية فيضيع

عمره في طلبها إذا كبر فيهلك هلاك الأبد][1].

وهذه المرحلة التي نتحدث عنها هي أهم مرحلة بل أخطرها في مجال تربية الأبناء، فهي مرحلة تأسيس العادات الحسنة وتكوينها، وترسيخ العقيدة السليمة في أعماق الفكر والقلب، وتثبيتها والتوجيه إلى الأخلاق الفاضلة وتثبيتها في جميع تصرفاتهم، وهي كما قال الشاعر:

وينشأ ناشىء الفتيان منا على ما كان عوده أبوه
ومادان الفتى بحجىً ولكن يعلمه التديُّن أقربوه[2]

وما أحسن ما قال بعضهم:

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولا يلين إذا قومته الخشب
وينفع الأدب الأحداث في صغر وليس ينفع عند الشيبة الأدب[3]

وفي مجال دراستنا في هذا الكتاب حول بحث المنهج الإسلامي في تربية عقيدة الناشىء، فإن هذه المرحلة هي أهم مرحلة وأخطرها، لأنها المرحلة الأساسية في التلقين والتوجيه، والتأسيس لهذه العقيدة السليمة، التي يجب أن يقوم بها الوالدان بشكل أساسي، بالاستعانة بالمربين إن أمكن ذلك، وضمن المنهج الإسلامي الصحيح النابع من القرآن الكريم

(١) إحياء علوم الدين، الجزء الثالث، مرجع سابق، الصفحة ٧٢.
(٢) المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم برواية الخطيب التبريزي ومراجعة أبي منظور الجو اليقي، تحرير وشرح د.كمال اليازجي الطبعة الأولى، دار الجيل بيروت ١٩٩٢، الجزء الثاني، الصفحة ٤٩٦، القصيدة السادسة من حرف الهاء المضمومة، البيتان الرابع والخامس.
(٣) الماوردي، أدب الدنيا والدين، تحقيق مصطفى السقا، مكتبة مصطفى الباري الحلبي وأولاده / مصر، الطبعة الرابعة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، الصفحة ٢٢٨.

والسنة المطهرة، مع الاستفادة من تربية السلف وحسن تطبيقهم لهذا المنهج.

ولكي يكون المنهج أكثر سهولة، فمن الممكن أن نقسم الفترة ما بين الفطام إلى سن البلوغ أي من السنة الثانية إلى الخامسة عشرة تقريباً إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: ما بين الفطام إلى السابعة.

المرحلة الثانية: مابين السابعة إلى العاشرة.

المرحلة الثالثة: مابين العاشرة إلى سن البلوغ.

وهذا التقسيم يعتمد على الحديث المروي عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«مروا أولادكم بالصلاة، وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»(١).

فهناك مرحلة قبل السابعة، وهناك مرحلة أخرى مابين السابعة والعاشرة، وهناك المرحلة الثالثة بعد العاشرة إلى البلوغ، وكل لها مميزاتها الخاصة التي تعتمد على مراحل النمو والقدرات الخاصة بكل مرحلة، وبالتالي فإن المنهج التربوي يجب أن يتناسب مع تلك المرحلة والقدرات الخاصة بها.

وإذا كان الناشيء بعد سن البلوغ مكلفاً في حكم الشرع، ومحاسباً على كل مايبدر منه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فإن الفترة التي تسبق سن البلوغ لها أهمية بالغة في التكوين والتلقين والتنشئة، والتعليم

---

(١) أخرجه أبو داود، الجزء الأول، في سننه، كتاب الصلاة، باب من يؤمر الغلام بالصلاة، الصفحة ١٣٣، رقم الحديث ٤٩٥.

والتربية والتوجيه لكل ما أمر به الشرع، في جميع مجالات التربية الإسلامية، ومنها منهاج العقيدة الذي نحن في صدده.

ليصل الناشىء ـ بهذه التربية المتكاملة التي مر عليها قبل سن البلوغ ـ إلى سن البلوغ، وقد تعلم كل ما يجب عليه من أوامر الشرع ونواهيه، وتمرس على فعل الواجبات وترك النكرات، وحب الخير والبعد عن الشر، وتعلم أمور دينه كلها ومن جميع مجالاتها، وطبقها في صغره وشب عليها، فيسهل عليه الاستمرار والمتابعة والاستقامة والثبات إن شاء الله، وقد تحقق فيه قول القائل: «من شب على شيء شاب عليه».

مع أن لكل مرحلة من المراحل الثلاث التي ذكرناها مميزاتها الخاصة، فإنها تتداخل في كثير من مجالات المنهاج وتطبيقاته، لأنها تعتمد على مراحل النمو والقدرات التابعة له، ومراحل النمو والقدرات التابعة لها تختلف من إنسان لآخر، والفروق الفردية كثيرة بين الأطفال في هذه المراحل، ومن الأمور الهامة المرتبطة بالمراحل الثلاث دون تمييز بينها:

أولاً ـ مبدأ (خاطبوا الناس على قدر عقولهم).

وذلك بمراعاة أحوال الأطفال ومخاطبتهم على قدر عقولهم وهذا يدخل في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة التي أمرنا الله بها:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

والتبسيط والتيسير ههنا كشأنه في سائر المواقف أمر مطلوب فقد روي عن أنس رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أنه قال:

«يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»(١).

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الأول، كتاب العلم باب ما كان النبي صلى الله عليه=

ومخاطبة الناشئة بحدود إمكانياتهم ومستواهم العقلي وعدم تكليفهم ما يغلبهم، جانب عملي تطبيقي لما ورد في الآية الكريمة والحديث الشريف.

ثانياً ـ التدرج في ترجمة منهاج العقيدة ابتداءً من الحفظ، ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به، فالطفل في أول نشأته لا يحتاج في أمور العقيدة إلى حجة وبرهان، بل إلى التلقين والتقليد ثم يبدأ بعد ذلك التوضيح من أجل الفهم، ثم يأتي الاعتقاد الصحيح والإيقان والتصديق بها، فعندما نلقن الطفل مثلاً عبارة (لا إله إلا الله) ونحفظه إياها ليكررها، لا يحتاج إلى فهم معاني النفي والاثبات ونحو ذلك وهو طفل صغير، فإذا عقل الخطاب نشرح له معناها ليفهمها ويعتقد بها اعتقاد الإيقان والتصديق دون الحاجة إلى الجدل والكلام، وفي هذا يقول الإمام الغزالي في الفصل الثاني تحت عنوان (في وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد):

[اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوئه ليحفظه حفظاً، ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئاً فشيئاً، فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به، وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان، فمن فضل الله سبحانه على قلب الإنسان أن شرحه في أول نشوئه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان، وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مباديها التلقين المجرد والتقليد المحض ؟.

= وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، الصفحة ٣٨، رقم الحديث ٦٩.

وأخرجه مسلم، الجزء الثالث،كتاب الجهاد، باب في الأمور بالتيسير وترك التنفير، الصفحة ١٣٥٨، رقم الحديث ١٧٣٤.

نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خالٍ عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى أنه يقبل الإزالة بنقيضه لو ألقي إليه، فلابد من تقويته وإثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل، وليس الطريق إلى تقويته وإثباته أن يعلم صفة الجدل والكلام، بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه. ويشتغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً . . . .][1].

ثالثاً - اعتماد مبدأ الثواب والعقاب في مجالات التربية الإسلامية العامة عند الناشئة، ومنها منهج تربية العقيدة عندهم، ومبدأ إثابة المحسن على إحسانه وعقاب المسيء على إساءته مبدأ قرآني، قال تعالى:

﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

وقال أيضاً: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

فعندما نرغب في غرس العقيدة في نفوس الناشئة، ونرى استجابتهم السريعة والحسنة لذلك الغرس، نحاول مكافأة الناشىء على ذلك ومدحه، مما يبعث في نفسه جانب من الارتياح الوجداني.

وقد قدر السلف أهمية ترغيب الأبناء وثوابهم في حسن استجابتهم.

[روى النضر بن الحارث قال: سمعت إبراهيم بن الأدهم يقول: قال لي أبي: يا بني اطلب الحديث، فكلما سمعت حديثاً وحفظته فلك درهم فطلب الحديث على هذا][2].

[فهذا صلاح الدين الأيوبي رحمه الله وهو في خضم المعركة يتجول

---

(١) إحياء علوم الدين، الجزء الأول، الصفحة ٩٤، مرجع سابق.
(٢) الخطيب البغدادي، شرف أصحاب الحديث، دار الكتب المصرية، الصفحة ٩٠.

في المعسكر، فيجتاز على صغير بين يدي أبيه وهو يقرأ القرآن، فاستحسن قراءته فقربه وجعل له حظاً من خاص طعامه، ووقف عليه وعلى أبيه جزءاً من مزرعته][١].

[والثواب قد يكون مادياً ملموساً كإعطاء الطفل لعبة، أو حلوى أو نقوداً أو . . . .

وقد يكون معنوياً يفرح نفسه، كالمدح والابتسام والاعتزاز بالطفل على عمله الطيب أمام الناس. ولكن لا يفوتنَّ المربي أن عدم الغلو في المدح، أدب إسلامي، وهو توجيه تربوي يلتزمه المربي أيضاً، فلا يكثر من عبارات الاستحسان لئلا تفقد قيمتها، ويدخل الغرور إلى نفس الطفل كما أنه لا يجعل الثواب هو الأساس، لما لذلك من أثر سيىء على نفسية الطفل مستقبلاً، وإنما يوازن بين الثواب المادي والثواب المعنوي][٢].

والوالدان والمربون الذين يكافئون ناشئتهم (بالنقود أو الهدايا أو الملابس أو الحلوى أو غير ذلك) على حفظهم لآيات من القرآن، أو أحاديث الرسول ﷺ، أو لتطبيقهم الواجبات الإيمانية يصلون بأبناءهم إلى مستوى عالٍ من النجاح والتقدم والفائدة والتطبيق، ولكن يجب تنبيه الناشئة بين الفترة والأخرى أن عليهم أن يعلموا أن الدافع لأعمالهم تلك يجب ألا يكون من أجل هذه المكافآت، وإنما هي أعمال خالصة

---

(١) بهاء الدين بن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، الطبعة الثانية ١٩٦٤، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، الصفحة ٩.

(٢) محمد حامد الناصر وخولة عبد القادر درويش، تربية الأطفال في رحاب الإسلام، مرجع سابق، الصفحة ٢٠١.

لوجه الله عز وجل، وهم يرجون الثواب منه وهم إن قبلوا المكافأة فهي هدية وليست هي المقصودة والمرجوة.

أما مبدأ العقاب في مجال التربية، فلا يعني الضرب والشدة والتحقير كما يظن الكثيرون، وإنما يعني مساعدة الناشىء للوصول إلى أقصى كمال ممكن، وبما أن ديننا رفع التكليف عن الصغار، فيحسن أن يكون التأديب بغير الضرب، ثم وجه إلى العقاب كوسيلة مساعدة للمربي لتعالج حالة من النفوس لا يصلحها إلا الضرب، وذلك بعد سن التمييز كما يبدو من حديث الرسول ﷺ.

«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر»(١).

وقد وجه الرسول ﷺ للأسلوب الحكيم في التربية فقال:

«علقوا السوط حيث يراه أهل البيت، فإنه لهم أدب»(٢).

وذلك ليشعر الأطفال بهيبة الأسرة وإمكانية عقاب المخطىء.

هذا ويجب أن يتناسب العقاب مع السن، ففي السنة الأولى والثانية يكفي تقطيب الوجه، وفي الثالثة يمكن أن تؤخذ بعض ألعابه لقاء ما أتى به من عمل شاذ، والسنوات التالية يكفي التوبيخ العادي الخفيف ولهجة الصوت القاسية، أو الامتناع عن الكلام معه فترة بسيطة، ولا يصح بحال أن يكون العقاب سخرية وتشهيراً، وتنابزاً بالألقاب كمن ينادي ابنه: يا أعور يا أعرج يا كذاب يا لص يا منافق يا غشاش يا قليل الفهم.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، الجزء الأول، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام، الصفحة ١٣٣، رقم الحديث ٤٩٥.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، الجزء العاشر، الصفحة ٢٨٤، رقم الحديث ١٠٦٧١.

ألم يسمع هؤلاء قول الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

وما أجمل أن نستمع إلى نصيحة الإمام الغزالي في هذا الموضوع وهو يقول:

[ثم مهما ظهر من الصبي من خلق جميل أو فعل محمود، ينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح ويمدح بين أظهر الناس، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة، فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه، ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله، ولا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه، فإن إظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة فعند ذلك إن عاد ثانياً فينبغي أن يعاتب سراً ويعظم الأمر فيه، ويقال له إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا وأن يطلع عليك في مثل هذا فتفضح بين الناس، ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام في قلبه، وليكن الأب حافظاً هيبة الكلام معه فلا يوبخه إلا أحياناً، والأم تخوفه بالأب وتزجره عن القبائح][١].

ويجب أن يدرك الآباء والمربون، أن مبدأ العقاب وخاصة بالضرب، إن اعتمد عند الضرورة كأسلوب في تربية الناشئة، على أمور العبادة والأخلاق والسلوك، فإنه لايصلح اعتماده في التربية العقدية، لأنها تربية عن طريق التلقين والحوار والمناقشة والاقناع حتى يصل الناشىء إلى الاعتقاد والإيمان واليقين.

---

(١) إحياء علوم الدين، الجزء الثالث، الصفحة ٧٣، مرجع سابق.

رابعاً ـ زرع التنافس البناء بين الأطفال ومكافأة الفائز:

إن التنافس يحرك في الإنسان عامة فضلاً عن الطفل مشاعر وطاقات مكنونة، لا تنكشف إلا بالتنافس مع الآخرين، ورغبة في الفوز عليه، ونيل المكافأة على ذلك، ولقد كان رسول الله ﷺ يثير في نفوس الأطفال روح المنافسة، ليحرك فيهم هذه الطاقة الهائلة ومن ذلك ما روي عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصفُّ عبد الله وعبيد الله وكثيراً من بني العباس رضي الله عنهم ثم يقول: «**من سبق إليَّ فله كذا وكذا، قال: فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم**»[1].

وكان رسول الله ﷺ يستخدم هذا الأسلوب في مجالات كثيرة وعلى سبيل الذكر لا الحصر. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«**إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها، وهي مثل المسلم حدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البادية، ووقع في نفسي أنها النخلة، قال عبد الله: فاستحييت.**

فقالوا يا رسول الله، أخبرنا بها فقال رسول الله ﷺ (هي النخلة).

قال عبد الله: فحدثت أبي بما وقع في نفسي، فقال: لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا»[2].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، الجزء الأول، الصفحة ٤٥٩، رقم الحديث ١٨٣٦.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الأول،كتاب العلم، باب الحياء في العلم، الصفحة ٦٠، رقم الحديث ١٣١. =

ولقد تأسى صحابة رسول الله ﷺ بهذا الأسلوب النبوي ومنهم عمر بن الخطاب، فقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: [فيم ترون أنزلت هذه الآية:

فقالوا: الله أعلم، فغضب عمر فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم.

فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين.

فقال عمر: قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك.

فقال ابن عباس: ضرب مثلاً لعمل، فقال عمر: أي عمل؟ فقال: العمل، فقال عمر لرجل غني يعمل بالحسنات، ثم بعث إليه شيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله كلها][1].

وعلى هذا يجب زرع روح التنافس بين الناشئة ليتسابقوا في أداء الواجبات، والابتعاد عن المنهيات، ويتسابقوا في رضى رب العالمين، والتقرب إليه بحفظ القرآن وتطبيق السنة، والإكثار من الذكر والطاعات وغير ذلك.

خامساً ـ عدم الإخافة الشديدة للطفل من الله أو عقابه أو ناره:

[لا يجوز للمربي أن يتكىء على خط الخوف، حتى يرعب الطفل بغير موجب، بكثرة الحديث عن غضب الله وعذابه، والنار وبشاعتها ....

إنما ينبغي أن نبدأ بالترغيب لا بالترهيب، حتى يتعلق قلب الطفل بالله

= ومسلم، الجزء الرابع، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب مثل المؤمن مثل النحلة، الصفحة ٢١٦٤، رقم الحديث ٢٨١١.

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب التفاسير، الجزء الثاني، الصفحة ٢٨٣.

من خيط الرجاء أولاً، فهو أحوج في صغره إلى الحب][1].

وإنما يجب على المربي أن ينمي عند الأطفال الشعور الديني القائم على حب الله، حيث يركز على معاني الحب والرجاء ومظاهر رحمة الله تعالى الواسعة بالناس.

[ويبتعد المربي عن تلقين الأطفال اسم الله من خلال الأحداث الأليمة، ذلك أن للخبرات الأليمة أثرها في تشكيك المؤمن في عقائده وانحيازه إلى النزعة اللادينية][2].

ومن الأحداث الأليمة عند الطفل مثلاً أن نقرن له ولادة الطفل بشق بطن أمه مثلاً ..... [فيتصور أن فعل الميلاد أمر بشع، وحيث أن مولد طفل جديد يثير قلقه، فمن المحتمل أن تكون أولى خبرات الطفل بالله خبرات أليمة][3].

وبما أن الطفل ذو نفس مرهفة شفافة، فلا ينبغي على المربي تخويفه ولا ترويعه كذلك بالنار وما فيها من عذاب شديد، لأن نفسه قد تتأثر تأثراً عكسياً، ولكن يمكن أن يمر على قضية جهنم مروراً رقيقاً أمام الأطفال، دون التركيز المستمر على التخويف بالنار، فقد يؤدي ذلك إلى أضرار لا تحمد عواقبها.

كذلك يجب عدم إخافة الطفل بالجن والغول والضبع والشبح والعفريتة والشرطي وغير ذلك. حتى يتحرر الطفل من شبح الخوف،

---

(١) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، الطبعة السابعة، الجزء الثاني، الصفحة ١٦٤.

(٢) د. عبد المنعم عبد العزيز المليجي، تطور الشعور الديني عند الطفل والمراهق، دار المعارف بمصر ١٩٥٥ م، الصفحة ١٧٥.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ٦١.

وينشأ على الشجاعة والإقدام بعيداً عن المخاوف والرعب، ويتمتع بالطمأنينة والهدوء والاستقرار. وأخيراً وبعد ذكر الأمور الهامة المرتبطة بالمراحل الثلاث دون تمييز بينها، لنعد إلى تفصيل المنهج الإسلامي في تربية عقيدة الناشيء في كل مرحلة من هذه المراحل.

المرحلة الأولى:

ما بين الفطام (أي السنتين) إلى السابعة من عمر الناشيء:

من واجب الوالدين في هذه المرحلة الاهتمام الشديد بعقيدة أطفالهم والتركيز على ما يلي:

أولاً ـ ربطهم بمحبة الله عز وجل: وذلك على طريقة محبة العامة وهي محبة الله تعالى لأجل إحسانه إلى عباده، وهذه المحبة على هذا الأصل لا ينكرها أحد فإن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها وخاصة الأطفال. قال الله تعالى:

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [النحل: ١٨].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النحل: ٥٣].

وقال أيضاً: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ [البقرة: ٢٩].

وقال: ﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ﴾ [لقمان: ٢٠].

وقال رسول الله ﷺ: «**أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه**»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، الجزء التاسع، كتاب المناقب، باب مناقب أهل بيت النبي صلى اله عليه وسلم، الصفحة ٣٤٣، رقم الحديث ٣٧٩٢.
وأخرجه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس، الجزء الثالث، كتاب معرفة الصحابة، الصفحة ١٥٠، وقال: حديث صحيح الاسناد.

فيجب على الوالدين العرض المستمر للنعم التي أنعمها الله على عباده وخاصة المحسوسة للأطفال وهي مهمة لهم:

الله الذي خلقنا وأوجدنا.

الله أعطانا العينين اللتين نرى بهما كل شيء.

الله أعطانا السمع الذي نسمع به كل شيء.

الله أعطانا اللسان الذي نتكلم به.

الله أعطانا العقل الذي نعقل به.

الله أعطانا القدمين اللتين نسير بهما.

الله أعطانا اليدين اللتين نستعملهما في أعمالنا الكثيرة

ما أجمل الله وما أعظمه.

نحن نحبه كثيراً لأنه يحبنا ويعطينا كثيراً من النعم التي لا تعد ولا تحصى.

وكذلك عندما يقدم الوالدان الطعام لأطفالهما يعرفان بالله الخالق لكل شيء، فمثلاً عندما يقدم الوالد التفاح لأولاده يقول:

الله خلق لنا هذا الطعام الشهي.

خلق لنا التفاح اللذيذ في طعمه.

الجميل في منظره.

المنعش في رائحته.

مختلف ألوانه وشكله وطعمه.

سبحان الخالق، سبحان الخالق العظيم، نحبك يا الله.

لأنك خلقت لنا ولأجلنا كل هذا.

وبمثل هذا يتحدث الوالدان مع أطفالهما عند كل مأكل ومشرب.

ويعلمانهم ذكر الله عند البدء بأي عمل بأن يقولوا: بسم الله الرحمن الرحيم.

عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ فكانت يدي تطيش(١) في الصحفة فقال لي رسول الله ﷺ:

«يا غلام سمِ الله تعالى، وكل بيمينك، وكل مما يليك»(٢).

وفي هذا الحديث كثير من الدروس التربوية، أشير فقط إلى ما فيه من توجيه الآباء لمراقبة أبنائهم الدائمة والشديدة لكل تصرف يصدر منهم، ثم معالجته مباشرة بالنصح والإرشاد وبالحكمة والموعظة الحسنة مما يؤثر في نفسية الطفل وسلوكه.

ويجب على الوالدين أن يغرسا في أولادهما الالتجاء إلى الله بالدعاء عند كل نعمة، ومن هذا القبيل ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان يقول في الطعام إذا قرب إليه:

«اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار، بسم الله»(٣).

وكذلك أن يعلماهم ذكر الله تعالى عند الانتهاء من الطعام بأن يقولوا:

---

(١) تطيش: تتحرك وتمتد إلى نواحي الصحفة ولا تقتصر على موضع واحد(القسطلاني، إرشاد الساري، المجلد الثامن، الصفحة ٢١١).

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، الصفحة ٢٠٥٦، رقم الحديث ٥٠٦١.
ومسلم، الجزء الثالث، كتاب الأشربة، باب أداء الطعام والشراب وأحكامهما، الصفحة ١٥٦٩، رقم الحديث ٢٠٢٢.

(٣) أخرجه ابن السني، عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا قرب إليه الطعام، الصفحة ٢١٦، رقم الحديث ٤٥٧.

(الحمد لله) ثم يدعوا بما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من طعامه قال: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين**»(١).

وقد روي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**إن الله تعالى ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها**»(٢).

وأن يربيا أطفالهما أن الحمد شكر لله عز وجل على ما أنعم علينا وفضل، وأنه بالحمد والشكر تزيد النعم ويرضى الله عنا ويثيبنا بالحسنات.

وعلى الوالدين أن يغرسا في نفوس أطفالهما بعض صفات الله تعالى وقدرته:

الله مالك كل شيء.

السماء وما فيها من شمس وقمر وكواكب وغيرها

ملك لله تعالى

الأرض وما فيها من سهول وجبال وبحار وأنهار وغيرها

ملك لله تعالى

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، الجزء الثالث، كتاب الأطعمة باب ما يقول الرجل إذا طعم، الصفحة ٣٦٦، رقم الحديث ٣٨٥٠.

(٢) أخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب حمد الله بعد الأكل والشرب، الصفحة ٢٠٩٥، رقم الحديث ٢٧٣٤.

الإنسان والحيوان والنبات
ملك لله تعالى
كل ما في السموات والأرض
ملك لله تعالى
الله تعالى مالك كل شيء
الله مالك كل شيء
الله خالق كل شيء
الله قادر على كل شيء
الله واحد لا شريك له[1].

ويجب على الوالدين الاستفادة من مرحلة الطفولة الجميلة، ومن طاقاتها العظيمة في الحفظ وحب الإنشاد والغناء، وفي التعبير والمدح والتمثيل المعبر، الاستفادة من كل ذلك في تثبيت العقيدة وترسيخها في أعماقهم، بمثل هذه الأنشودة المعبرة عن قدرة الله وعظمته وخلقه لكل شيء، فنغم جميل وكلمات سهلة حلوة يحفظها الطفل فيستفيد من معانيها، ويتعلم من كلامها، ويغني ويمثل معبراً عن معانيها بالحركات الطفولية الجميلة.

الله الخالق

مـــن أنـــزل الأمطـــار   وفجـــــر الأنهـــــار
وأنبــــت الأزهـــــار   تـــزخـــرف الجبـــال؟

(١) يوسف العظم، براعم الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، الصفحة ٢٠.

ذاك العظيم في علاه من أبدع الكون سواه؟

مـــن زيـــن السمـــاء وجمـــل الفضـــاء
وأرســـل الضيـــاء ليـــرســـم الظـــلال؟
ذاك العظيـم فـي عـلاه مـن أبـدع الكـون سـواه؟!
مـــن علـــم العصفـــورا فـــي الجـــو أن يطيـــرا
ومـــن جـــلا الغـــديـــرا ودفـــق الشـــلال؟
ذاك العظيـم فـي عـلاه مـن أبـدع الكـون سـواه؟!
فمـــن أنطـــق اللســـان وأسمـــع الآذانـــا
وعلـــم الإنســـانـــا وأبـــدع الجمـــال؟
ذاك العظيـم فـي عـلاه مـن أبـدع الكـون سـواه؟!
مـــن ينشـــر الصبـــاحـــا ويـــرســـل الـــريـــاحـــا
ويمـــلأ البطـــاحـــا مـــن رزقـــه الحـــلال؟
ذاك العظيم في علاه من أبدع الكون سواه؟![1]

وفي موضوع ربط الأطفال بالله ومحبته وصفاته يجب على الوالدين إشعار الأطفال أن الله معنا وقريب منا، يسمعنا ويبصرنا، لا تخفى عليه خافية من أعمالنا، وهو يحفظنا من كل مكروه إن حفظنا أوامره، ويعطينا ما نحتاج إليه إن دعوناه، كما يجب على الوالدين أن يعلماهم أن يرددوا قول الله تعالى:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥].

---

(١) يوسف العظم، أناشيد وأغاريد للجيل المسلم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، الصفحة ١٢.

قال سهل بن عبد الله التستري: [كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم الليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك، فقلت كيف أذكره ؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك [الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهدي] فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة، فقلته فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل من كان الله معه وناظراً إليه وشاهده أيعصيه ؟، إياك والمعصية][1].

ولو حرص الآباء على عقيدة أطفالهم لرددوا معهم وفي كل المناسبات وخاصة عند تهيئة الطفل للنوم:

الله معي الله ناظر إلي الله يراني الله يسمعني

تلك الكلمات التي تدخل في أعماق الطفل، فتنغرس فيه، وتثبت لتنمو مخافة من الله، ومراقبة له في مستقبل الأيام.

ثانياً ـ ربطهم بالقرآن الكريم:

وذلك بالتوضيح لهم أن القرآن الكريم هو كلام الله نزل به الملك جبريل على النبي محمد ﷺ.

وأن في القرآن عبراً وحكماً وأحكاماً وقصصاً وآيات تدلنا على الله خالقنا، وتعرفنا بما يجب أن نعمل به، وما يجب أن نبتعد عنه لننال

---

(١) إحياء علوم الدين، الجزء الثالث، الصفحة ٧٤، مرجع سابق.

رضاه، ولنفوز بالجنة وننجو من النار، لذلك يجب على كل مسلم أن يتلو القرآن الكريم دائماً ليتعرف على طريق الله المستقيم، ولينال من الله بتلاوته الثواب الجزيل وبالعمل به الأجر العظيم.

ثم يبدأ الوالدان بتعليم الأطفال بعض سور القرآن الكريم الصغيرة، وتعليم القرآن الكريم الأطفال، وهم صغار أصل من أصول المنهج الإسلامي، فينشؤون على الفطرة، ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها وتسويدها بأكدار المعصية والضلال، فتسري روح القرآن في قلوبهم، ونوره في عقولهم وأفكارهم ومداركهم وحواسهم، ويتلقوا عقائد القرآن منذ الصغر، وينشؤوا على محبة القرآن والتعلق به، والائتمار بأوامره، والانتهاء عن مناهيه، والتخلق بأخلاقه، والسير على منهاجه.

وقد انتبه إلى ذلك ابن خلدون فقال:

[اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار الدين، أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان، وعقائده من آيات القرآن، وبعض فنون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات، وسبب ذلك أن التعليم في الصغر أشد رسوخاً، وهو أصل لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات، وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال من ينبني عليه](١).

وبصفاء الذهن الذي يتمتع به الطفل في هذه الفترة والقدراته العجيبة

---

(١) مقدمة ابن خلدون، الفصل الواحد والثلاثون في تعليم الولدان، الصفحة ٥٣٧.

التي أودعها الله فيه يتيحان له أن يحفظ الكثير من القرآن الكريم، وبمدة قصيرة، وحفظه هذا يثبت معه إلى كبره ولاينساه أبداً، وخاصة إن استمر في تكراره وتلاوته. عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل الذي يتعلم في صغره كالنقش على الحجر، ومثل الذي يتعلم في كبره كالذي يكتب على الماء**»(١).

قال أبو عبد الله نفطويه:

أراني أنسى ما تعلمت في الكبر ولست بناس ما تعلمت في الصغر
ومالعلم إلى بالتعلم في الصبا وما الحلم إلى بالتحلم في الكبر(٢)

ولقد فطن أهل السلف لذلك فسعوا بأولادهم إلى تعلم القرآن وهم في سن مبكر.

[قال أبو عاصم: ذهبت بابني إلى جريج، وهو ابن أقل من ثلاث سنين، يحدثه بهذا الحديث والقرآن. وقال: لا بأس أن يعلم الصبي الحديث والقرآن وهو في هذه السن ونحوه](٣).

وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري: [رأيت صبياً ابن أربع سنين قد حمل إلى المأمون، قد قرأ القرآن ونظر في الرأي، غير أنه إذا جاع يبكي](٤).

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب العلم، باب حث الشباب على طلب العلم، الصفحة، ٣٣٣، رقم الحديث ٥١٥.

(٢) القرطبي (يوسف بن عبد الله)، بيان العلم وحفظه، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الجزء الأول، الصفحة ٨٤.

(٣) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الراوية، دار الكتب العلمية، بيوت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، الصفحة ٦٤

(٤) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[وقال أبو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأصبهاني: حفظت القرآن ولي خمس سنين، وحملت إلى أبي بكر المقرىء لأسمع ولي أربع سنين، فقال بعض الحاضرين: لا تسمعوا له فيما يقرأ فإنه صغير، فقال لي ابن المقرىء: اقرأ سورة التكوير فقرأتها، فقال لي غيره: اقرأ سورة المرسلات فقرأتها ولم أغلط فيها، فقال ابن المقرىء سمعوا له والعهدة علي](١).

قال سهل بن عبد الله التستري وهو يتابع قصته التي مرت معنا سابقاً: [فمضيت إلى الكتاب، فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين](٢).

فإذا كانت إمكانيات الطفولة والفطرة بهذا الشكل، فلمَ لا يستفيد الوالدان من ذلك في تثبيت العقيدة لدى أطفالهما، واشغال أوقاتهم بالمفيد وتربيتهم التربية المثالية التي تحفظهم في كبرهم من كل المساوىء، والامتحانات المختلفة، إلى جانب المكانة العالية والثواب العظيم الذي يناله الوالدان في الدنيا والآخرة.

عن سهل بن معاذ عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«من قرأ القرآن، وعمل به أُلبس والداه تاجاً يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا، فما ظنكم بالذي عمل بهذا»(٣) أي الذي قرأ القرآن وعمل به ألبسه الله تاجاً أبهى وثواباً أكبر.

---

(١) المرجع السابق، الصفحة ٦٥.

(٢) إحياء علوم الدين، الجزء الثالث، الصفحة ٧٤.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، الجزء الثاني، كتاب الصلاة، باب في ثواب قراءة القرآن، الصفحة ٧٠، رقم الحديث ١٤٥٣.

وإلى جانب ما في قراءة الأطفال للقرآن من أثر في رفع البلاء والعذاب عن الأسرة والمجتمع.

عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حكماً مقضياً، فيقرأ صبي من صبيانهم في المكتب «الحمد لله رب العالمين «فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بسببه العذاب أربعين سنة»[١].

ولا بأس أن نشجع الأطفال وهم يتعتعون في قراءتهم ونحدثهم بالحديث المروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران»[٢].

[فللقرآن الكريم تأثير كبير على النفس البشرية عامة، يهزها ويجذبها ويضرب على أوتارها، وكلما اشتدت النفس صفاء كلما ازدادت تأثرا، والطفل أقوى الناس صفاء، وفطرته مازالت نقية، والشيطان ما زال في كبوته تجاهها، وإذا تأملنا الآيات المكية، وجدناها قصيرة تتناسب مع نفسه القصير، بالإضافة إلى قصار السور التي تقدم للطفل موضوعاً متكاملاً بأسطر قليلة، سهلة الحفظ قوية التأثير][٣].

---

(١) الرازي، التفسير الكبير، الجزء الأول، فضائل الفاتحة، الصفحة ١٧٨.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الرابع، كتاب التفسير، سورة عبس، الصفحة ١٨٨٢، رقم الحديث ٤٦٥٣.

وأخرجه مسلم، الجزء الأول،كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فصل الماهر بالقرآن والذي يتعتع فيه، الصفحة ٥٤٩، رقم الحديث ٧٩٨ واللفظ له.

(٣) محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، منهج التربية النبوية، مرجع سابق، الصفحة ١٠٨.

وعلى الوالدين أن يبدءا بتحفيظ أطفالهما السور القصيرة من القرآن الكريم لتناسبها مع طفولتهم كما مرّ معنا، ولابد لهما أن يهتما أثناء تلاوة الطفل بشرح موجز بسيط لما يقرأ، حتى تفتح معاني القرآن قلب وعقل الصغير، والطفل في هذه الفترة لديه القدرة العجيبة على الفهم والحفظ والتذكر والاستيعاب.

[روي عن محمود بن الربيع أنه أدرك النبي ﷺ، وعقل منه مجة مجها في وجهه من بئر في دارهم، وهو يومئذٍ ابن خمس سنين](١).

[عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سلوني عن سورة النساء فإني قرأت القرآن وأنا صغير](٢).

[وعن مصعب بن سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنهما قال: قلت لأبي: يا أبتاه أرأيت قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٦].

أينا لا يسهو؟ أينا لا يحدث نفسه؟ قال: ليس ذاك إنما هو إضاعة الوقت، يلهو حتى يضيع الوقت](٣).

ومن تأثيرات القرآن في نفس الطفل أنه حينما يعايشه ترتيلاً وفهماً، يستطيع أن يحل به كثيراً من مشاكله الاعتقادية والنفسية، وأن يقوم سلوكه، ويهدىء من انفعالاته العصبية، ويوسع من ذاكرته، وكمثال على

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الأول،كتاب العلم، باب متى يصح سماع الصغير، الصفحة ٤١، رقم الحديث ٧٧.
(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، الجزء الثاني، الصفحة ٣٠١.
(٣) أخرجه أبو يعلى في سنده من مسند سعد بن أبي وقاص، الجزء الثاني، الصفحة ٦٣، رقم الحديث ٧٠٤.

ذلك نذكر هذه القصة اللطيفة للعلامة الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله قال:

[كان صورة ما وقع لي وأنا صغير، أني فكرت يوماً في الله عز وجل فقسته على ما أتعقله ثم صرفته بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]](١).

ولكي يسهل على الوالدين تحفيظ أطفالهم القرآن، يجب اتباع الطريقة التالية:

١ـ تقديم مقدمة عامة عن السورة الصغيرة وأسباب نزولها.

٢ـ قراءة السورة بكاملها أمام الطفل وعلى مسامعه.

٣ـ الشرح العام لمعاني السورة.

٤ـ القراءة آية آية أمام الطفل وترديد ذلك من قبله.

٥ـ الاستماع إلى ما ثبت في ذهن الطفل شيئاً فشيئاً مع تصحيح أخطائه.

٦ـ الاستماع إلى الطفل وهو يتلو السورة بكاملها، وعندها يكون الطفل قد حفظ هذه السورة.

ولابد من التذكير هنا بما ورد سابقا من التدرج في الحفظ، والتشجيع، والمكافأة للطفل، وإجراء المنافسة بين الأطفال تشجيعا لهم وتقديراً.

ولاننسى أبداً أن هذه السور الصغيرة، هي من مرتكزات العقيدة الأساسية ولها أكبر الأثر في ترسيخ العقيدة في نفس الطفل وقلبه، وفي

---

(١) نقلاً عن محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، منهج التربية النبوية، مرجع سابق، الصفحة ١١٠.

سلوكه وأخلاقه وأعماله، وإليك أيها الوالد والوالدة والمربي أمثلة توضيحية لذلك:

أمثلة توضيحية[1]:

١ـ سورة الإخلاص:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾

تسميتها: سميت بأسماء كثيرة أشهرها سورة الإخلاص، لأنها تتحدث عن التوحيد الخالص لله عز وجلّ، المنزه عن كل نقص، المبرأ من كل شرك، ولأنها تخلص العبد من الشرك أو من النار، سميت أيضاً سورة التفريد أو التجريد أو التوحيد أو النجاة أو الولاية، لأن من قرأها صار من أولياء الله، أو المعرفة، وتسمى كذلك سورة الأساس، لاشتمالها على أصول الدين.

فضلها: وردت أحاديث كثيرة في فضل هذه السورة، وأنها تعدل في ثواب قراءتها ثلث القرآن.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه:

«**أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟** فشق ذلك عليهم، وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: **الله الواحد الصمد ثلث القرآن**»[2].

---

(١) انظر د.وهبة الزحيلي، التفسير المنير، الجزء ٣٠، الصفحة ٤٦١ وما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الرابع، كتاب القرآن، باب فضل قل هو الله أحد، الصفحة ١٩١٦، رقم الحديث ٤٧٢٧.

سبب نزولها: روي عن أبي بن كعب «أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: يامحمد أنسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾»[1].

التفسير:

قل هو الله أحد: أي قل أيها الرسول لمن سألك عن صفة ربك ونسبته: هو الله أحد، أي واحد في ذاته وصفاته لا شريك له، ولا نظير ولا عديل.

الله الصمد: أي الذي يصمد إليه في الحاجات، أي يقصد فهو المقصود في جميع الحاجات، لأنه الأقدر على تحقيقها.

لم يلد ولم يولد: أي لم يصدر عنه ولد، ولم يصدر هو عن شيء لأنه لا يجانسه شيء، ولأنه قديم غير محدث لا أول لوجوده.

ولم يكن له كفواً أحد: أي ليس لله أحد يساويه، ولا يماثله ولا يشاركه في شيء.

٢ـ سورة العلق:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾

---

(١) أخرجه الترمذي، الجزء التاسع، كتاب تفسير القرآن، سورة الإخلاص، الصفحة ٨٦، رقم الحديث ٣٣٦١.

فضل المعوذتين: عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط «قل أعوذ برب الفلق» و «قل أعوذ برب الناس»»[١].

وعنه أيضاً قال:

[أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة][٢].

التفسير:

قل: أعوذ برب الفلق، من شر ما خلق: أي قل أيها النبي: ألجأ إلى الله، وأستعيذ برب الصبح، لأن الليل ينفلق عنه، أو برب كل ما انفلق عنه جميع ما خلق الله: من الحيوان، والصبح، والحب والنوى، وكل شيء من نبات وغيره، أعوذ بالله خالق الكائنات من شر كل ما خلقه الله سبحانه من جميع مخلوقاته وفيه إشارة إلى أن القادر على إزالة الظلمة عن وجه الأرض قادر على دفع ظلمة الشر ورد الآفات عن العبد.

وبعد أن عم الاستعاذة من جميع المخلوقات خصص بالذكر ثلاثة أصناف تنبيهاً على أنها أعظم الشرور، وأهم شيء يستعاذ منه هي:

---

(١) أخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة المعوذتين، الصفحة ٥٥٨، رقم الحديث ٨١٤.
وأبو داود في سننه، الجزء الثاني، كتاب الصلاة، باب في المعوذتين، الصفحة ٧٣، رقم الحديث ١٤٦٣.

(٢) أخرجه الترمذي، الجزء الثامن، كتاب أثواب القرآن، باب ما جاء في المعوذتين، الصفحة ١١٠، رقم الحديث ٢٩٠٤.
وأخرجه أبو داود في سننه، الجزء الثاني، كتاب الصلاة، باب في المعوذتين، الصفحة ٧٣، رقم الحديث ١٤٦٣.

١ـ **(ومن شر غاسق إذا وقب)** أي وأعوذ بالله من شر الليل إذا أقبل، لأن في الليل مخاوف ومخاطر من سباع البهائم، وهوام الأرض وأهل الشر والفسق والفساد.

٢ـ **(من شر النفاثات في العقد)** أي وأعوذ بالله من شر النفوس الخبيثة أو النساء الساحرات! لأنهن كن ينفثن (أي ينفخن مع ريق الفم) في عقد الخيوط، حين يسحرن بها، والنفث: النفخ بريق، قال أبو عبيدة: إنهن بنات لبيد بن الأعصم اليهودي اللاتي سحرن النبي ﷺ.

٣ـ **(ومن شر حاسد إذا حسد)** أي وأعوذ بالله من شر كل حاسد إذا حسد: وهو الذي يتمنى زوال النعمة التي أنعم الله بها على المحسود.

٣ـ سورة الناس:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

١ـ **(قل أعوذ برب الناس، ملك الناس، إله الناس)**: أي قل أيها الرسول: ألجأ وأستعين بالله مرب الناس، ومتعهدهم بعنايته ورعايته وخالقهم ومدبر أمرهم ومصلح أحوالهم، وله الملك التام والسلطان القاهر، وهو الإله المعبود الذي يعبده الناس.

٢ـ **(من شر الوسواس الخناس)**: أي ألجأ إلى الله وأحتمي من شر الشيطان ذي الوسوسة، الكثير الخنوس أي الاختفاء والتأخر، بذكر الله، فإذا ذكر الإنسان الله تعالى خنس الشيطان وانقبض، وإذا لم يذكر الله انبسط على القلب.

٣ـ (**الذي يوسوس في صدور الناس**): أي الذي يلقي خواطر السوء والشر في القلوب، وإنما ذكر الصدور لأنها تحتوي على القلوب، والخواطر محلها القلب.

٤ـ (**من الجنة والناس**): أي أن ذلك الموسوس إما شيطان الجن، فيوسوس في صدور الناس، كما تقدم، وإما شيطان الإنس ووسوسته في صدور الناس: أنه يري نفسه كالناصح المشفق، فيوقع في الصدر كلامه الذي أخرجه مخرج النصيحة، فيجعله فريسة وسوسة الشيطان الجني.

أخيراً فإن على الوالدين أن يقدما الشرح المناسب لعقل الطفل وسنه ومستواه، ليساعد هذا الشرح على الحفظ، والطفل في هذه المرحلة يحب القصص كثيراً، فبجب على الوالدين تقديم القصة القرآنية المناسبة للطفل، ليساعده ذلك على فهم السور وحفظها مثل قصة سور (الفيل، قريش، المسد).

ثالثاً ـ ربطهم بمحبة الرسول ﷺ:

وذلك بتعريف الأطفال بمحمد ﷺ، وكيف اختاره الله سبحانه وتعالى واصطفاه ليكون رسول هذه الأمة المحمدية ؟

وتتكون هذه المحبة وتتعمق في قلوب الأطفال من خلال ما يقدمه الوالدان من حديث وقصص عن رسول الله ﷺ، وعلى الوالدين أن يستغلا المناسبات وأوقات الفراغ للحديث عن رسول الله ﷺ:

(مولده، طفولته، شبابه، عمله، تعبده، بعثته، صفاته، أخلاقه، دعوته، صبره، هجرته، غزواته، وفاته ﷺ) كل ذلك بأسلوب قصصي مشوق مناسب لعقل الطفل ومستواه، وفي أوقات متفرقة ينتظرها بفارغ

الصبر، ومن الأفضل تشجيعه ليكرر القصة بأسلوبه الخاص مع إظهار ابتسامة الرضى من والديه، وتشجيعه بالتصفيق والمدح وغير ذلك.

نسب النبي محمد ﷺ:

أبوه: عبد الله بن عبد المطلب.

أمه: آمنة بنت وهب.

جده: عبد المطلب.

عمه: أبو طالب.

قبيلته: قريش.

مولده: في مكة.

أول زوجاته: خديجة رضي الله عنها.

أولاده الذكور: القاسم وعبد الله وإبراهيم.

بناته: فاطمة ورقية وزينب وأم كلثوم.

من أصحابه: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم أجمعين

وفاته: في المدينة

صلى الله عليه وسلم

والوالدان الحريصان على تربية عقيدة أطفالهما، يجلسان مع أطفالهما كل يوم ولو لدقائق معدودات، ليحدثوهما عن سيرة النبي ﷺ. وما أجمل أن يكون ذلك مساءً عند الاستعداد للنوم ليتمتعوا بهذه السيرة، وليناموا على أجمل القصص والذكريات، لتظل في خواطرهم لا ينسونها أبداً، كما تفعل الجدة مع أحفادها.

والسيرة النبوية مليئة بالحوادث المشوقة، والقصص الجذابة، مع ما تحمله من معاني تربوية هامة وخاصة في أمور العقيدة.

والوالدان الحريصان على تربية أطفالهما، يستغلان المناسبات التاريخية ليعيدا على أسماع أطفالهما ما حدث فيها من ذكريات السيرة العطرة، لترتبط الأحداث بتاريخ حدوثها، ولتظل مع الأيام عبرة وذكرى عطرة يتنشقها الأطفال كل عام، حتى تنبت في سويداء قلوبهم، وترتبط بها مشاعرهم وأفكارهم وأخلاقهم وعقيدتهم.

ومن عوامل تمكين محبة المصطفى ﷺ وتعميقها في القلوب ذكر أحاديث الرسول ﷺ للأطفال، تلك الأحاديث المناسبة لمستواهم العقلي والنفسي، ليستفيدوا منها وليتعرفوا على غاياتها وليحفظوها في ذاكرتهم، ويستعيدوها في مناسبات عدة مع التشجيع والمكافأة والمنافسة، وكذلك يعود الوالدان أطفالهما على الصلاة على النبي ﷺ كلما ذكر اسمه تقديراً له ﷺ ونيلاً لثواب الله عز وجل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال:

«من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً»(١).

[أي من طلب ودعا لي بزيادة القرب من الله تعالى، تجلى الله عليه سبحانه فرحمه عشر رحمات وأمده بنعمه أضعافاً وأحسن إليه مراراً](٢).

ولا ينسى الوالدان دائماً أن يكررا أمام أطفالهما لفظ الشهادتين:

«أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله»

---

(١) أخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي، الصفحة ٣٠٦، رقم الحديث ٤٠٨.

(٢) المنذري في الترغيب والترهيب، الجزء الثاني، الصفحة ٤٩٤.

ويطلبان منهم أن يكرروها كثيراً، وفي المجالات المتعددة.

عن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، حرم الله عليه النار»[1].

ولابد للوالدين من أن يمررا على سمع أطفالهما التعريف بالشيطان وأعماله السيئة، ويكررا على أسماع أطفالهما الأنشودة التالية، حتى يحفظوها وينشدوها بنغمتهم الشجية، وصوتهم العذب، وطفولتهم البريئة، ويطلبان منهم تكرارها مراراً مع تشجيعهما ومدحهما لهم والثناء عليهم.

إن سـألتـم عـن إلهـي ... فهـو رحمـن رحيـم
أو سـألتـم عـن نبيـي ... فهـو إنسـان عظيـم
أو سـألتـم عـن كتـابـي ... فهـو قـرآن كـريـم
أو سـألتـم عـن عـدوي ... فهـو شيطـان رجيـم[2]

رابعاً ـ تعويدهم طلب الحلال والابتعاد عن الحرام:

حتى يفتح الولد عينيه منذ نشأته الأولى على أوامر الله، فيروض على امتثالها وعلى نواهي الله، فيدرب على الابتعاد عنها، وحين يتفهم الولد منذ تعقله أحكام الحلال والحرام، ويرتبط منذ صغره بأحكام الشريعة فإنه لا يعرف سوى الإسلام تشريعاً ومنهاجاً، فيراقب الوالدان أطفالهما في

---

(١) أخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، الصفحة ٥٨، رقم الحديث ٢٩.
(٢) يوسف العظم، أناشيد وأغاريد للجيل المسلم، الصفحة ١٤.

تصرفاتهم، ويربيان فيهم معنى الحلال والحرام، ويبينان لهم الحلال ليسعوا إليه ويحبوه، والحرام ليبتعدوا عنه ويكرهوه، ولننظر إلى حرص الرسول ﷺ الشديد في هذا الموضوع، وأسلوبه في توضيح السبب في المنع والتحريم ليدع الطفل الحرام مع الاقتناع والإدراك والفهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ الحسن بن علي يرضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله: «**كخ، كخ، ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة**»(١).

المرحلة الثانية:

من السابعة إلى العاشرة (وهو سن الإدراك والتمييز):

يتابع الوالدان في هذه السن منهاج المرحلة السابقة، ولكن بشكل أوسع وأدق، وذلك لكبر سن الطفل وقدرته على الاستيعاب والحفظ بشكل أوسع.

ولأنه في هذه المرحلة نفسها يؤمر فيها الأولاد بالصلاة، كما بين رسول الله ﷺ، والأمر بالصلاة هو أمر بكل ما تقتضيه الشريعة، وإنما الصلاة عنوان لها، ومثال للتوضيح، وإذا كانت المرحلة السابقة فيها الترغيب والبساطة في التربية، فهذه المرحلة تحتاج إلى حزم أكثر وبشكل أشد، لتثبت تلك التربية في أعماقه، فهي مرحلة التثبيت والاستقرار لكل ما يطرح عليه، وسبب الحاجة إلى الحزم في هذه السن أن الطفل فيها يكون على أبواب البلوغ والتكليف، وعليه فلا ينبغي التساهل معه في

(١) أخرجه البخاري، الجزء الثاني، كتاب الزكاة، باب ما يذكر في الصدقة للنبي صلى الله عليه وسلم، الصفحة ٥٤٢، رقم الحديث ١٤٢٠.

أمور سيجري بها القلم له أو عليه بعد حين قصير من الزمن.

ومنهاج هذه المرحلة يشبه المنهاج السابق ولكن مع التوسع والتعميق.

أولاً ـ تعميق محبة الله عز وجل والإيمان به ومعرفة صفاته سبحانه وتعالى في نفوس الناشئة:

وذلك بإرشادهم إلى الإيمان بالله، وقدرته المعجزة، وإبداعه الرائع عن طريق التأمل والتفكير في خلق السموات والأرض، ويحسن التدرج معهم من المحسوس إلى المعقول، ومن الجزئي إلى الكلي، ومن البسيط إلى المركب...... حتى يصلوا في نهاية الشوط إلى قضية الإيمان، عن اقتناع وحجة وبرهان.

[وحين يأخذ الولد منذ الصغر القضايا الإيمانية الثابتة..... وتنصب على ذهنه وفكره الأدلة التوحيدية الراسخة، فلا تستطيع معاول الهدم أن تنال من قلبه العامر، ولا يمكن لدعاة السوء أن يؤثروا على عقله الناضج ولا يقدر إنسان أن يزعزع نفسيته المؤمنة لما وصل إليه من إيمان ثابت ويقين راسخ وقناعة كاملة][1].

وهذه الطريقة من التدرج من الأدنى إلى الأعلى، ومن المحسوس إلى المعقول في الوصول إلى الحقيقة، هي طريقة القرآن الكريم وإليكم طرقاً من آياته الباهرة: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس: ٢٤-٣٢].

وقال أيضاً: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن

---

(١) عبد الله علوان، تربية الأولاد في الإسلام، الجزء الأول، الصفحة ١٦٣.

فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٦-٨].

وقال أيضاً: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

والآيات في هذا الموضوع كثيرة جداً.

فواجب الوالدين الاستفادة من كل ظرف، ومن كل تصرف، ومن كل أمر، في توجيه الأولاد نحو محبة الله عز وجل.

ومن ذلك تلقينهم أوراد الذكر الواردة عن رسول الله ﷺ صباح مساء ومع كل صلاة وفي كل مناسبة حتى تمتلىء قلوبهم ونفوسهم بمحبة الله عز وجل، وتعظيم أمره وامتثاله، القائل سبحانه وتعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾

[الأحزاب: ٤١-٤٢].

من ذلك إذا نظر في المرآة أن يقول:

«اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي»(١).

وإذا لبس الجديد حمد الله على نعمه وقال:

«اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود، الجزء الثاني، الصفحة ٦٦، رقم الحديث ٣٨٢٣.

(٢) أخرجه الترمذي، الجزء السادس، كتاب اللباس، باب ما يقول إذا لبس ثوباً=

وإن أكل أو شرب قال:

«**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين**»(١).

وعلى الوالدين أن يربيا في أولادهما الشعور بمراقبة الله سبحانه لهم في كل تصرفاتهم وأحوالهم وذلك بأن يُغرس في أعماقهم أن الله سبحانه يسمعهم ويبصرهم، ويعلم سرهم ونجواهم، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. وتربية الولد على الشعور بأن لله سميع بصير لا يغيب عنه شيء يجب أن يكون غاية جميع الآباء والأمهات، وهمهم وشاغلهم وهدفهم الأكبر، وذلك لا يكون إلا في ترويض الولد عليها في أحاسيسه وأفكاره وجميع تصرفاته، وليجعل الوالدان من آيات الله شعاراً لأولادهما يرددونه دائماً وفي مناسبات متعددة منها قوله عز وجل:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

وقول الله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

ومن أفضل الأساليب في ترسيخ هذا التوجيه، في أعماق الناشئة، وتأثيره على تصرفاتهم، استعمال الأسلوب القصصي، وذلك بأن نقص عليهم قصصاً من تاريخنا المشرق، في هذا الموضوع ومثال ذلك: [كان ابن عمر في سفر فرأى غلاماً يرعى غنماً، فقال له: تبيع من هذه الغنم واحدة؟ فقال: إنها ليست لي، فقال: قل لصاحبها إن الذئب أخذ منها واحدة. فقال العبد: فأين الله، فكان ابن عمر يقول بعد ذلك إلى مدة،

= جديداً، الصفحة ٧٨، رقم الحديث ١٧٦٧.

(١) أخرجه الترمذي، الجزء التاسع، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا فرغ من الطعام، الصفحة ١٤٥، رقم الحديث ٣٤٥٣.

مقالة ذلك العبد: فأين الله][1].

[وكان لبعض المشايخ تلامذة، فكان يخص واحداً منهم بإقباله عليه أكثر مما يقبل على غيره، فقالوا له في ذلك، فقال أبيِّنُ لكم، فدفع إلى كل واحد من تلامذته طائراً، وقال له: اذبحه بحيث لا يراك أحد، ودفع إلي هذا أيضاً، فمضوا ورجع كل منهم وقد ذبح طائره، وجاء هذا بالطائر حياً، فقال: هلا ذبحته؟ فقال: أمرتني أن أذبحه بحيث لا يراني أحد، ولم أجد موضعاً لا يراني فيه أحد. فقال: لهذا أخصه بإقبالي عليه][2].

فعلى الوالدين والمربين ألا يتركوا فرصة سانحة تمر إلا وزودوا أولادهم بالبراهين التي تدل على الله، وبالإشارات التي تثبت الإيمان، وباللفتات التي تقوي فيهم جانب العقيدة والتوجيهات التي تربطهم بمحبة الله والتوصيات التي ترغبهم بمراقبة الله.

وهذا الأسلوب من انتهاز الفرص في النصائح الإيمانية، هو من أساليب القرآن الكريم، ومن أساليب المربي الأول صلوات الله وسلامه عليه، في تربية الناشئة وتوجيههم إلى كل ما يرفع من شأنهم، ويرسخ الإيمان والعقيدة واليقين في أعماق نفوسهم.

وهاكم نموذجين لذلك أحدهما من القرآن والآخر من توجيهات النبي العدنان ﷺ.

---

(١) القشيري، الرسالة القشيرية، الطبعة الثانية ١٣٧٩، ١٩٥٩، مكتبة مصطفى البالي الحلبي وأولاده بمصر، الصفحة ٩٦. وقد عرض د.محمد حسن الحمصي في سلسلته قصص من التاريخ هذه القصة في كتابه فأين الله بشكل قصصي مشوق يمكن رجوع الوالدين....إليها وقراءتها على أولادهما ووضعها بين أيديهم لتكرار قراءتها.
(٢) المرجع نفسه، الصفحة ٩٦.

نموذج من توجيهات القرآن في هذا الموضوع:

قال الله تعالى في سورة لقمان: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣].

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ١٦].

في هاتين الآيتين، توجيه من رب العالمين لكل أب واعٍ حريص على عقيدة ابنه، أن يراقب ابنه ويعظه في كل مناسبة، ويوصيه بما فيه معرفة الله وحبه وعبادته وحده لا شريك له، والعمل على رضاه سبحانه، ولقمان الحكيم يمثل الوالدين والمربين في الحرص على أولادهم، والحرص على تربيتهم، وخاصة بما يتعلق في أمور العقيدة، ومتابعة وصيتهم دائماً بما يرضي الله عز وجل.

وفي هاتين الآيتين توجيه للآباء أن يؤكدوا على علاقة أبنائهم بالله عز وجل وحده لا شريك له، ويراقبوه في كل ما يصدر منهم، صغيراً كان أو كبيراً، فإنه لا يخفى على الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣].

أي اذكر أيها المربي لقمان حين أوصى ابنه ووعظه، حرصاً عليه لأن الأب يحب ابنه وهو أشفق الناس عليه، وأعظم الحرص، الحرص على عقيدته، فقال له: يا ولدي، اعبد الله ولا تشرك به شيئاً، فإن الشرك أعظم الظلم، أما إنه ظلم فكونه وضع الشيء في غير موضعه، وأما كونه أعظم الظلم، فلتعلقه بأصل الاعتقاد وتسويته بين الخالق والمخلوق، وبين المنعم وحده وبين غير المنعم أصلاً، وهي الأصنام والأوثان.

ووصية المربي لابنه في هذا الموضوع في هذا الوقت، أن يعبد الله

خالصاً مطهراً قلبه من كل عوالقه التي تحجبه عن الله عز وجل وعبادته، والتي هي بمثابة الأصنام والأوثان التي كانت تعبد

وقوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ [لقمان: ١٦].

أي يا ولدي، إن الحسنة والسيئة أو المظلمة أو الخطيئة من قول أو فعل، لو كانت بمقدار حبة الخردل صغراً ووزناً، وحدثت في أخفى مكان وأدقه كجوف صخرة، أو في أعلى مكان في السموات أو في أسفل موضع في باطن الأرض علم الله بها ورآها وأحضرها يوم القيامة حين الحساب ووزن الأعمال، والمجازاة عليها خيراً أو شراً، كما قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧ـ٨].

فيجب على الوالدين قراءة هذه الآيات أمام أولادهما، ووضعها في لوحات في غرفهم إن أمكن ذلك لتكون عوضاً عما يضعه بعض الشباب من صور الممثلين والمغنيين والرياضيين، وعليهما مدارسة هذه الآيات معهم وتفسيرها وشرحها لهم، كأن يقول الأب لابنه مثلاً: ـ وهو يقرأ له وصية لقمان ـ يا بني أي عمل تقوم به من قول أو عمل، مهما دق وخفي، يأت به الله يوم القيامة، ولو كان وزنه وزن مثقال ذرة من خردل، وهو أخف وزن عرف سابقاً ـ وحبذا لو وضعت حبة الخردل في كف الولد ليرى مقدار صغر حجمها وخفة وزنها، حيث لاتكاد أن ترى في العين المجردة لصغر حجمها، ولا تحرك ميزاناً مهما دق لخفة وزنها الشديد ـ.

يا بني إن الآية تدل على: دقة في العمل أو القول، ودقة في خفاء العمل أو القول في جوف صخرة مجهولة، أو في علو مرتفع في السموات

أو في أسفل موضع في باطن الأرض في مكان لا يعرفه أحد لدقته وبعده وخفائه.

ومع ذلك فإن الله مطلع عليه، عارف بكل أموره يراه في دقته حجماً ودقته خفاءً أو مكاناً، فالله لا تخفى عليه خافية، يعلم ممن صدر ؟ ومتى صدر ؟ وكيف صدر ؟ وأين صدر ؟ بل يعلم الحالة النفسية والفكرية والقلبية والأحاسيس الداخلية، والدوافع العميقة للذي صدر منه ذلك القول أو العمل، حسناً كان أو سيئاً، مظلمة كانت أو إثماً أو خطيئة أو ذنباً.

ليس فقط يعلمها سبحانه، بل وسوف يأت بها الله يوم القيامة ويعرضها على صاحبها الذي ظن أنها مخفية بل نسيها أو تناساها ولكن الله لا ينسى شيئاً وسيعرضه على صاحبه ويحاسبه عليه خيراً أو شراً جنة أو ناراً.

سبحانه وتعالى ما أكمل علمه، وما أعظم قدرته، وما أجل إرادته، قد أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً.

وقوله سبحانه: ﴿يأت الله بها﴾ أبلغ من قول القائل: يعلمها الله، فهو علم للأشياء ومع قدرة عليها سبحانه وتعالى.

يا بني اسمع ما روي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال:

«لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء، ليس لها باب ولا كوة، لخرج عمله للناس كائناً ما كان»[1].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، الجزء الرابع، الصفحة ٥٧، رقم الحديث ١١٢٣٠.

ورحم الله من قال:

يعلم ويرى ويسمع دبيب النملة السوداء، على الصخرة الملساء في الليلة الظلماء.

ولو حرص الآباء كثيراً على تربية أبنائهم لكتبوا هذه الآيات على لوحات توضع في غرف أولادهم كما قلت: يقرؤونها صباح مساء ويسترجعون معانيها حتى تبقى في مخيلتهم، وفي أعماق قلوبهم، وفي ذكريات أفكارهم، لتظهر في أعمالهم وتصرفاتهم، فهي شعارات لهم يرونها دائماً وأبداً.

وأخيراً يجب على الوالدين والمربين أن يحرصوا على تربية أولادهم على معاني هذه الآيات، وماتحمله من مبادىء إيمانية عظيمة، تدل على الإيمان بالله وحده وعدم الإشراك به، وعلى مراقبة الله في كل التصرفات من أقوال وأفعال، ما قل منها أو كثر، وما عظم أو دق، فإن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وسوف يحاسب على كل صغيرة وكبيرة، ثم ينال الإنسان ثواب عمله الخير بالجنة، مع رضى الله سبحانه عنه، أو جزاء عمله السيء بالنار، مع سخط الله عليه.

عندما يتربى الأولاد هذه التربية فهل يرتكبون إثماً أو ذنباً أو معصية؟ وهم يراقبون الله ويعلمون مدى علمه وإرادته وقدرته سبحانه، فما أعظم تربية القرآن! وما أحرى المربين أن يتمسكوا بها!

نموذج من توجيهات رسول الله ﷺ في هذا الموضوع[1]:

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال:

«كنت خلف النبي ﷺ يوماً، فقال لي:

يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهَكَ، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[2].

وفي رواية غير الترمذي: «**احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً**»[3].

[هذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة، وقواعد كلية من أهم أمور الدين، حتى قال ابن الجوزي: تدبرت هذا الحديث، فأدهشني وكدت

---

(١) انظر ابن رجب، جامع العلوم والحكم، تحقيق د.وهبة الزحيلي، الجزء الأول، دار الخير، دمشق بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م الصفحة ٣٥٩ وما بعدها.

(٢) أخرجه الترمذي، الجزء السابع، كتاب صفة القيامة، باب ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، الصفحة ٢٠٣، رقم الحديث ٢٥١٨.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، الجزء الثالث، كتاب معرفة الصحابة، الصفحة ٥٤١.

أطيش فوا أسفا من الجهل بهذا الحديث، وقلة التفهم لمعناه ؟!][1].

[وعبد الله بن عباس من أولاد الصحابة ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وهاجر بعد الفتح، ولما مات رسول الله ﷺ كان عمره عشر سنوات وفي رواية أخرى خمس عشرة سنة][2].

في هذا الحديث نرى حرص رسول الله ﷺ على الاستفادة من الفرص لتوجيه الناشئة نحو الله عز وجل ومحبته والصلة به ومراقبته وخاصة للناشئة في هذه الفترة المذكورة.

قوله ﷺ:

(احفظ الله) يعني: احفظ حدوده، وحقوقه، وأوامره ونواهيه،

وحفظ ذلك: هو الوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده، فلا يتجاوز ما أمر به وأذن فيه إلى ما نهي عنه.

(يحفظك) يعني: أن من حفظ حدود الله، وراعى حقوقه، حفظه الله فإن الجزاء من جنس العمل وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان:

أحدهما: حفظه له من مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، ومن حفظ الله في صباه وقوته، حفظه الله في حال كبره، وضعف قوته، ومتعه بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله.

النوع الثاني: من الحفظ حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته، فيتوفاه على الإيمان.

---

(١) انظر ابن رجب، جامع العلوم والحكم، الجزء الأول، الصفحة ٣٦١، مرجع سابق.
(٢) انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، الجزء الثالث، الصفحة ٣٣٥.

(احفظ الله تجده تجاهك) وفي رواية أمامك، معناه: أن من حفظ حدود الله وراعى حقوقه، وجد الله معه في كل أحواله حيث توجَّه، يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويسدده.

(وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله) توجيه من الرسول للناشئة أن يسأل الله عز وجل، ولا يسأل غيره، في كل حاجاته، وأن يستعين العبد بالله دون غيره في كل أموره، ومن سأل الله واستعان به حصل له المراد لأن الله على كل شيء قدير.

(واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى لك) وكذلك لو اجتمعوا على ضرك، والمراد أن ما يصيب العبد في دنياه مما يضره أو ينفعه فكله مقدر عليه، ولا يصيب العبد إلا ما كتب له من ذلك.

قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

(رفعت الأقلام وجفت الصحف) هو كنايه عن تقدم كتابة المقادير كلها، والفراغ منها من أمد بعيد.

(تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة) يعني أن العبد إذا اتقى الله، وحفظ حدوده، وراعى حقوقه في حال رضائه، فقد تعرف بذلك إلى الله، وصار بينه وبين ربه معرفة خاصة، فعرفه ربه في الشدة، وراعى له تعرفه إليه في الرخاء، فنجاه من الشدائد بهذه المعرفة.

(واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك) فكل مقدر لك ولا يحدث إلا ما قدره الله سبحانه.

(واعلم أن النصر مع الصبر) لا يحدث النصر إلا لمن صبر وبذل وتحمل.

(وأن الفرج مع الكرب) بعد كل كرب فرج وإن طال.

(وإن مع العسر يسراً) فكل عسر سيعقبه يسراً.

والخلاصة أن رسول الله ﷺ يغتنم الفرصة لينصح هذا الشاب المؤمن، وإذا به يقدم له نصائح ثمينة تربطه بالله وحبه، والثقة به والتوكل عليه، والاستعانة به، ويعرفه على عظمة الله وقدرته، وأن كل شيء بيده وحادث بأمره، فمن حفظ الله في حدوده وشرعه ومحبته وعبادته حفظه الله في دينه ودنياه وآخرته، وأبعد عنه كل شيء يسيئه، ومن أراد العون والمساعدة فما عليه إلا أن يطلبها من مالك الملك القادر على كل شيء، وبيده كل شيء، من الله سبحانه وتعالى:

فإن سألت فاسأل الله ولا تسأل غيره، وإن استعنت فاستعن بالله ولا تستعِن بغيره.

ثم وجهه إلى اليقين بالله، وأنه لن يقدر أحد على إيذائه أو نفعه إلا ما قدَّر الله له وبيَّن له أنه إن كان مع الله في وقت الرخاء، فلن ينساه الله وقت الشدة، وسوف يكون له مؤيداً وناصراً، ثم يثبت فؤاده بالرضا بأقدار الله فما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فما قدر لك كان بين يديك وما لغيرك لا يصل إليك.

ثم اعلم أن الأمور لا تدوم، فبعد كل ضيق مخرج، فالنصر بعد الصبر، والفرج بعد الكرب، واليسر بعد العسر.

فهل يحرص الوالدان على اغتنام الفرص الكثيرة لتوجيه وتربية عقيدة أبنائهما، فلو ربى الوالدان أولادهما على هذه المعاني، لتعمق الإيمان في الأولاد، وقويت عقيدتهم بالله وثقتهم به، وقويت معنوياتهم واستقبلوا الحياة بطمأنينة ورضى، لأنهم يعلمون أن السعادة الحقيقية بيد الله يعطيها لمن كان لله حافظاً ومحباً ومطيعاً، عند ذلك يؤيده الله وينصره ويغنيه

ويوفقه ويسعده في الدنيا والآخرة، عندها ينشأ الناشىء ويتربى على عقيدة ثابتة قوية، وإيمان يقيني عميق، فلن يتزحزح إيمانه أبداً، ولن يتغير أو يتبدل، وبذلك يصل الناشىء إلى كامل السعادة في الدنيا والآخرة.

ثانياً ـ تعميق محبة الرسول ﷺ:

عن علي كرم الله وجهه أن النبي ﷺ قال:

«أدبو أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن الكريم، فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه»(١).

في هذا الحديث توجيه من رسول الله ﷺ للآباء للعناية بتربية أولادهم، وخاصة في تربيتهم على خصال ثلاث: أولها حب النبي ﷺ.

وفي هذه المرحلة يتابع الوالدان والمربون تربية أبنائهم على محبة النبي ﷺ، فحب رسول الله من حب الله عز وجل، ولا يكون المرء مؤمنا إلا بحب الله ورسوله.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»(٢).

---

(١) الهندي كنز العمال، الجزء السادس عشر، الصفحة ٤٥٦، رقم الحديث ٤٥٤٠٩.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الأول، كتاب الإيمان، باب حب الرسول من الإيمان، الصفحة ١٤، رقم الحديث ١٥.

والعجلوني، كشف الخفاء، الجزء الأو، الصفحة ٧٤، رقم الحديث =

ومن محبته ﷺ إتّباع سنته التي توصل إلى محبة الله ومعرفته ورحمته.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وعليهم تعليمهم الصلوات الإبراهيمية مع حفظها وحفظ معانيها، لتكون لهم نشيداً يتغنون بها في فراغاتهم، ويتمتعون بكلماتها ويتنورون بنورها، وذلك عملاً بما حث الله عباده بعد أن أوضح لهم قيمة هذه الصلاة ومكانتها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وعليهم أن يعلموهم أن من ذكر عنده النبي ﷺ، ولم يصل عليه لحقت به الخيبة والخسارة، وأن محبة النبي ﷺ ترفع من مكانة العبد في الدنيا والآخرة.

«عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ متى الساعة؟ فقال رسول الله ﷺ: **وماذا أعددت لها؟** فقال: لاشيء إلا أنني أحب الله ورسوله، فقال ﷺ: **أنت مع من أحببت**»(١).

قال أنس: (فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم).

ومن المعلوم أن أنساً خدم النبي ﷺ وهو طفل صغير، عمره عشر

= ١٧٤، وقال رواه أبو النصر عبد الكريم بن محمد الشيرازي في فوائده، وابن النجار في تاريخه عن علي رضي الله عنه رفعه، قال المناوي ضعيف.

(١) أخرجه البخاري، الجزء الثالث، فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، الصفحة ١٣٤٩، رقم الحديث ٣٤٨٥.

سنين، ولمدة عشر سنين، أي أنه كان في سن الناشئة عندما سمع هذا الحديث من النبي وتمنى أمنيته، فما أحرى ناشئتنا أن يتربوا هذه التربية، وأن تكون أمانيهم مثل هذه الأمنية، وما ذلك على الله بعزيز.

ولقد كان حرص الناشئة على حب رسول ﷺ كبيراً، وكانوا يسعون لخدمته لنيل دعائه وحبه.

«عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل الخلاء قال: فوضعت له وضوءاً، فقال: من وضع هذا ؟ فأخبر، فقال: **اللهم فقهه في الدين**»[1].

في هذا الحديث نجد حرص ابن عباس الناشىء الصغير على صحبة رسول الله، ومحبته وخدمته، وتقديم حاجاته دون توجيه من أحد، أو إرشاد، وذلك رغبة في نيل محبة رسول الله ودعائه، ويتفرع عن هذا الموضوع حرص المربين على سرد سيرة المصطفى ﷺ على أبنائهم، لأنها تعمق محبة الرسول ﷺ من جهة، ومن جهة أخرى تكون لهم نبراساً للتأسي والتطبيق.

فحري بالوالدين والمربين الجلوس يومياً مع أبنائهم لسرد سيرة وحياة وأخلاق وصفات وغزوات الرسول ﷺ، واستنتاج العبر للاستفادة منها وتطبيقها، والتأسي بالمصطفى ﷺ.

ويتفرع عن هذا الموضوع سعي الوالدين لتحفيظ أولادهما الحديث الشريف، فينتقيان لأولادهما الأحاديث المناسبة في كلماتها ومعانيها ويقرأانها أمامهم، ويشرحان معانيها، ويطلبان من أولادهما قراءتها

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الأول، كتاب الوضوء، باب دفع الماء عند لخلاء، الصفحة ٦٦، رقم الحديث ١٤٣.

وشرحها وحفظها وتطبيق محتواها، وذلك في كل يوم، ولو حديثاً واحداً.

ولقد كان ناشئة الإيمان في زمن رسول الله ﷺ، حريصين على حفظ أحاديثه، فقد روي عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: [لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلاماً، فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا ها هنا رجالاً هم أسن مني][1].

وروى ابن عباس رضي الله عنهما قال: بت عند خالتي ميمونة، فأتاه المؤذن فخرج إلى الصلاة وهو يقول:

«اللهم اجعل في قلبي نوراً، واجعل في لساني نوراً، واجعل في سمعي نوراً، واجعل في بصري نوراً، واجعل خلفي نوراً، ومن أمامي نوراً، واجعل من فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً، اللهم أعظم لي نوراً»[2].

وروى أبو جحيفة رضي الله عنه (وكان من صغار الصحابة، كان مراهقاً لما توفي النبي ﷺ) قال:

«أتيت النبي ﷺ وهو بالأبطح في قبة حمراء من أدم، قال: فخرج بلال بوضوئه فبين نائل وناضح[3]، قال فخرج رسول الله ﷺ عليه حلة حمراء، كأني أنظر إلى بياض ساقيه، قال: فتوضأ وأذن بلال. قال: فجعلت أتتبع فاه ههنا وههنا، يقول: يميناً وشمالاً، يقول: حي على

---

(١) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، الجزء الثاني، الصفحة ٣٥٤.

(٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، الجزء الأول، كتاب الصلاة، باب الدعاء عند الخروج إلى الصلاة، الصفحة ٢٢٩، رقم الحديث ٤٤٨.

(٣) فبين نائل وناضح: معناه فمنهم من ينال منه شيئاً، ومنهم من ينضح عليه غيره شيئاً مما ناله، ويرش عليه بللاً مما حصل له.

الصلاة، حي على الفلاح، ثم ركزت له عنزة[1]، فقام فصلى الظهر ركعتين يمر من بين يديه الحمار والكلب لا يُمنع، ثم صلى العصر ركعتين، ثم لم يزل يصلي ركعين حتى رجع إلى المدينة»[2].

ولقد كان حرص السلف كبيراً في تعليم أبنائهم الحديث الشريف فقد روي عن علي بن عاصم أنه قال: [دفع إلي أبي مائة ألف درهم وقال: اذهب فلا أرى لك وجهاً إلا بمائة ألف حديث][3].

ولم تكن العناية بالأبناء الذكور فقط بل والإناث أيضاً.

قال الزبيدي:

[كانت لمالك بن أنس ابنة تحفظ علمه، يعني الموطأ. وكانت تقف خلف الباب، فإذا أخطأ التلميذ نقرت الباب فيفطن مالك فيرد عليه][4].

ثالثاً ـ ويتفرع عما سبق:

سعي الوالدين والمربين لغرس محبة آل بيت النبي ﷺ وصحابته الكرام، وذلك عن طريق تعليمهم مغازي الصحابة الكرام وسيرتهم وشخصيتهم ومعاركهم الحاسمة في التاريخ المشرق، ودعوتهم وفتحهم

---

(١) عنزة: عصا في أسفلها حديدة. (النووي، شرح صحيح مسلم، المجلد الثاني، الجزء الرابع، الصفحة ٢١٩).

(٢) أخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب الصلاة، باب سترة المصلي، الصفحة ٣٦٠، رقم الحديث ٥٠٣.

(٣) الخطيب البغدادي في الرحلة في طلب الحديث، تحقيق د. نور الدين عتر، الطبعة الأولى، الصفحة ١٧٣.

(٤) محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، منهج التربية النبوية، مرجع سابق، الصفحة ٩٩، نقلاً عن ابن فرحون المالكي في كتابه الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب تحقيق محمد الأمدي.

البلاد ونشر الإسلام فيها، فهم سبب وصول الإسلام إلى بلادنا، وهم سبب إنقاذنا من الجاهلية والوثنية، وذلك ليتأسى الأولاد بسير الأولين ويرتبطوا بتاريخهم المشرق.

ولقد حرص الصحابة والسلف رضوان الله عليهم على دراسة سيرة النبي ﷺ، وسيرة الصحابة الكرام، وتلقينها لأطفالهم، فقد كانوا يقرنونها مع تعلم القرآن، لأنها الترجمان لمعاني القرآن.

قال زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم: [كنا نعلم مغازي رسول الله ﷺ كما نعلم السور من القرآن](١).

روي عن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما قال:

[كان أبي يعلمنا المغازي والسرايا ويقول: يا بني إنها شرف آبائكم، فلا تضيعوا ذكرها](٢).

وأوصى الإمام الغزالي [بتعليم الطفل القرآن الكريم وأحاديث الأخيار وحكايات الأبرار وأحوالهم، لينغرس في نفسه حب الصالحين](٣).

فما أحرى الوالدين والمربين أن يحرصوا على تعليم أولادهم سيرة الصحابة والسلف الصالح وغزواتهم، ليتعرفوا على تاريخهم المشرق، ويستفيدوا من قدوتهم، ويتأسوا بأعمالهم العظيمة، وأخلاقهم الفاضلة، وسلوكهم الرفيع، فيساعدهم ذلك على تعميق العقيدة في قلوبهم، وتمكنها من أقوالهم وأعمالهم، والثبات عليها مع مرور الزمن.

---

(١) محمد رضا، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، الصفحة ١٥٨

(٢) المرجع نفسه، الصفحة ١٥٨.

(٣) إحياء علوم الدين، الجزء الثالث، الصفحة ٧٣.

رابعاً ـ متابعة التلاوة والحفظ للقرآن الكريم:

فبعد أن تعرف الأولاد على بعض سور القرآن الكريم، وحفظوها في المرحلة الأولى، يجب على الوالدين السعي لتحفيظ أولادهما القرآن الكريم كاملاً في هذه الفترة وما بعدها، فهي أفضل فترة لحفظ القرآن حفظاً ينغرس في قلوبهم وعقولهم ونفوسهم، وكلامهم وأعمالهم وتطبيقاتهم، وبذلك يساعد هذا الحفظ على تمكين العقيدة في أعماق قلوبهم وبشكل يقيني، لما في القرآن من نور وعلوم وأدلة تهدي القلب والعقل إلى الله سبحانه.

ولقد كان إسراع الصحابة شديداً في تلقين أطفالهم القرآن الكريم وتشجيعهم لحفظه.

فهذا ابن عباس يفتخر أنه قرأ المحكم على رسول الله ﷺ وهو طفل صغير.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: [توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم](١).

وأما السلف الصالح رضوان الله عليهم، فقد ساروا المسار نفسه، ومشوا نفس الطريق، جاء في مقدمة كتاب المعلمين: [أن القاضي الورع عيسى ابن مسكين كان يقرى بناته وحفيداته... قال عياض: فإذا كان بعد العصر دعا ابنتيه وبنات أخيه ليعلمهن القرآن والعلم، وكذلك كان يفعل

(١) أخرجه البخاري، الجزء الرابع، كتاب فضائل القرآن، باب تعليم الصبيان القرآن، الصفحة ١٩٢٢، رقم الحديث ٤٧٤٨. والمحكم: هو المفصل، وعند الجمهور من سورة الحجرات حتى آخر القرآن، وقرأت: أي حفظت. د.مصطفى البغا، هامش صحيح البخاري، الجزء الرابع، الصفحة ١٩٢٢.

من قبله فاتح صقلية ـ أسد بن الفرات ـ بابنته أسماء التي نالت من العلم درجة كبيرة][1].

ولو رجعنا إلى سيرة علماء المسلمين والمشهورين منهم، لوجدناهم قد حفظوا القرآن وهم في سن مبكر، مما ساعدهم على تلقي العلوم الأخرى، وارتفع اسمهم وعلت منزلتهم، وذاع صيطهم على مر العصور والأيام. نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

الإمام الشافعي رحمه الله يقول: [حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر][2].

والإمام البخاري، حفظ القرآن وثقف العربية وأجادها، وفقه معنى ألفاظها، وطلب الحديث في التاسعة من عمره[3].

أما ابن سينا لما بلغ عشر سنين من عمره، كان قد أتقن القرآن العظيم[4].

والبحث في قدرة استطاعة الناشئة في هذا السن حفظ القرآن الكريم كاملاً يطول، فما أكثر الحفاظ لكتاب الله في هذا السن، وخاصة في زماننا الذي انتشرت فيه مدارس تحفيظ القرآن وعناية المربين الدعاة بذلك، واهتمام الدول الإسلامية ومنظماتها في إقامة حفلات التكريم سنوياً للمتفوقين في حفظ القرآن الكريم.

---

(١) ابن سيحون، كتاب المعلمين، نقلاً عن محمد بن نور بن عبد الحفيظ سويد منهج التربية النبوية للطفل، الصفحة ١٠٧، مرجع سابق.
(٢) السيوطي، طبقات الحفاظ، الصفحة ١٥٤.
(٣) المنذري في الترغيب والترهيب، تحقيق مصطفى محمد عمارة، الجزء الأول، الصفحة ١٨.
(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، الجزء الثاني، رقم الترجمة ١٩٠، الصفحة ١٥٧.

[وفي العام السابق ١٩٩٥ أجريت في مصر مسابقة تحفيظ القرآن الكريم اشترك فيها ٢٥٠ شاباً من ١٢٠ دولة جاؤوا إلى مصر من مختلف أنحاء العالم، ليتنافسوا في حفظ كتاب الله تعالى إلى جانب مائة ألف متسابق من مصر وكان من بين المتفوقين طفل عمره ست سنوات، كفيف البصر، تفوق على مائة ألف متسابق مصري، وآخر سبع سنوات يحفظ القرآن كاملاً ويفوز بالجائزة الأولى][1].

فحري بالوالدين في هذا الزمان الاهتمام الشديد في تحفيظ أولادهما القرآن الكريم وتشجيعهم للدخول في دورات التحفيظ المختلفة إلى جانب اهتمامهما الذاتي بأبنائهم وبناتهم، حتى يتفوقوا في ذلك، وهذا يساعدهم كثيراً في الصمود أمام هجمات التحلل العقدي، والانحلال الأخلاقي، وفي الثبات على العقيدة والاستقامة عليها.

خامساً ـ التلقين والتوجيه والتربية والمراقبة والمتابعة:

للتمسك بالحلال في جميع أشكاله، والبعد عن الحرام في جميع وجوهه، ومعالجة هفوات الأطفال بأسلوب نبوي جذاب.

«عن رافع الغفاري قال: كنت وأنا غلام أرمي نخلنا، أو قال: نخل الأنصار، فأتي بي النبي ﷺ فقال: **يا غلام أو يا بني لم ترمي النخل؟** قال: قلت آكل، قال: **فلاترمِ النخل وكل ما يسقط في أسفلها**. قال: ثم مسح رأسي وقال: اللهم أشبع بطنه»[2].

---

(١) انظر مجلة منار الإسلام، أبو ظبي، العدد الحادي عشر من السنة العشرون ذو القعدة ١٤١٥هـ، الصفحة ٣٥ وما بعدها.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، الجزء الثاني، كتاب التجارات، باب من مرّ على ماشية قوم أو حائط هل يصيب منه؟، الصفحة ٧٧٠، رقم الحديث ٢٢٩٩.

وكذلك كان الصحابة الكرام يعالجون الأخطاء بأسلوب نبوي حكيم جاء في عبقرية عمر:

[تحدث سنان بن سلمة: أنه كان في صبيان يلتقط البلح في أصول النخل مع بعض الصبية، إذ أقبل عمر فتفرق الغلمان، وثبت هو في مكانه، فلما دنا منه أسرع قائلاً: يا أمير المؤمنين إنما هذا ما ألقت الريح.

قال: أرني أنظر فإنه لا يخفى علي، فنظر في حجره، ثم قال: صدقت. إلا أن الصبي لم يقنع بهذا حتى يحرسه أمير المؤمنين إلى بيته فقال: يا أمير المؤمنين أترى هؤلاء الآن؟ وأشار إلى الصبية الهاربين ثم قال: والله لئن انطلقت لأغاروا علي فانتزعوا ما معي، فمشى معه عمر حتى بلغه بيته][1].

فواجب الوالدين والمربين توضيح الأمور لأولادهم وإظهار الحلال منها للتمسك به، والحرام للبعد عنه، حتى يصبح شعارهم (أما الحرام فالممات دونه).

وتربية محبة الله ومراقبته السابقة توصل الناشىء إلى التمسك بالحلال، لأن الله يحب ذلك ويرضاه، وإلى البعد عن الحرام، لأن الله يبغضه ولا يرضاه لعباده.

وإذا ما أخطأ الولد وارتكب شيئاً من الحرام، نبه إلى ذلك برفق وبالأسلوب النبوي السابق حتى لا يعود لمثله.

والمراقبة للأطفال في هذه الفترة أمر مهم جداً لمعالجة الخطأ قبل تفشيه، ولإكساب العادات الحسنة في ذلك، والوصول بالولد إلى محبة االحلال والتمسك به، والبعد عن الحرام مهما كان مظهره جذاباً مشوقاً.

---

(١) عباس محمود العقاد، عبقرية عمر، الصفحة ٥٢٣ والقصة موجودة في طبقات ابن سعد، الجزء السابع، الصفحة ١٢٤).

سادساً ـ اصطحابه إلى المسجد:

يمكن اصطحاب الأولاد في هذه الفترة إلى المساجد ليعتادوا ارتيادها، وأداء الصلاة فيها لترسيخ العقيدة في أعماق قلوبهم ونفوسهم وعقولهم، ليستفيدوا من العلماء والمربين في تربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة.

وهنا يأتي دور المربين في مساعدة الوالدين على تنشئة الأولاد تنشئة إيمانية صالحة، كما يأتي دور الأصدقاء في المصاحبة إلى المسجد ذهاباً وإياباً، للاستفادة من تربية المسجد من جهة، ومن جهة أخرى الاستفادة من الصحبة في مراجعة ما تلقوه في المسجد من العلوم المختلفة، وماحفظوه من القرآن الكريم والسيرة النبوية والأحاديث الشريفة، وممارسة تلك التربية عملياً مع الأصدقاء المؤمنين.

وعلى الوالدين ألا يغفلا عن التشجيع والترغيب لأولادهما لارتياد المساجد مع أصدقائهم مع مراقبتهم والتأكد من ذهابهم وانتفاعهم من ذلك.

المرحلة الثالثة:

من العاشرة إلى سن البلوغ:

وتختلف هذه الفترة عن سابقتيها بأن الناشىء أصبح أنضج مما سبق عقلياً ونفسياً وجسمياً وأصبح يتقن القراءة والكتابة واقترب من سن البلوغ.

لذلك يجب الاهتمام به أكثر من ذي قبل حتى يستمر في الطريق الصحيح، وحتى لا ينحرف أو ينجرف نحو طريق التفلت والانحلال، والميوعة والشذوذ والبعد عن الدين.

فهذه السن خطرة جداً ويجب زيادة عناية الوالدين والمربين بأولادهم ومراقبتهم لهم، وتربيتهم التربية الصحيحة، وتوجيههم الوجهة المطلوبة.

ومنهج التربية العقدي في هذه الفترة يقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولاً - المتابعة لكل ما مر سابقاً وبشكل يتناسب مع سن هذه الفترة:

١- محبة الله ومراقبته وعبادته وطاعته واتباع أوامره والابتعاد عن نواهيه.

٢- محبة الرسول ﷺ والصلاة عليه، واتباع سنته وحفظ أحاديثه وقراءة سيرته، وسيرة أصحابه والتابعين.

٣- تلاوة القرآن ومتابعة الحفظ والتكرار والاتقان.

٤- ارتياد المساجد مع الأهل والأصحاب لأداء الشعائر الإسلامية، وتلقي العلوم الإسلامية، وحفظ كتاب الله عز وجل.

٥- التمسك بالحلال والبعد عن الحرام في جميع أشكاله وألوانه وصوره.

ثانياً - ترغيب الناشئة بالمطالعة والقراءة وامتلاك مكتبة صغيرة، وتشجيعهم على ذلك، وخاصة الكتب التي تحقق الغاية المنشودة في ترسيخ العقيدة الصحيحة عندهم.

فالمطالعة لهذه الكتب تنمي فيهم حب القراءة وبالتالي يشغلون أوقات فراغهم بالشيء المفيد إلى جانب ما يستفيدونه مما يقرؤون، فتنمو شخصيتهم وتزداد معلوماتهم، ويثبت إيمانهم وتتعمق عقيدتهم.

فيجب على الوالدين تأمين المكتبة والكتب لأولادهما وتشجيعهم على شراء تلك الكتب شيئاً فشيئاً ومن أهم الكتب التي يجب أن تحتوي مكتبتهم ما يلي:

١- مصحف واضح الكلمات والتشكيل لكل ولد في الأسرة.

٢ـ تفسير السور القصيرة بما يتلاءم واستيعاب الأولاد.

٣ـ كتب خاصة بالحديث الشريف تتلاءم مع أعمارهم.

٤ـ كتب خاصة بالسيرة النبوية.

٥ـ كتب خاصة بقصص الأنبياء والرسل، وسيرة الصحابة وقصص الصالحين، تتناسب مع سنهم أيضاً.

٦ـ كتب خاصة بالعقيدة تتناسب مع إمكانياتهم.

ثالثاً ـ في هذه الفترة لابد من تعليم الناشىء الأفكار الأساسية للعقيدة الإسلامية، ومبادئها وأركانها وكل ما يتعلق بها، وبشكل علمي مدروس، حتى يعرف الناشىء ما يجب عليه اعتقاده بشكل صحيح، وأفكار واضحة وبأسلوب مناسب له.

وهذه المهمة ملقاة بالدرجة الأولى على الوالدين، فإن هيأ الله لهم من يساعدهما في هذه التربية من الدعاة والمربين، فذلك فضل من الله سبحانه وتعالى، وإذا كانت المدارس تقوم بهذه المهمة بشكل صحيح، فذلك تمام الفضل وبذلك تتحقق التربية العقدية والإيمانية على أحسن وجه وأرفع مستوى.

وإلا فواجب الوالدين يزداد، وحملهما يثقل ولكنهما لن يستطيعا التخلي عن هذه المهمة، لأن العاقبة تعود عليهما وهما المسؤلان عن تربية أولادهما، ولا عذر لهما أمام الله وأمام الناس وأمام أنفسهما.

والمنهج العقدي الذي يجب أن يتعلمه الناشىء في هذه السن ويغرس في أعماق قلبه وفكره، ليثمر التطبيق العملي للإسلام، هو أهم ما في هذا البحث الذي نتناوله وهو موضوع الباب التالي.

الباب الرابع

أركان العقيدة

الفصل الأول : الإيمان بالله

الفصل الثاني : الإيمان بالملائكة

الفصل الثالث : الإيمان بالكتب السماوية

الفصل الرابع : الإيمان بالرسل

الفصل الخامس : الإيمان باليوم الآخر

الفصل السادس : الإيمان بالقدر خيره وشره

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال عز وجل: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٣].

وقال رسول الله ﷺ: «**الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(١).

من الآيات الكريمة السابقة والحديث الشريف نتبين أن أركان العقيدة الإسلامية ستة وأن هذه الأركان متماسكة لا ينفك بعضها عن بعض وأن الإيمان بواحد منها يستدعي الإيمان بسائرها، وأن الكفر بواحد منها يستلزم نقض العقيدة الإسلامية من أساسها.

---

(١) أخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، الصفحة ٣٦، رقم الحديث ٨.

أركان العقيدة

أركان العقيدة الإسلامية هي أركان الإيمان نفسها وهي ستة :

أولاً ـ الإيمان بالله .

ثانياً ـ الإيمان بالملائكة .

ثالثاً ـ الإيمان بالكتب السماوية .

رابعاً ـ الإيمان بالأنبياء والرسل .

خامساً ـ الإيمان باليوم الآخر .

سادساً ـ الإيمان بالقدر خيره وشره .

* * *

الفصل الأول

الإيمان بالله

الإيمان بالله يعني أن يؤمن المسلم بوجود الله وصفاته وأسمائه، أي معرفة الله تبارك وتعالى حق المعرفة ليكون إيمانه إيماناً صحيحاً قوياً يقينياً.

أولاً ـ الإيمان بوجود الله

الأساس الأول الذي يقوم عليه بناء شخصية الناشىء، إيمانه بأن لهذا الكون خالقاً تفرد بصفات الكمال وتنزه عن صفات النقص وعن مشابهة خلقه في ذاته وصفاته.

وإن أعظم الحقائق وأثبتها وأصحها وأوضحها، هو وجود الله سبحانه تقدست أسماؤه وتعالت صفاته.

[ووجود الله تعالى من البداهات التي يدركها الإنسان بفطرته ويهتدي إليها بطبيعته، وليس من مسائل العلوم المعقدة، ولا من حقائق التفكير العويصة. ولولا أن شدة الظهور قد تلد الخفاء، واقتراب المسافة جداً قد

يعطل الرؤية، ما اختلف عن ذلك مؤمن ولا ملحد !][1].

قال تعالى: ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

وفي هذا الموضوع يجب أن يدرك الناشىء ما يلي:

أولاً ـ يجب لله تعالى الوجود: ومعنى هذا الوجوب أنه لا يقبل العدم لا أزلاً ولا أبداً والدليل على وجوب الوجود له تعالى افتقار العالم إليه فلا يتصور العقل عدم وجوده.

ثانياً ـ [وجود الله سبحان وتعالى ذاتي: (غير مستحق من غيره) أي لا لعلة أثرت في وجوده بخلاف وجودنا فإنه غير ذاتي فهو بفعله تعالى][2].

لأن صفات الله عز وجل تختلف عن صفاتنا، فهو الخالق سبحانه وتعالى ونحن المخلوقون من قِبَله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] لا في ذاته ولا في صفاته:

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [هود: ٤].

ثالثاً ـ الشواهد والدلائل والآيات على وجود الله كثيرة جداً، لا تعد ولا تحصى، نذكر منها ما يلي:

١ـ هذا القرآن الكريم الذي بين أيدينا نقرؤه صباح مساء هو من

---

(١) محمد الغزالي، عقيدة المسلم، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الصفحة ١٦.

(٢) الشيخ بكري رجب، هداية المريد إلى جوهرة التوحيد تحقيق حازم محي الدين ومحمد وهبي سليمان، دار الخير دمشق وبيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤ ـ ١٩٩٤، الصفحة ٢٧.

كلام الله سبحانه وتعالى، وهو أكبر دليل على وجوده، وفيه الأدلة الكثيرة التي تشير إليه سبحانه وتعالى.

٢ـ الرسل والأنبياء الذين اختارهم الله واصطفاهم لتبليغ رسالاته السماوية وما ورد عنهم من الوحي الإلهي والعقائد السماوي والشرائع الربانية، كلها شواهد ودلالات على وجود الله سبحانه وتعالى.

٣ـ جموع المؤمنين بالله على مر العصور والأزمان وفي بقاع العالم قاطبة شاهدة على وجود الله سبحانه وتعالى.

٤ـ الفطرة تدل على وجود الله سبحانه وتعالى(١).

فهناك شعور مغروس في أعماق النفس الإنسانية بوجود الله سبحانه وتعالى وهو شعور فطري فطر الله الناس عليه، وهو من أهم ما يميز الإنسان عن الحيوان.

ولذلك قال الله عز وجل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠].

وقد يغفو هذا الشعور بسبب ما من الأسباب، فلا يستيقظ إلا بمثير يبعث على يقظته من ألم ينزل، أو ضر يحيط، وإلى هذا تشير الآية الكريمة:

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ [يونس: ١٢].

---

(١) انظر السيد سابق، العقائد الإسلامية، مرجع سابق، الصفحة ٤٦.

ومن هذا القبيل [ما روي من أن بعض الزنادقة أنكر الصانع عند جعفر الصادق رضي الله عنه، فقال له جعفر: هل ركبت البحر ؟ قال: نعم.

قال: هل رأيت أهواله ؟ قال: بلى، هاجت يوماً رياح هائلة فكسرت السفن وأغرقت الملاحين، فتعلقت أنا ببعض ألواحها، ثم ذهب عني ذلك اللوح فإذا أنا مدفوع في تلاطم الأمواج، حتى دُفعت إلى الساحل فقال جعفر: قد كان اعتمادك من قبل على السفينة والملاح، ثم على اللوح حتى تنجيك، فلما ذهبت هذه الأشياء عنك هل أسلمت نفسك للهلاك أم كنت ترجو السلامة ؟ قال: كنت أرجو السلامة، ممن كنت ترجوها ؟ فسكت الرجل. فقال جعفر: إن الذي ترجوه هو الصانع، وهو الذي أنجاك من الغرق، فأسلم الرجل على يديه][1].

٥- عجز الإنسان عن إدراك بعض الأشياء بحواسه، لايعني أن تلك الأشياء غير موجودة، وقصور العقل وعجزه عن إدراك حقيقة بعض الأشياء لا ينفي وجودها، فوجود الله حقيقة لاشك في أمرها ولا مجال لإنكارها، فنحن نؤمن بوجود أشياء كثيرة لا ندركها بحواسنا نؤمن بوجودها عن طريق آثارها: (كالكهرباء والأثير والهواء وغير ذلك)، ونحن نؤمن بوجود الله سبحانه وتعالى عن طريق آثاره، وأهم آثاره: هذا الكون وما فيه من نظام وإحكام وجمال وكمال وتناسق وإبداع ما فيه من مخلوقات كثيرة، أهمها الإنسان الذي سخر الله سبحانه وتعالى له هذا الكون وما فيه من حيوانات ونبات وجماد وغير ذلك، كل ذلك يدل على وجود خالق مبدع أبدع هذا الكون وخلقه [فإذا كان العقل يحيل أن تطير الطائرة في الهواء، أو تغوص غواصة في الماء دون أن يكون فيه صانع

---

(١) الشيخ بكري رجب، هداية المريد، مرجع سابق، الصفحة ٢١

للطائرة، ومنشىء للغواصة، فإنه يجزم جزماً قاطعاً باستحالة وجود هذا الكون البديع وهذه الطبيعة الجميلة من غير خالق خلقها، ومدبر دبر أمرها][1].

وهذا الكون كتاب مفتوح مليء بالمشاهد والدلائل التي تربط هذا الوجود المشاهد بالإله الذي أحسن كل شيء خلقه ثم هدى.

وقد لفت القرآن الأنظار إلى دراسة مشاهد الكون ومعرفة دلالتها الناطقة على خالق الحياة، وهذا أقرب طريق إلى الإيمان وأصدقه بوجود الله.

يقول سبحانه: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١].

ويقول: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١].

ثم بعد ذلك يعرض القرآن لنا حقائق الوجود التي تنفي أوهام الجاهلية وأكاذيب الجاحدين، بما يثبت أن قدرة الله هي التي أنشأت هذا الوجود، والله وحده الخلاق العليم.

يقول سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد: ٢-٣].

وإن أيسر مظاهر هذا الكون لتقود النظر السليم إلى الإيمان بخالق

---

(١) السيد سابق، العقائد الإسلامية، مرجع سابق، الصفحة ٢١.

الكون والحياة، قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

ونعم الله تغمر العباد، وإحسانه يأتيهم في كل آن، فكيف يجحد الجاحدون ويعمى عنه الضالون. حيث يقول سبحانه:

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ٣١-٣٣].

وما أجمل أن نستمع إلى كلام الله عز وجل في هذا الموضوع ونتمعن في هذه الآيات ومعانيها، فهي أعظم وأكبر وأعمق دليل على وجوده سبحانه وتعالى، وهي كثيرة جداً يتحدث الله فيها بأسلوب سهل وحوار مقنع عن أدلة وجوده.

قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

وقال: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ

جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٧٨-٨١].

في هذه الآيات وآيات كثيرة في القرآن الكريم، أدلة عقلية منطقية على وجود الله سبحانه وتعالى، ذاك الخالق المبدع المصور الحكيم، وما على الإنسان إلا أن يتفكر فيها، ويمعن النظر بها، ليصل إلى الإيمان بوجود الله سبحانه.

[والعجب كل العجب ممن يرى خطّاً حسناً، أو نقشاً حسناً على حائط فيستحسنه، فيصرف جميع همه إلى التفكير في النقّاش والخطاط وأنه كيف نقشه وخطه؟! وكيف اقتدر عليه؟! ولا يزال يستعظمه في نفسه ويقول: ما أحذَقه! وما أكمل صنعته! وأحسن قدرته! ثم ينظر إلى هذه العجائب في نفسه وفي غيره، ثم يغفل عن صانعه ومصوره، فلا تدهشه عظمته، ولا يحيره جلاله وحكمته؟][1].

إذن في هذا الكون أدلة قطعية تدل على وجود الله سبحانه وتعالى، يمكن من خلالها الوصول بالعقل إلى إقامة الدليل على وجوده، وبالنفس إلى الطمأنينة إلى ذلك، وبالدعوة إلى إثبات وجوده جل وعلا.

وقد ذكر السلف الصالح طرقاً لطيفة في هذا الباب فقد [روي أن أبا حنيفة رحمه الله تعالى كان سيفاً على الزنادقة وكانوا ينتهزون الفرصة ليقتلوه، فبينما هو في مسجده قاعداً، إذ هجم عليه جماعة بسيوف مسلولة وهموا بقتله، فقال لهم: أجيبوني عن مسألة ثم افعلوا ما شئتم، فقالوا له: هات. فقال: ما تقولون في رجل يقول لكم: إني رأيت سفينة

---

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء الرابع، الصفحة ٤٣.

مشحونة بالأثقال، مملوءة من الأحمال، قد احتوشتها في لجة البحر أمواج متلاطمة، ورياح مختلفة، وهي بينها تجري مستوية، ليس لها ملاح يجرِ بها، ولا متعهد يدفعها، هل يجوز ذلك في العقل ؟! قالوا: لا هذا شيء لا يقبله العقل، فقال أبو حنيفة: يا سبحان الله إذا لم يجز في العقل سفينة تجري مستوية من غير متعهد ولا مجر فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها، وتغير أعمالها، وسعة أطرافها، وتباين أكتافها من غير صانع وحافظ ؟! فبكوا جميعاً وقالوا: صدقت، وأغمدوا سيوفهم وتابوا][1].

[وروي أنه سئل الشافعي رضي الله عنه ما الدليل على وجود الصانع فقال: ورقة الفرصاد (أي التوت الأحمر) طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد عندكم ؟ قالوا نعم، قال: فتأكلها دودة القز فيخرج منها الإبريسم (الحرير)، والنحلة فيخرج منها العسل، أو الشاة فيخرج منها البعر، وتأكلها الظباء فينعقد في نوافجها المسك، فمن الذي جعل هذه الأشياء كذلك مع أن الطبع واحد ؟ فاستحسنوا منه ذلك وأسلموا على يده][2].

[وسئل أعرابي عن الدليل على وجود الله تعالى، فقال: البعرة تدل على البعير والروث على الحمير، وآثار الأقدام على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا تدل على الصانع الحكيم القدير ؟][3].

وأخيراً فإن القرآن يسأل الذين يشكون في وجود الله، ولا يؤمنون به

(١) بكري رجب، هداية المريد إلى جوهرة التوحيد، مرجع سابق، الصفحة ٢١.

(٢) المرجع نفسه، الصفحة ٢٢.

(٣) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

هذا السؤال الذي يكشف جهلهم، وانطماس بصائرهم، فيقول لهم سبحانه:

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦].

رابعاً - إن ذات الله عز وجل أكبر من أن تحيط بها العقول البشرية، أو تدركها الأفكار البشرية، لأن العقول والأفكار مهما بلغت من العلو والإدراك فهي محدودة القوة محصورة القدرة، لهذا نهى رسول الله ﷺ عن التفكر في الله عز وجل، وأمر بالتفكر في مخلوقاته.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن قوماً تفكروا في الله عز وجل، فقال النبي ﷺ:

«تَفكروا في خلقِ اللهِ، ولا تَتَفكروا في الله فإنكم لن تَقدِروا قَدرَهُ»(١).

وليس النهي عن التفكر في ذات الله عز وجل حجراً على حرية الفكر، ولا جموداً في البحث، ولا تضييقاً على العقل، ولكنه عصمة له من التردي في مهاوي الضلالة، وإبعاد له عن معالجة أبحاث لم تتوفر له وسائل بحثها، ولا تحتمل قوته - مهما عظمت - علاجها، فعلى المؤمن العاقل أن يحصر همته في إدراك عظمة ربه، بالتفكر في مخلوقاته، والتمسك بلوازم صفاته.

---

(١) محمود بن محمد الحداد، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، الجزء السادس، الصفحة ٢٤٥٨، رقم الحديث ٣٨٨٠، وقال فيه العراقي: أخرجه أبو نعيم في الحلية بإسناد ضعيف، وأخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب بإسناد أصح منه، وأخرجه أبو الشيخ كذلك، وهو على كل حال صحيح المعنى.

وقد يأتي الشيطان من الإنس أو الجن فيسأل: الله خلق الخلق فمن خلقه ؟

وقد بينت سابقاً أن على الناشىء أن يميز بين الخالق والمخلوق، فالخالق له صفات خاصة تختلف عن صفات المخلوق الذي هو من خلق الله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] فالمخلوق يحتاج إلى من يخلقه، والخالق قديم أبدي وقد أجاب الرسول ﷺ على مثل هذا السؤال، ففي رواية عن ابن سيرين قال:

كنت عند أبي هريرة رضي الله عنه، فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن رجالاً سترفع بهم المسألة حتى يقولوا: الله خلق الخلق فمن خلقه ؟ فقال رسول الله ﷺ: فقولوا الله كان قبل كل شيء، وهو خالق كل شيء، وهو كائن بعد كل شيء»(١).

وعن محمد بن علي أن النبي ﷺ علم علياً رضي الله عنه دعوة يدعو بها عندما أهمه، فكان علي رضي الله عنه يعلمها ولده:

[يا كائناً قبل كل شيء، ويا مكون كل شيء ويا كائناً بعد كل شيء، افعل بي كذا وكذا](٢).

فإذا وسوس الشيطان لك أيها الناشىء وقال لك من خلق الله ؟ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم.

---

(١) أخرجه البيهقي قي دلائل النبوة، الجزء السادس، باب ما جاء في إخباره عن رجال سترفع فيهم المسألة، الصفحة ٥٤٤.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في موسوعته، المجلد الثالث، كتاب الفرج بعد الشدة، الصفحة ٤٧، رقم الحديث ٦٧.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [فصلت: ٣٦].

وقد علمنا الرسول ﷺ كيف نرد وسوسة الشيطان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته»(١).

وفي رواية لمسلم: **«لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا: خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله ورسله»**(٢).

وهذه خلاصة الأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك، وهي تنبهنا إلى الطريقة المثلى في طرد الشيطان عند وسوسته، وخاصة في مثل هذه المواضيع بأن لا نناقش الشيطان، ولا نسترسل في البحث معه والرد عليه، بل نطرده بالرد عليه بمنطق الإيمان (آمنت بالله.......) وبمنطق القوة بالاستعاذة بالله لرده، ثم نعرض عن الإصغاء إلى وسوسته ونبادر إلى قطعها بالاشتغال بذكر الله تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الثالث، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، الصفحة ١١٩٤، رقم الحديث ٣١٠٢.

(٢) أخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، الصفحة ١١٩، رقم الحديث ٢١٢.

ثانياً ـ الإيمان بصفات الله

اعلم أيها الناشىء أن من الإيمان بالله تعالى أن تؤمن بأن الله سبحانه وتعالى متصف بجميع صفات الكمال، ومنزه عن جميع صفات النقصان، ومن صفاته سبحانه وتعالى ما يلي:

١ ـ صفة الوحدانية:

[أي أن الله سبحانه وتعالى واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله][1].

أ ـ توحيد الله في ذاته: أن تؤمن بأن الله واحد ليس له شريك.

قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وأن تؤمن بأن ذات الله غير مركبة من أجزاء قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

ب ـ توحيد الله في صفاته: أن تؤمن بأنه ليس لأحد صفات

---

(١) الباجوري، شرح جوهرة التوحيد، تحقيق محمد أديب الكيلاني، وعبد الكريم تتان، مراجعة الشيخ عبد الكريم الرفاعي، الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م، الصفحة ٩٩.

كصفات الله، وأنه تعالى لا ند له في صفاته ولا مثيل قال تعالى:
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١٠].

ج ـ **توحيد الله في أفعاله**: أن تؤمن بأنه ليس لأحد فعل كفعله سبحانه فلا يخلق أحد من العدم شيئاً إلا الله ولا يشاركه أحد في إيجاده لأي شيء، فكل حادث في العالم من خلق الله سبحانه وحده لا خالق له سواه ولا محدث له إلا هو قال تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦].

وقال: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

يقول ابن أبي العز:

[اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال هود عليه السلام لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥].

وقال صالح عليه السلام لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وقال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، محمد رسول الله»[(١)](٢).

وهكذا نجد أن توحيد الله عز وجل هو أول دعوة الرسل أمرهم الله عز وجل بالدعوة لها، لذلك ابتدأ الرسول ﷺ دعوته بها فأخذ يدعو الناس إليها مبتدئاً بأهل بيته ومعارفه ثم قبيلته وعشيرته.

«عن ابن عباس رضي الله عنه قال: مرض أبو طالب، فأتته قريش، وأتاه رسول الله ﷺ يعوده وعند رأسه مقعد رجل، فقام أبو جهل فقعد فيه، فقالوا إن ابن أخيك يقع في آلهتنا، قال: ما شأن قومك يشكونك؟ قال: يا عم، أريدهم على كلمة واحدة تدين لهم بها العرب وتؤدي العجم إليهم الجزية، قال: ما هي؟ قال: لا إله إلا الله، فقاموا فقالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً»(٣).

وكان رسول الله ﷺ يأخذ البيعة من أصحابه على أمور كثيرة:

أولها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الأول، كتاب الإيمان باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلو سبيلهم)، الصفحة ١٧، رقم الحديث ٢٥.

(٢) ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق بشير محمد عيون، الجزء الأول، مكتبة دار البيان، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م، الصفحة ١٥.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عباس، الجزء الأول، الصفحة ٤٩٠، رقم الحديث ٢٠٠٨.

«عن جرير قال: بايعت رسول الله ﷺ على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والسمع والطاعة والنصح لكل مسلم»(١).

وانتشرت دعوة الإسلام وأخذت الوفود تفد إلى رسول الله ﷺ فكان أول ما يدعوهم إليه شهادة (أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله).

«قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه إن وفد عبد القيس لما قدموا المدينة على رسول الله ﷺ قال: ممن الوفد أو قال: القوم؟ قالوا: ربيعة، قال: مرحباً بالوفد أو قال القوم غير خزايا ولا ندامى، قالوا: يا رسول الله، أتيناك من شقة بعيدة، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر ولسنا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام، فأخبرنا بأمر ندخل به الجنة ونخبر به من وراءنا. . . . .

قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. . . . .»(٢).

كذلك كان رسول الله ﷺ يأمر مبعوثيه إلى القبائل بأن تكون الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله هي أول ما يدعونهم، فإن أطاعوا أمروهم بأوامر الله الأخرى.

«عن ابن عباس رضي الله عنه، أن معاذاً قال: بعثني رسول الله ﷺ وقال: إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الثاني، كتاب البيوع، باب هل يبيع حاضر لباد، الصفحة ٧٥٧، رقم الحديث ٢٠٤٩.

(٢) أخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله، الصفحة ٤٧، رقم الحديث ٢٤.
وأخرجه أحمد في مسنده، عن عبد الله بن عباس، الجزء الأول، الصفحة ٤٩٢، رقم الحديث ٢٠٢٠ واللفظ له.

إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فترد في فقرائهم، فإن أطاعوك في ذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»(١).

كما كان رسول الله ﷺ يأمر أمراء الأجناد وسراياه أن يقاتلوا الناس حتى يشهدوا (أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله)

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر:

«**لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله على يده**، قال عمر ابن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذٍ. قال فتساورت لها(٢)، رجاء أن أدعى إليها، قال فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، فأعطاه إياها، وقال:

امشِ ولا تلتفت، حتى يفتح الله عليك، قال فسار عليٌ شيئاً ثم وقف ولم يلتفت: فصرخ: يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟ قال:

قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، الصفحة ٥٠، رقم الحديث ٢٩.

(٢) فتساورت لها: أي تطاولت لها، وحرصت عليها، وأظهرت وجهي وتصديت لذلك ليتذكرني. (النووي، شرح صحيح مسلم، المجلد الثامن، الجزء ١٥، الصفحة ١٧٩).

(٣) أخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب، الصفحة ١٧٨، رقم الحديث ٢٤٠٥.

والتوحيد هو أول واجب وآخر واجب على المسلم، فهو أول ما يدخل به الإنسان في

الإسلام. عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:

«بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»(١).

ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف: شهادة أن لا إله إلا الله فمن فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقيب بلوغه، والتوحيد آخر ما يخرج به من الدنيا كما قال النبي ﷺ:

«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»(٢).

وعكس التوحيد الشرك.

والشرك أن يجعل مع الله إلهاً أو أكثر، ولقد كانت الوصية الأولى من لقمان لابنه أن لا يشرك بالله.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

الظلم: مجاوزة الحق أو ضع الشيء في غير موضعه المختص به(٣).

والشرك أعظم الظلم: أما أنه ظلم فلكونه وضع الشيء في غير

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الأول، في كتاب الإيمان، باب الإيمان وقول النبي صلى الله عليه وسلم (بني الإسلام على خمس)، الصفحة ١٢، رقم الحديث ٨.

(٢) أخرجه أبو داود، الجزء الثالث، كتاب الجنائز، باب في التلقين، الصفحة ١٩٠، رقم الحديث ٣٨٦.

(٣) الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، الصفحة ٤٧١، مرجع سابق.

موضعه، وأما كونه أعظم الظلم: فلتعلقه بأصل الاعتقاد وتسويته بين الخالق والمخلوق، وبين المنعم وحده وبين غير المنعم أصلاً، وهي الأصنام والأوثان.

والشرك دليل على فساد العقل، وخبث النفس، وانطماس البصيرة، لهذا كان الشرك أعظم ذنب عند الله فلا يناله الغفران ولا تشمله المغفرة كما يقول سبحانه:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ [النساء: ١١٦-١١٧].

وما من رسول إلا واجه قومه بدعوة التوحيد وقام ينادي:

﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

ولكن سفاهة المشركين أعمت أبصارهم وأضلتهم عن سواء السبيل، فتعالى الله عما يشركون، قال الله تعالى في حقهم:

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٥].

أما من أشرك عيسى ابن مريم وأمه مع الله وهما بشر من خلق الله فهو إفك يعلن القرآن بطلانه:

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا

ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧١-١٧٢].

لن يستنكف: لن يأنف ويستكبر(١).

بل إن عيسى عليه السلام سيبرأ يوم القيامة مما أشيع عنه وما افترى عليه وذلك على رؤوس الخلائق يوم يجمع الله الرسل:

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧].

والله أمر عباده أن يوحدوه ويفردوه بالعبادة والخضوع، وقد أثبت القرآن أن الله ليس له شريك في ملكه ولا في خلقه، ولا يمكن أن يكون له شريك، وقد ذكر الله عز وجل هذا الموضوع بأسلوب مقنع يتيقن القلب السليم منه، وتطمئن النفس المزكاة إليه.

قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٥٩-٦٠].

---

(١) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد الرابع، الصفحة ٢٦.

ثم بين الله فساد عقول المشركين في إشراكهم بالله آلهة أخرى، وأن الإشراك لا يصح عقلاً ولا واقعاً.

قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ ۖ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢١-٢٥].

وقال سبحانه: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وقد ندد الله بعقول المشركين فقال: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩١].

وقال: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٧].

وقد أمر الله عز وجل أصحاب العقول المنيرة سلوك الطريق السليم فقال: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾

[النحل: ٥١].

ثم بين الله سبحانه وتعالى الحقيقة واضحة:

﴿ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ﴾ [ص: ٦٥-٦٦].

وفي هذا القول يقول أبو العتاهية:

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد[1]

---

(١) أبو الفرج الأصبهاني، كتاب الأغاني، الجزء الرابع، الصفحة ١٢٤٩.

شهادة «أن لا إله إلا الله»

على الوالدين والمربين أن يشرحوا للناشىء معنى هذه الشهادة وأهميتها.

معناها: أي أشهد أن لا إله إلا الله مقراً بها لساني مصدقاً بها قلبي وهي نفي وإثبات فأنا أنفي الألوهية عما سوى الله وأثبتها لله تعالى وحده وأعتقد أنه لا يوجد في الكون إله أبداً إلا الله سبحانه وتعالى. وأعلم أن النطق بهذه الشهادة فرض وهي أول ما يدخلني الإسلام.

أهميتها: أولاً ـ ينال المحافظ عليها شفاعة رسول الله ﷺ يوم القيامة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً[1] من قلبه أو نفسه»[2].

ثانياً ـ من شهد بها حقاً حرم الله عليه النار يوم القيامة.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) خالصاً من قلبه أو نفسه: أي نطق بها معتقداً صحتها مثبتاً أوامر الله تعالى، مجتنباً نواهيه عاملاً بشرعه مستقيماً.
(المنذري، الترغيب والترهيب، الجزء الثاني، مرجع سابق، الصفحة ٤١٢).

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الأول، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، الصفحة ٤٩، رقم الحديث ٩٩.

«من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار»[1].

ثالثاً ـ من قالها مخلصاً دخل الجنة.

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة**، قيل: وما إخلاصها؟ قال: **أن تحجزه عما حرم الله عليه»**[2].

رابعاً ـ هي أفضل الذكر:

عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء: الحمد لله»[3]

خامساً ـ وهي تجدد الإيمان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«جددوا إيمانكم، قيل يا رسول الله وكيف نجدد أيماننا؟ قال: أكثروا من قول لا إله إلا الله»[4].

---

(١) أخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، الصفحة ٥٧، رقم الحديث ٢٩.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، الجزء الخامس، الصفحة ١٩٧، رقم الحديث ٥٠٧٤.

(٣) أخرجه ابن ماجه، الجزء الثاني، كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، الصفحة ١٢٤٩، رقم الحديث ٣٨٠٠.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، الجزء الثالث، الصفحة ٢٨١، رقم الحديث ٨٧١٨.

سادساً ـ وهي من مفاتيح الجنة :

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله»[1] .

سابعاً ـ ليس لها دون الله حجاب .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال :

«التسبيح نصف الميزان، والحمد تملؤه، ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه»[2] .

أيها الناشىء ما أحراك أن تكثر من ذكر الله عز وجل بلا إله إلا الله صباح مساء لتنال من نورها وخيرها فتجدد بها إيمانك دائماً ويحفظك الله بها في الدنيا والآخرة .

٢ـ صفة القدم[3] :

أن تؤمن بأن الله عز وجل قديم الوجود أي لا ابتداء لوجوده،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، الجزء الثامن، الصفحة ٢٥٧، رقم الحديث ٢٢١٦٣ .

(٢) أخرجه الترمذي، الجزء التاسع، كتاب الدعوات، باب التسبيح نصف الميزان، الصفحة ١٨٠، رقم الحديث ٣٥١٣ .

(٣) هذه الصفة وما بعدها من صفات، انظر الباجوري، شرح جوهرة التوحيد، مرجع سابق، الصفحة ٨٥ وما بعدها،

ود. مصطفى الخن، مبادى العقيدة الإسلامية، مرجع سابق، الصفحة ١١٩وما بعدها .

والشيخ طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، مرجع سابق، الصفحة ١٥ وما بعدها .

والابتداء محال في صفته سبحانه، إذ لو كان له بداية لكان حادثاً (أي: مخلوقاً) ولافتقر لمحدث. فالله سابق على كل موجود، أول بلا بداية.
قال الله تعالى:

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

عن أبي هريرة رضي الله قال: قال رسول الله ﷺ:

«اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»(١).

٣ـ صفة البقاء:

أن تؤمن بأن الله عز وجل لا اختتام لوجوده وأنه باقٍ وبقاؤه ليس له نهاية، ولا يطرأ عليه العدم، إذ لو جاز عليه العدم لاستحال القدم فهو سبحانه أزلي أبدي لا سبقه عدم ولا يلحقه فناء.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

وقال سبحانه:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

وقال أيضاً: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ـ٢٧].

---

(١) أخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، الصفحة ٢٠٨٤، رقم الحديث ٢٧١٣.

٤ ـ صفة القيام بالنفس:

أن تؤمن بأن الله عز وجل لا يحتاج إلى من يساعده، ولا إلى موجد يوجده، ولا إلى محل يقوم به فقد كان الله تعالى قبل وجود أي شيء، وقبل وجود الزمان والمكان، إذ أنه القديم الأول والغني المطلق، الذي لا يفتقر إلى غيره أزلاً وأبداً ويفتقر إليه كل ما سواه من الكائنات.

قال الله تعالى: ﴿ ۞يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

٥ـ صفة المخالفة للحوادث (أي للمخلوقات):

أن تؤمن بأن الله عز وجل مخالف للمخلوقات، لا يماثلها في أي صفة لها فهو مخالف لها من كل وجه، فالله عز وجل ليس له ند ولا ضد ولا شبيه ولا مثيل لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، والله لا يماثله شيء، ولا هو يماثل شيئاً، وقد تنزه عن الشريك والوالد والولد والأصدقاء، وتنزه عن الأكل والشرب والنوم، ولا يحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر.

والاشتراك في ألفاظ بعض الصفات بين الخالق والمخلوق، إنما هو اشتراك لفظي فقط، أما الحقائق فمتباينة كالوجود مثلاً: فالله عز وجل واجب الوجود ذاتي الوجود أما المخلوقات فوجودها عرضي ممكن، موجودة بإيجاد الله، مستمرة الوجود بإمداده سبحانه، وكذلك العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر، فكل صفة من هذه الصفات حقيقتها في الخالق سبحانه غير حقيقتها في المخلوقات، فصفات الله تعالى ذاتية، وصفات المخلوقات غير ذاتية، إذ هي في حقيقتها ليست أكثر من فيوضات إلهية عليهم.

والأصل القاطع في كل ذلك قول الله عز وجل:
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

وقوله سبحانه: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص].

وقوله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [النحل: ٦٠].

وقوله: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ [مريم: ٩٠-٩٢].

وقوله: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قال رسول الله ﷺ:

«إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام»(١).

٦ـ صفة الحياة:

أن تؤمن بأن الله حي لا يموت وحياته أزلية أبدية، لم يسبقها عدم ولا يطرأ عليها عدم لاحق، وهي ليست كحياتنا لأن حياتنا حادثة وقائمة بالروح ثم مآلنا إلى الموت والله لا يطرأ عليه الموت.

قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [غافر: ٦٥].

وقال أيضاً: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وقال سبحانه: ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ ﴾ [طه: ١١١].

---

(١) أخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام «الله لا ينام»، الصفحة ١٦١، رقم الحديث ١٧٩.

٧ـ صفة العلم:

أن تؤمن بأن الله يعلم الأشياء أزلاً ويعلم أحوال المخلوقات وعلمه لا يزيد ولا ينقص لأن علمه علم كامل تام يتعلق بما كان وما هو كائن وما سيكون فقد أحاط الله تعالى بكل شيء علماً.

قال الله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩].

والله بكل شيء عليم لا تخفى عليه خافية.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

وهو يعلم ما يجري في السموات والأرض، ويعلم ما يسره البشر أو يعلنوه، كما يعلم ما يجول في صدورهم أخفوه أم أظهروه.

قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن: ٤].

وعلمه بأعمال مخلوقاته دقيق لا تخفى عليه خافية مهما دق أمرها وخفي مكانها قال تعالى على لسان لقمان وهو يعظ ابنه لافتاً نظره إلى مثل هذا: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

وقال أيضاً سبحانه: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

والله سبحانه وتعالى يعلم الغيب والشهادة.

والغيب: هو كل أمر غائب عن مجال إدراكنا الحسي حسب العادة.

والشهادة: كل أمر تستطيع أن نتوصل إلى شهوده بالوسائل الحسية فينا حسب العادة[1].

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢].

وقال أيضاً: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾

[الرعد ٨-١٠].

وقال سبحانه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وهناك قسم من الأمور الغيبية التي لا تستطيع حواس المخلوقات ولا مداركهم إدراكها قد تفرد بعلمها، واستأثر بها لنفسه، فلم يُطلع عليها أحداً من خلقه في الأرض ولا في السماوات، وإلى هذا القسم أشار القرآن بقوله تعالى:

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾

[النمل: ٦٥].

وقال سبحانه: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

---

(١) انظر عبد الرحمن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم دمشق، الطبعة السادسة، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، الصفحة ٢٧.

ويجب أن تؤمن بأن علم الله سبحانه ليس كعلمنا، فعلمنا: قليل محدود مكتسب من بعد جهل، أما علم الله جل وعلا: فهو علم شامل، محيط بكل شيء وهو غير مكتسب ولا مسبوق بجهل، فالله سبحانه عليم بكل شيء من الأزل، وأن علمه لا يقتصر على الظواهر بل هو محيط بالبواطن والدقائق، ومباشر للخفيات كلها.

ومن ذلك يتجلى لنا قوله سبحانه:

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

ومن ذلك تتيقن أن ما نعمله من أعمال البر، مهما صغر وخفي ولو كان نية صالحة في القلب فإن الله يعلمها وسيكافىء عليها.

وكذلك كل عمل من أعمال الشر، مهما صغر وخفي فإن الله يعلمه وسيعاقب عليه:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ـ٨].

٨ـ صفة الإرادة:

أن تؤمن بأنه لا يوجد في الكون شيء إلا ما أراده الله سبحانه، ولا يقع شيء إلا بإرادته فأي شيء أراده كان، وأي شيء لم يرده لا يمكن أن يكون، وهو سبحانه يتصرف في الكون حسب إرادته وليس لأحد في الوجود أن يحول دون إرادة الله وبين ما أراد.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

وقال أيضاً: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [القصص: ٦٨].

وقال سبحانه: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[آل عمران: ٢٦].

وقال سبحانه: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج: ١٣-١٦].

٩- صفة القدرة:

أن تؤمن بأن الله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء، وهذا الكون مظهر من مظاهر قدرته وقدرته صالحة في كل وقت لإيجاد كل ممكن وإعدامه.

والتأمل اليسير في الكون وما فيه من حياة وأحياء، ومن أرض وسماء وليل ونهار وحياة وموت وما يجري من شؤون في كل لحظة، يهدي إلى معرفة القدرة الباهرة.

وقد ذكر الله عز وجل آيات كثيرة تدل على قدرته سبحانه منها:
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨].

اللغوب: التعب والنصب[1].

وقال سبحانه: ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥].

وقال أيضاً: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٦].

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

وقال أيضاً: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقال سبحانه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧١-٧٢].

وقال جل وعلا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ

(١) الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، الصفحة ٦٨١.

رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[النور: ٤٣-٤٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾

[الملك: ٣٠].

وقال أيضاً: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٥].

وقال سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣-٧٠].

١٠ـ صفة السمع:

أن تؤمن بأن الله عز وجل موصوف بالسمع يسمع كل شيء سراً كان أو جهراً، ولا شرط من قرب أو بعد أو جهة، ولكن سمعه سبحانه وتعالى ليس كسمعنا فإن سمعنا بوساطة الأذن وسمعه سبحانه ليس بوساطة جارحة أو آلة سمع.

والله سبحانه وتعالى [سميع لنداء القلب وخطراته ومهاجسه، ولا يشغله سماعه لأحد عن سماعه لأحد آخر، ولا تشتبه على سمعه سبحانه لغات الأمم ولهجات الشعوب، أو يؤثر عليه ضجيج الملحين وهدير المستغيثين ونداءات الملهوفين][(١)].

---

(١) خالد عبد الرحمن العك، عقيدة المسلم، مراجعة الشيخ محمد أديب الكلاس، دار الإيمان الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م، دمشق، بيروت، الصفحة ٤٤.

قال الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾

[الشورى: ١١].

وقال أيضاً: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾

[الأنعام: ١٣].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾

[آل عمران: ١٨١].

وقال ﷺ وقد رفع أصحابه أصواتهم بالدعاء:

«يا أيها الناس اِربَعُوا(١) على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم، ولا غائباً، إنه معكم سميع قريب»(٢).

١١ـ صفة البصر:

أن تؤمن بأن الله موصوف بالبصر، يبصر كل شيء، من غير جارحة، ولا شرط من قرب أو بعد، أو عدم وجود حائل، وبصره سبحانه ليس

---

(١) اربعوا: أي ارفقوا أوانتظروا أوأمسكوا عن الجهر، (القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المجلد الخامس، الصفحة ١٣٥).

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الثالث، كتاب الجهاد، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير، الصفحة ١٠٩١، رقم الحديث ٢٨٣٠.

كبصرنا، فإن بصرنا يكون بواسطة العين، وبصره سبحانه ليس بواسطة شيء.

قال تعالى: ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٣٣ـ٣٥].

وقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨ـ٢١٩].

وقال أيضاً: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وقد أراد سيدنا إبراهيم الخليل صلوات الله عليه تقرير هذا الدليل فيما حكاه عنه تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٤٢].

١٢ـ صفة الكلام:

أن تؤمن بأن الله عز وجل موصوف بالكلام فقد أخبرنا عن ذاته العلية، وعن صفاته وبين لنا الأحكام ومعالم التوحيد، وقص علينا من أخبار الرسل والأمم الماضية.

والقرآن الكريم من كلام الله سبحانه مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب، مقروء على الألسن، منزل على سيدنا محمد ﷺ، وكلامه لا يشبه كلامنا، فإن كلامنا مخلوق فينا، وبواسطة آلة من فم ولسان وشفتين، وكلامه سبحانه وتعالى ليس كذلك، قال الله عز وجل:

﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وقال سبحانه: ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥].

وقال عز وجل: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦].

وقال أيضاً: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠].

ودليل صفة الكلام من السنة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

«فرضت على النبي ﷺ ليلة أسري به الصلاة خمسين، ثم نقصت حتى جعلت خمساً ثم نودي: يا محمد، إنه لا يبدل القول لدي، وإن لك بهذه الخمس خمسين»(١).

ثالثاً: أسماء الله الحسنى

اعلم أيها الناشيء أن من تمام إيمان المؤمن، وكمال اعتقاده بالله تبارك وتعالى، معرفة أسمائه الحسنى، فلقد تعرف سبحانه إلى خلقه بها، وهي أعلام وأوصاف لله تعالى، وقد سميت (الحسنى) لدلالتها على أحسن مسمى، وأشرف مدلول، ولأنها حسنة في الأسماع والقلوب، فهي تدل على توحيده، وكرمه، وجوده، ورحمته، وأفضاله، وهي التي

---

(١) أخرجه الترمذي، الجزء الأول، كتاب الصلاة، باب ما جاءكم فرض من الله على عباده من الصلوات، الصفحة ٢٨١، رقم الحديث ٢١٣، وقال حديث حسن صحيح غريب.

تفتح للمؤمن نافذة الوقوف على فضل الله سبحانه وتعالى:

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال سبحانه: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وقال تبارك وتعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الحشر: ٢٤].

وقال عز وجل: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [طه: ٨].

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«لله تسعة وتسعون اسماً، من حفظها دخل الجنة وإن الله وتر يحب الوتر»(١).

وفي رواية:

«إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحد من أحصاها دخل الجنة، إنه وتر يحب الوتر»(٢).

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة غير واحدة من أحصاها دخل الجنة:

هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز

---

(١) البخاري، كتاب الدعوات باب لله مائة اسم غير واحد في الجزء الخامس الصفحة ٢٣٥٤ رقم الحديث ٦٠٧٤.

(٢) مسلم، كتاب الذكر والدعاء باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها الجزء الرابع الصفحة ٢٠٦٣ رقم الحديث ٢٦٧٧.

المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المُقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدى المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور»[1].

[هذا ويجب أن نعلم أنه ليس في قول النبي ﷺ: تسعة وتسعون اسماً نفي غيرها، وإنما وقع التخصص بذكرها لأنها أشهر الأسماء وأبينها للمعاني. وفيها ورد الخبر أن من أحصاها دخل الجنة، وفي رواية سفيان (من حفظها) وذلك يدل على أن المراد بقوله من أحصاها من عدها، وقيل معناه من أطاقها بحسن المراعاة لها، والمحافظة على حدودها في معاملة الرب بها، وقيل معناه من عرفها وعقل معانيها، وآمن بها والله أعلم][2].

هذا وإن لله جل ثناؤه أسماء أخر، يدل عليها ما رواه عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما أصاب مسلماً قط همٌّ ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك آو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من

---

(١) الترمذي، الجزء التاسع،كتاب الدعوات، باب أسماء الله الحسنى بالتفضيل، الصفحة ١٧٣، رقم الحديث ٣٥٠٢.

(٢) البيهقي، الأسماء والصفات، مرجع سابق، الصفحة ١٧.

خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي، إلا أذهب الله عنه همه وأبدله مكان همه فرجاً. قالوا يا رسول الله ألا نتعلم هذه الكلمات، قال: بلى، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن»[1].

تعريف بأسماء الله[2]:

١ـ الله: لفظ الجلالة، علم على الذات الإلهية المقدسة، وهو أكبر الأسماء واجمعها للمعاني.

٢ـ الرحمن: المنعم بجلائل النعم وهو ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في كل شيء وعمت المؤمن والكافر والصالح والطالح.

٣ـ الرحيم: المنعم بدقائق النعم وهو ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين.

٤ـ الملك: المتصرف في ملكه كيفما يشاء.

٥ـ القدوس: المنزه والمطهر من العيوب والنقائص والممدوح بالفضائل والمحاسن.

٦ـ السلام: السالم من المعائب ومانح الخلق السلامة في الدنيا والآخرة.

٧ـ المؤمن: وهو الذي يعزى إليه الأمن والأمان، وهو المؤمن لخلقه من العذاب والمصدق وعده لهم، والموفي بما ضمنه لهم من رزق في

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، الجزء الثاني، الصفحة ١٦٨، رقم الحديث ٤٣١٨.

(٢) انظر البيهقي، الأسماء والصفات. وأحمد إبراهيم مُلاّ محمد، شرح أسماء الله الحسنى على منظومة الشيخ عبد الغني النابلسي، الطبعة الأولى دار المجد دمشق. وزهير زكي شنانه، أسماء الله الحسنى.

الدنيا، وثواب على أعمالهم الحسنة في الآخرة.

٨ـ **المهيمن**: المسيطر والشاهد على خلقه بما يكون منهم من قول وفعل والرقيب عليهم والحافظ لهم، والقائم على أعمالهم وأرزاقهم وآجالهم.

٩ـ **العزيز**: الغالب والمنيع الذي لا يغلب والذي لا يوصل إليه ولا يمكن إدخال مكروه عليه، ولا يوجد مثله، وليس له ضد ولا شبيه.

١٠ـ **الجبار**: العالي فوق خلقه، المنفذ لأوامره، و المصلح لشؤون عباده.

١١ـ **المتكبر**: المنفرد بصفات العظمة، والمتعالي عن صفات الخلق.

١٢ـ **الخالق**: الموجد للمخلوقات من غير أصل والمقدر لها.

١٣ـ **البارىء**: الخالق لما فيه الروح والموجد لما له أصل.

١٤ـ **المصور**: المعطي لكل شيء صورة تميزه عن غيره، فالخالق الموجد للأشياء إيجاداً أولياً، أو المقدر والبارىء المظهر لها والمصور الذي أعطاها الصورة المناسبة.

١٥ـ **الغفار**: كثير المغفرة وستر الذنوب.

١٦ـ **القهار**: القابض على كل شيء والقاهر لكل الخلائق وهو يَقهر ولا يُقهَر.

١٧ـ **الوهاب**: خالق الأرزاق وخالق أسبابها.

١٩ـ **الفتاح**: الذي يفتح خزائن رزقه ورحمته لعباده ويفتح المنغلق عليهم من أمورهم وأسبابهم ويفتح قلوبهم وعيون بصائرهم ليبصروا الحق.

٢٠ـ **العليم**: العالم بكل شيء فلا يغيب عنه شيء.

٢١ـ **القابض**: قابض الأرواح أو مضيق الرزق على من يشاء من عباده يطوي بره ومعروفه عمَّن يريد ويضيق ويقتر أو يحرم فيفقر.

٢٢ـ **الباسط**: موسع الرزق على من يشاء، والناشر فضله على عباده يرزق ويوسع ويجود ويفضل ويعطي أكثر مما يحتاج إليه.

٢٣ـ **الخافض**: الذي يخفض من هو مستحق للخفض بالخزي والذل والعذاب.

٢٤ـ **الرافع**: الذي يرفع من يستحق الرفعة من المتقين.

٢٥ـ **المعز**: يعز من استمسك بدينه، ويعطيه النصرة والغلبة وييسر أسباب المنعة.

٢٦ـ **المذل**: الذي يذل أعداءه ويعرضهم للهوان والضعة.

٢٧ـ **السميع**: السامع والمدرك للأصوات التي يدركها المخلوقات بآذانهم من غير أن يكون له أذن وسواء عنده الجهر والخفت، ولا يعزب عن إدراك مسموع وإن خفي.

٢٨ـ **البصير**: هو العالم بخفيات الأمور، المبصر والمدرك للأشخاص والألوان التي يدركها المخلوقات بأبصارهم من غير أن يكون له جارحة العين، ويبصر خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

٢٩ـ **الحكم**: الحاكم الذي لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه.

٣٠ـ **العدل**: العادل الكامل في عدالته.

٣١ـ **اللطيف**: العالم بخفايا الأمور ودقائقها وهو الذي يريد لعباده الخير واليسر ويفيض لهم أسباب الصلاح والبر.

٣٢ـ الخبير: المتحقق لما يعلم، ولا تعزب عنه الأخبار الباطنة أو الخفية.

٣٣ـ الحليم: ذو الصفح والأناة الذي لا يستفزه غضب ولا يتعجل بالعقوبة وهو الصفوح مع القدرة فلا يحبس إنعامه وإفضاله على عباده لأجل ذنوبهم.

٣٤ـ العظيم: البالغ أقصى مراتب العظمة، ولا يمكن الامتناع عليه بالإطلاق.

٣٥ـ الغفور: كثير الغفران والستر على المذنبين من عباده، ويزيد عفوه على مؤاخذته.

٣٦ـ الشكور: الذي يعطي الكثير على العمل القليل، وهو الذي يدوم شكره ويعم كل مطيع

٣٧ـ العلي: الذي بلغ أعلى المراتب التي لا يتصورها العقل، ولا يدركها الفهم ولا يستطيع بلوغها أحد.

٣٨ـ الكبير: الذي لا تستطيع الحواس ولا العقول إدراكه، وهو المعرف عباده على ما يريده منهم من غير أن يروه.

٣٩ـ الحفيظ: الذي يحفظ الأشياء من الخلل والاضطراب، ويحفظ أعمال العباد، فلا يضيع منها شيء.

٤٠ـ المُقيت: خالق الغذاء الروحي والمادي.

٤١ـ الحسيب: المدرك للأجزاء والمقادير التي يعلم العباد أمثالها بالحساب من غير أن يحسب، أو الذي يكفي عباده بعطائه، أو الذي يحاسبهم يوم القيامة.

٤٢ـ الجليل: الذي له صفات الجلال لكمال صفاته وهو المستحق للأمر والنهي.

٤٣ـ الكريم: المعطي من غير سؤال ولا عوض ولا ينفذ عطاؤه.

٤٤ـ الرقيب: الذي يراقب الأشياء ويلاحظها ولا يغفل عما خلق، ولا يغيب عنه شيء.

٤٥ـ المجيب: الذي يستجيب للداعي إذا دعاه والذي ينيل سائله ما يريد.

٤٦ـ الواسع: الذي عمت رحمته كل شيء، ووسع علمه كل شيء، ووسع غناه مفاقر عباده، ووسع رزقه جميع خلقه.

٤٧ـ الحكيم: صاحب الحكمة لكمال علمه وإتقانه كل شيء.

٤٨ـ الودود: المحب للخير لخلقه، والمحسن إليهم في كل الأحوال.

٤٩ـ المجيد: البالغ النهاية في المجد والشرف والكرم.

٥٠ـ الباعث: أي باعث الرسل، وباعث الهمم، وباعث من في القبور.

٥١ـ الشهيد: العالم بكل مخلوق والمطلع عليهم، فلا يخفى عليه منهم خافية ولا يغيب عنه شيء.

٥٢ـ الحق: الثابت الذي لا يتغير، وهو ما لا يسع إنكاره ويلزم إثباته والاعتراف به.

٥٣ـ الوكيل: القائم بأمور عباده وسائر ما يحتاجون إليه، وهو الموكول والمفوض إليه.

٥٤ـ القوي: صاحب القدرة التامة الذي لا يستولي عليه العجز في

حال من الأحوال والمتمكن من كل مراد.

٥٥ـ **المتين**: الذي بلغ النهاية في الشدة، والذي لا تتناقص قوته فَيَهِن ويَفتر.

٥٦ـ **الولي**: مالك التدبير والمتولي أمر خلقه لحبه لهم ونصره إياهم.

٥٧ـ **الحميد**: المحمود المستحق للثناء والحمد بفعاله.

٥٨ـ **المحصي**: الذي لا يغيب عن علمه شيء.

٥٩ـ **المبدىء**: المظهر للأشياء من العدم.

٦٠ـ **المعيد**: الذي يعيدها بعد عدمها.

٦١ـ **المحيي**: خالق الحياة في كل شيء.

٦٢ـ **المميت**: سالب الحياة من الأحياء.

٦٣ـ **الحي**: صاحب الحياة الدائمة.

٦٤ـ **القيوم**: القائم بنفسه والمقيم لغيره والقائم على كل شيء من خلقه يدبره بما يريد والقائم الدائم بلا زوال.

٦٥ـ **الواجد**: الذي يجد كل ما أراده، فلا يحتاج إلى شيء لغناه المطلق.

٦٦ـ **الماجد**: مثل المجيد.

٦٧ـ **الواحد**: الذي لا شريك له ولا عديد ولا قديم سواه ولا إله سواه وأنه القائم بنفسه.

٦٨ـ **الصمد**: المقصود بالحوائج والنوازل.

٦٩ـ **القادر**: الكامل القدرة الذي لا يعجزه شيء، بل يستتبُّ له ما يريد على ما يريد.

٧٠ـ **المقتدر**: التام القدرة الذي لا يمنع عليه شيء، ولا يحتجز عنه بمنعة وقوة.

٧١ـ **المقدم**: الذي يقدم الأشياء بعضها على بعض في الوجود، وفي الشرف، أو في الزمان، أو المكان، والمعطي لعوالي الرتب.

٧٢ـ **المؤخر**: الذي يؤخر الأشياء، ويدفع عن عوالي الرتب.

٧٣ـ **الأول**: القديم السابق على كل شيء، بلا بداية، الأول لكل ما سواه المتقدم على كل ما عداه.

٧٤ـ **الآخر**: الباقي بعد كل شيء، الأبدي الدائم بلا نهاية.

٧٥ـ **الظاهر**: الذي أظهر وجوده بآياته فهو البادي في أفعاله فلا يمكن معها أن يجحد وجوده وينكر ثبوته.

٧٦ـ **الباطن**: الخفي بذاته فلا يعلم ذاته أحد، وإنما يُدرك بآثاره وأفعاله وهو المطلع على ما بطن من الغيوب.

٧٧ـ **الوالي**: هو المالك للأشياء والمتولي لها والمتصرف بها.

٧٨ـ **المتعالي**: المنزه عن النقائص.

٧٩ـ **البَر**: كثير الخير عظيم الإحسان، العطوف على عباده المحسن إليهم، عم بره جميع خلقه

٨٠ـ **التواب**: الذي يتوب على عباده فيقبل توبتهم والذي يوفق العصاة للتوبة ويقبلها منهم.

٨١ـ **المنتقم**: المعاقب من يستحق العقوبة قدر الاستحقاق.

٨٢ـ **العفو**: الماحي لسيئات من أناب إليه.

٨٣ـ **الرؤوف**: عظيم الرأفة والرحمة بعباده فقد حملهم أقل مما يطيقونه.

٨٤ـ مالك الملك: الذي تجري الأمور في السموات والأرض طبق مشيئته وإرادته.

٨٥ـ ذو الجلال والإكرام: صاحب الشرف والكمال ومفيض النعم والآلاء.

٨٦ـ المقسط: المنصف للمظلومين من الظالمين بعدله.

٨٧ـ الجامع: الذي يجمع شتات الحقائق المختلفة والذي يجمع الناس يوم الدين.

٨٨ـ الغني: المستغني عن كل ما عداه والمفتقر إليه كل ما سواه.

٨٩ـ المغني: المتفضل بإغناء من شاء من خلقه بأن ساق إليهم أرزاقهم فأغناهم عما سواه.

٩٠ـ المانع: الذي يمنع أسباب الهلاك.

٩١ـ الضار: الذي ينزل عقابه بأعدائه.

٩٢ـ النافع: الذي عم خيره البلاد والعباد.

٩٣ـ النور: الظاهر بنفسه والمظهر لغيره والهادي، لا يعلم العباد إلا ما علمهم، ولا يدركون إلا ما يسر لهم إدراكه.

٩٤ـ الهادي: الذي هدى وأرشد كل شيء إلى ما يحفظ وجوده، وهو الدال على سبيل النجاة والمبين لها، لئلا يزيغ العبد ويضل فيقع فيما يرديه ويهلكه.

٩٥ـ البديع: الذي لا نظير له، ومحدث ما لم يكن مثله قط وخالق السموات والأرض على غير مثال مسبق.

٩٦ـ الباقي: الدائم الوجود الذي لا يستولي عليه الفناء، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم وهو الحي الذي لا يموت.

٩٧ـ **الوارث**: الباقي بعد فناء الموجودات، والذي ترجع إليه الأملاك بعد فناء المُلاَّك.

٩٨ـ **الرشيد**: المرشد لعباده والذي تجري تصاريفه لغاياتها بمنتهى الحكمة والسداد.

٩٩ـ **الصبور**: الذي لا يتعجل بالعقوبة، ولا يتعجل بشيء قبل أوانه، فهو يملي ويمهل ويُنظر ولا يتعجل.

المتشابه من آيات الصفات

تحدث العلماء قديماً وحديثاً في هذا الموضوع، واختلفوا اختلافاً كبيراً إلا أن أفضل من لخص البحث فيه د. محمد سعيد رمضان البوطي لذلك أورد نقلاً عنه:

[يشكل ـ بحسب الظاهر ـ آيات في كتاب الله، وأحاديث ثابتة عن رسول الله ﷺ، تفيد بظاهر ألفاظها وتعابيرها ثبوت بعض هذه النقائص أو النقائض التي نفيناها عن ذات الله جل جلاله، كالجهة والجسمية والجوارح والأعضاء والتحيز في المكان كقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

وقوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

وكقوله عليه الصلاة والسلام: «**إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب=

فكيف نوفق بين ما ذكرناه وأوضحناه بالأدلة القاطعة اليقينية، وبين ظاهر هذه الآيات والنصوص ؟

والجواب أن هذه النصوص القرآنية من نوع المتشابه الذي ذكر الله عز وجل أن في كتابه الكريم آيات منه، والمقصود بالمتشابه كل نص تجاذبته الاحتمالات حول المعنى المراد منه وأوهم بظاهره ما قامت الأدلة على نفيه، غير أن هنالك آيات أخرى تتعلق بصفات الله تعالى أيضاً ولكنها محكمات أي قاطعة في دلالتها لا تحتمل إلا معناها الواضح الصريح كقوله جل جلاله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ وقد أوضح الله في كتابه بصريح العبارة، ضرورة اتباع المؤمن للنصوص المحكمة في كتابه، وبناء عقيدته في الله بموجبها، ووضع النصوص المتشابهة من ورائها، من حيث فهمها والوقوف على المعنى المراد منها، وشدد النكير على من يتجاهل هذه النصوص المحكمة النيرة القاطعة ليلحق العبارة المتشابهة الغامضة ويفسرها كما يشاء][1] وذلك في قوله عز وجل:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

= كيف يشاء، الصفحة ٢٠٤٥، رقم الحديث ٢٦٥٤

(١) د.محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، مرجع سابق، الصفحة ١٣٧ ـ ١٣٨.

[مذهب السلف، هو عدم الخوض في أي تأويل أو تفسير تفصيلي لهذه النصوص والاكتفاء بإثبات ما أثبته الله تعالى لذاته، مع تنزيهه عز وجل عن كل نقص ومشابهة للحوادث، وسبيل ذلك التأويل الإجمالي لهذه النصوص وتحويل العلم التفصيلي بالمقصود منها إلى علم الله عز وجل][1].

[ومنهج سلف الأمة ومنهم الأئمة الأربعة بالنسبة لجميع الصفات الإيمان بها حقيقة لا مجازاً على الأسس الثلاثة التي هي:

أولاً - إثباتها.

ثانياً - التنزيه عن مشابهة المخلوقات كما في آية ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ثالثاً - اليأس من إدراك كيفيتها على حد آية ﴿ولا يحيطون به علماً﴾][2].

[أخرج أبو القاسم الالكاني في كتاب السنة من طريق الحسن البصري عن أمه عن أم سلمة أنها قالت: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإقرار به إيمان والجحود به كفر.

وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب قال كنا عند مالك فدخل رجل فقال:

يا أبا عبد الله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى؟ فأطرق مالك فأخذته الرحضاء[3] ثم رفع رأسه فقال: الرحمن على العرش

---

(١) المرجع السابق، الصفحة ١٣٨.
(٢) ابن منده، كتاب الإيمان، مرجع سابق، الجزء الأول، الصفحة ٢٣٢.
(٣) الرُّحَضاء: عرق يغسل الجلد لكثرته. (ابن منظور لسان العرب، المجلد الخامس، الصفحة ١٦٨).

استوى كما وصف الله نفسه، ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع، وما أراك إلا صاحب بدعة. . . . . أخرجوه][1].

[وعلى مثل هذا، درج أكثر علمائنا في مسألة المجيء والإتيان والنزول، وما ورد به الكتاب والسنة من أمثال هذا، لم يتكلم أحد من الصحابة والتابعين في تأويله وهم على قسمين:

منهم من قبله وآمن به ولم يؤوله، ووكل علمه إلى الله، ونفى الكيفية والتشبيه عنه.

ومنهم من قبله وآمن به وحمله على وجه يصح استعماله في اللغة ولا يناقض التوحيد][2].

[وفي الجملة يجب أن يُعلم أن استواء الله سبحانه وتعالى ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج ولا استقرار في مكان، ولا مماسة بشيء من خلقه، لكنه مستو على عرشه كما أخبر بلا كيف بلا أين، بائن من جميع خلقه، وأن إتيانه ليس بإتيان من مكان إلى مكان وأن مجيئه ليس بحركة، وأن نزوله ليس بجارحة، وأن عينه ليست بحدقة، وإنما هذه أوصاف جاء بها التوقيف فقلنا بها، ونفينا عنها التكييف فقد قال تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وقال سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص].

وقال عز وجل: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]][3].

---

(١) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المجلد الثالث عشر، الصفحة ٣٤٢.

(٢) البيهقي، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، الصفحة ٧٢.

(٣) المرجع السابق، الصفحة ٧٢.

ثمار الإيمان بالله عز وجل:

للإيمان بالله عز وجل وصفاته وأسمائه الحسنى ثمار كثيرة جداً، أذكر منها ما يلي:

١ـ الوصول إلى أعلى مرتبة يمكن أن يصلها الإنسان في هذه الحياة، وهي معرفته لربه، والإيمان به، والعمل بمقتضى هذا الإيمان.

٢ـ رسوخ الإيمان الحقيقي اليقيني الثابت في أعماق المؤمن، فلا يتأثر بأي مؤثر، ولا يتزحزح من فكرة تطرح عليه، ولا يتغير ولا يتبدل.

٣ـ الابتعاد عن الإيمان التقليدي الضعيف الذي لا يصمد أمام قوى الشر الكثيرة، وأفكارها المتعددة، ومظاهرها المتنوعة.

٤ـ الازدياد من محبة الله عز وجل من وراء معرفتنا بصفاته الكاملة، وأسمائه الحسنى، وأنه هو الخالق الرازق المعطي لكل النعم التي لا تعد وتحصى.

قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

ويقول الرسول ﷺ: «**أحبوا الله لما يغذوكم من نعمة**»[1].

٥ـ مراقبتنا لجميع نوايانا وأقوالنا وأفعالنا بما يرضي الله سبحانه، لإيماننا أن الله عز وجل يرانا أينما كنا، وأنه يعلم الجهر وما يخفى، ويعلم

(١) أخرجه الترمذي، عن ابن عباس، الجزء التاسع، كتاب المناقب، باب مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، الصفحة ٣٤٣، رقم الحديث ٣٧٩٢.

السر وأخفى، ويعلم ما نسر وما نعلن وما نظهر وما نبطن، ويعلم ما في الصدور، وهو علام الغيوب، وهو عالم الغيب والشهادة، وعلمنا أنه أقرب إلينا من حبل الوريد، فهو يعلم ويسمع ويرى دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء على الصخرة الملساء.

٦ـ الإكثار من الأعمال الصالحة، والابتعاد عن الأعمال الفاسدة، والعمل بالطاعات، وترك المنكرات، والاستزادة من الواجبات، والفرار من المعاصي والمنهيات، وذلك حباً لله وتنفيذاً لأوامره، ورغبته بنيل قربه ورضاه، وإيماننا بأنه سيحاسبنا على كل شاردة وواردة.

قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ـ٨].

٧ـ الطمأنينة والاستقرار النفسي، والرضا والقناعة والسرور والسعادة في كل ما يجري لنا في حياتنا لعلمنا أن كل شيء بيد الله، وهو المعطي وهو المانع وهو القابض وهو الباسط وهو الرازق وهو على كل شيء قدير:

فإن أعطانا شكرناه وحمدناه
وإن منعنا رضينا وسألناه
وإن امتحننا صبرنا ودعوناه
وإن ابتلانا التجأنا إليه وناجيناه

قال الله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

ونحن نعلم أنه كما قال تعالى: ﴿ لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

وكما أننا على يقين دائم «**أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف**»(١).

٨ـ الوصول إلى الغاية الحقيقية التي ينشدها المؤمن في الدنيا والآخرة، وهي رضاء الله، ونيل توفيقه في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ﴾ [فصلت: ٣٠ـ٣٢].

* * *

(١) أخرجه الترمذي، الجزء السابع، كتاب صفة القيامة، باب ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، الصفحة ٢٠٣، رقم الحديث ٢٥١٨.

الفصل الثاني

الإيمان بالملائكة

من أركان العقيدة الإسلامية الإيمان بالملائكة، وقد ثبت ذلك من الأدلة التي مرت معنا سابقاً من القرآن الكريم والحديث الشريف[1].

وقد قال الله عز وجل: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

تعريف الملائكة:

الملائكة: أجسام نورانية لطيفة، خلقها الله تعالى مبرأة من الشهوات الحيوانية، لا توصف بذكورة ولا بأنوثة، قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، لها أجنحة مثنى وثلاث ورباع، لا تأكل، ولا تشرب، ولا تنام، ولا تتناسل، فطرت على الطاعة، وتقوم بالأعمال التي وكل الله إليها تنفيذها في الدنيا والآخرة[2].

---

(١) انظر الأدلة، في الصفحة ٢٦١.

(٢) انظر ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، الصفحة ٢٣، والنيسابوري، غرائب القرآن، الجزء الأول، الصفحة ٢٦٢، والبيضاوي، أنوار التنزيل، الجزء الأول، الصفحة ١٣٤.

قال الله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فاطر: ١].

معنى الإيمان بالملائكة:

[التصديق الجازم، واليقين القاطع بأن لله تعالى ملائكة مخلوقون من نور، وأنهم عباد مكرمون، يسبحون بالليل والنهار لا يفترون، وأنهم أصناف كثيرة بحسب ما كلفهم الله به من أعمال، وأنهم قائمون بما كلفوا به خير قيام، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون] (١).

صفات الملائكة(٢):

صفات الملائكة كثيرة أهمها:

---

(١) د. محمد حافظ الشريد، العقيدة الواضحة، الطبعة الأولى ١٤١٣ ـ ١٩٩٣ م، دار النفائس عمان الأردن الصفحة ٣٤ نقلاً عن عبد العزيز السلمان مختصر الأسئلة والأجوبة والأصولية الصفحة ١٧.

(٢) انظر الرازي، التفسير الكبير، المجلد الأول، مرجع سابق، الصفحة ١٥٩ وما بعدها.

والباجوري، شرح جوهرة التوحيد، مرجع سابق، الصفحة ٨٥ وما بعدها.

وابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، مرجع سابق، الجزء الثاني، الصفحة ٤٤٠.

و دمصطفى الخن، مبادى العقيدة الإسلامية، مرجع سابق، الطبعة الثامنة، الصفحة ٢٨٩ وما بعدها.

وعز الدين البيانوني، الإيمان بالملائكة، مكتبة الهدى، حلب سوريا ١٣٩٤ ـ ١٩٧٤.

أولاً ـ أنهم مخلوقون من نور:

عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال:

«خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»(١).

ثانياً ـ أنهم أجسام:

ليسوا بأرواح مجردة، ولكنهم أجسام لا نستطيع رؤيتهم بأعيننا هذه، فقد يكونون بيننا ولا نراهم.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها:

«يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام، فقالت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى، (تريد النبي ﷺ)»(٢).

ثالثاً ـ أنهم متفاوتون في الخلق والأقدار تفاوتاً لا يعلمه إلا الله سبحانه:

أما تفاوتهم في الخلق فقد ذكر الله تعالى في قوله:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فاطر: ١].

وأما تفاوتهم في الأقدار فقد ذكره الله تعالى في قوله:

﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾

[الصافات: ١٦٤ـ١٦٦].

---

(١) أخرجه مسلم، الجزء الرابع، في كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، الصفحة ٤٢٩٤، رقم الحديث ٢٩٩٦.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الثالث، في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، الصفحة ١١٧٧، رقم الحديث ٣٠٤٥.

قال ابن كثير: [وما من ملك إلا له موضع مخصوص في السموات، ومقامات العبادات لا يتجاوزها ولا يتعداها][1].

رابعاً ـ أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون:

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩ـ٢٠].

وقال سبحانه: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦ـ٢٧].

خامساً ـ أنهم يخافون الله خوف تعظيم:

قال الله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرعد: ١٣].

وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾ [النحل: ٤٩ـ٥٠].

سادساً ـ أنهم مقربون من الله ومكرمون عنده:

قال الله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ﴾ [النساء: ١٧٢].

وقال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ١٨ـ٢١].

المقربون: هم الملائكة[2].

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم الجزء الرابع، الصفحة ٢٦.
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء الرابع، الصفحة ٥١٩.

سابعاً ـ أنهم يسكنون السماء وينزلون منها بأمر الله:

عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لجبريل:

«ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ قال: فنزلت:

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]»[1].

ثامناً ـ أنهم مخلوقون قبل خلق الإنسان:

وقد أخبرهم الله بأنه سيخلقه ويجعله خليفة في الأرض.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

تاسعاً ـ أنهم لهم قدرات خارقة متعهم الله بها:

فهم جنود جعلهم الله قادرين على أشياء يعجز عن الإتيان بمثلها بشر، كقطع المسافات البعيدة في أسرع من لحظات وكحمل الأشياء الثقيلة جداً، أو نقلها من مكانها، وذلك مثل الجبال وما أشبهها، قال الله سبحانه وتعالى في بيان سرعتهم وقطعهم المسافات في لحظات: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

الروح المراد به جبريل عليه السلام، ويكون من باب عطف الخاص على العام[2].

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الرابع، كتاب التفسير، باب وما نتنزل إلا بأمر ربك، الصفحة ١٧٦٠، رقم الحديث ٤٤٥٤.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء الرابع، الصفحة ٤٤٦.

وفي بيان قدرتهم على حمل الجبال وقلب المدن قال الله تعالى في شأن اليهود:

﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١].

[فقد أمر الله تعالى جبريل بأن يرفع فوق رؤوسهم جبل الطور تخويفاً وتهديداً لهم، فرفعه حتى أصبح كأنه سقيفة فوق رؤوسهم، وذلك عند تقاعسهم عن العمل بما في التوراة][١].

وقد قلب الملائكة بأمر الله سبحانه مدينة لوط فجعلوا عاليها سافلها، وذلك بسبب كفرهم وارتكابهم الفواحش.

قال الله سبحانه في ذلك:

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٢-٨٣].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: «هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبدياليل بن عبد كُلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد فقال ذلك، فيما شئت، إن شئت أن

---

(١) انظر تفسير الألوسي، روح المعاني، الجزء التاسع، الصفحة ٩٨.

أطبق عليهم الأخشبين[1] فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً»[2].

عاشراً ـ أنهم منحوا القدرة على التشكل بأشكال مختلفة:

وقد ثبت ذلك في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، ففي سورة مريم أن جبريل عليه السلام نزل على مريم بأمر الله سبحانه، في صورة إنسان سوي الخلق يبشرها بعيسى عليه السلام.

قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٦ـ١٩].

وكذلك الملائكة الذين حلوا ضيوفاً على إبراهيم عليه السلام:
﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٤ـ٢٨].

وكذلك الملائكة الذين جاؤوا ضيوفاً على لوط بصورة شبان مرد حسان أطمعت بهم قومه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ قَالَ يَٰقَوْمِ

---

(١) الأخشبان: هما جبلا مكة أبو قبيس ومقابله قعيقعان. (القسطلاني، إرشاد الساري، المجلد الخامس، الصفحة ٢٧٦).

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الثالث، في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم، الصفحة ١١٨١، رقم ٣٠٥٩.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٧-٧٨].

«وفي حديث عمر بن الخطاب عندما جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ على صفة إنسان شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر لا يعرفه أحد من الصحابة. وأخذ يسأل رسول الله ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وإماراتها، وبعد أن انصرف بمدة سأل رسول الله عمر: أتدري من السائل؟ قال الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله ﷺ: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»(١).

ولقد روي في الحديث أن جبريل كان ينزل على رسول الله ﷺ في صورة دحية بن خليفة الكلبي، وهو صحابي ذو صورة حسنة، فقد روي عن عبد الله بن عمر قال:

«كان جبرائيل يأتي النبي ﷺ في صورة دحية»(٢).

قال ابن حجر العسقلاني في الإصابة عند الكلام عن دحية:

[كان يضرب به المثل في حسن الصورة، وكان جبرائيل عليه السلام ينزل على صورته، جاء ذلك من حديث أم سلمة، ومن حديث عائشة، وروى النسائي بإسناد صحيح عن يحيى بن معمر عن ابن عمر رضي الله عنهما: كان جبرائيل يأتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صورة دحية الكلبي، وروى الطبراني من حديث عفير بن معدان عن قتادة عن أنس: أن

(١) أخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان، الصفحة ٣٧، رقم الحديث ١.
(٢) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عمر، الجزء الثاني، الصفحة ٤٣٧، رقم الحديث ٥٨٦١.

النبي ﷺ قال: كان جبرائيل يأتيني على صورة دحية الكلبي][1].

أعمال الملائكة ووظائفهم[2]:

جاء في النصوص الشرعية ما يدل على أن الملائكة أصناف، وأن لكل منهم وظائف أقامه الله سبحانه فيها، من غير حاجة إليهم، بل ليدل بذلك على عظمته وقدرته سبحانه وعلو ملكه وسلطانه، والله غني عن العالمين.

ومن أهم وظائفهم الموكلة إليهم ما يلي:

أولاً ـ الوحي:

وهذه الوظيفة خاصة بجبريل عليه السلام، فهو الذي كان ينزل على الأنبياء والرسل بالوحي.

قال الله تعالى منوهاً بوظيفته هذه ومبيناً أمانته فيها: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾

[الشعراء: ١٩٢ـ١٩٤].

وقد بين الله تعالى أفضليته: إذ شرفه فخصصه بالذكر، وقدمه في الترتيب على سائر الملائكة وجعله ناصراً لرسوله في معرض تهديد نساء الرسول فقال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

وسماه الله روح القدس (أي: الروح المطهرة المقدسة)[3] وذلك

---

(١) العسقلاني، الإصابة، الجزء الثاني، الصفحة ١٦٢.
(٢) انظر المراجع السابقة المعتمدة في أهم صفاتهم.
(٣) د.وهبة الزحيلي، التفسير المنير، الجزء الأول، الصفحة ٢١٩.

تكريماً له فقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧].

ومدحه الله بست صفات في معرض تبليغه نص القرآن لرسول الله صلوات الله عليه، فقال الله تعالى:

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢١].

فهو رسول، وفي ذلك اصطفاء له بهذه المهمة من بين الملائكة.

وهو كريم، وفي ذلك تشريف عظيم له.

وهو ذو قوة، وهو مكين عند الله: أي ذو مكانة عالية.

وهو: مطاع بين الملائكة، وهذا ما يدل على رياسته.

وهو: أمين في تبليغ رسالات ربه القولية والعملية.

ثانياً ـ حملة العرش والحافون حوله:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

وقال سبحانه: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

ثالثاً ـ الموكلون بالأرزاق:

وأسبابها من السحب والأمطار والرياح، وذلك لميكائيل عليه السلام.

رابعاً ـ النفخ في الصور:

وهذا وارد في إسرافيل عليه السلام. قال الله تعالى:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

والصور: قرن ينفخ فيه(١).

خامساً ـ رعاية الجنة وأهلها:

وقد أطلق القرآن الكريم على الملائكة الذين يقومون بهذه الوظيفة اسم (الخزنة) نجد ذلك في قوله تعالى:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وقال الله سبحانه متحدثاً عن هؤلاء الملائكة: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣ـ٢٤].

سادساً ـ القيام بشؤون النار وأهلها:

وقد أطلق القرآن على الملائكة الذين أقامهم الله على هذا الأمر اسم (الزبانية).

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٥ـ١٨].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، المجلد السابع، الصفحة ٤٤٠.

وقد ذكر الله تعالى أن عدتهم تسعة عشر ملكاً نقرأ ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [المدثر: ٢٧-٣١].

ورئيس ملائكة النار وخازنها اسمه (مالك) والدليل على ذلك في قوله تعالى حكاية لما يقول أهل النار وهم مقيمون في العذاب:

﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

سابعاً ـ الموكلون ببني آدم:

وهؤلاء أصناف، ولكل صنف منهم وظائف منها:

١ـ الموكلون بنفخ الأرواح في الأجنة، وكتابة مستقبل أعمالهم وآجالهم وأرزاقهم وسعادتها أو شقائها.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق:

«إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله تعالى الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد»[١].

٢ـ الموكلون بمراقبة أعمال المكلفين وحفظها وإحصائها وتسجيلها

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الثالث، في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، الصفحة ١١٧٤، رقم الحديث ٣٠٣٦.
وأخرجه مسلم في كتاب القدر، الجزء الرابع، باب كيفية خلق الآدمي، الصفحة ٢٠٣٦، رقم الحديث ٢٦٤٣، واللفظ له.

وكتابتها في صحف الأعمال، وعندهم القدرة على علم جميع ما يفعله الناس، من خير أو شر، فيحصونه إحصاءً تاماً ودونما غفلة عن شيء منه أو نسيان لشيء منه.

ولكل إنسان موكلان من الملائكة بمراقبة أعماله وتسجيلها، وهؤلاء الملائكة الملازمون لنا هم معنا، ولكنهم غائبون عن إحساسنا.

قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧ـ١٨].

وقال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الإنفطار: ٩ـ١١].

وفي هذا قال الإمام اللقاني في جوهرة التوحيد:

بكل عبد حافظون وكلوا وكاتبون خيره لن يهملوا
من أمره شيئاً فعل ولو ذهل حتى الأنين في المرض كما نقل(١)

٣ـ المعقبات الحفظة: الذين يحفظون الناس ـ بأمر الله ـ من كل شر خَفِيّ أو ظاهر، ومن أذى كل ذي أذى في خضم هذا الكون المشحون بالمخاطر، فلا يصيب الإنسان شيء منها إلا إذا كان فيه قضاء وقدر من الله تعالى.

قال الله تعالى مشيراً إلى هذا الصنف من الملائكة:
﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].
وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١].

---

(١) الشيخ بكري رجب، هداية المريد إلى جوهرة التوحيد، مرجع سابق، الصفحة ٩٦.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون»(١).

٤ـ أعمال أخرى متفرقة:

أ ـ تنشيط القوى الروحية الكائنة في الإنسان بالهام الحق والخير.

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«إن للشيطان لمة(٢) بابن آدم، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان، فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك، فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد من ذلك شيئاً فليعلم أنه من الله، وليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ:

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٦٨]»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الثالث، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، الصفحة ١١٧٨، رقم الحديث ٣٠٥١.
وأخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب المساجد ومواضع الفلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، الصفحة ٤٣٩، رقم الحديث ٦٤٢.

(٢) اللمة: الخطرة التي تقع في القلب، بوسوسة الشيطان أو الملك (ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني عشر، الصفحة ٣٣٤)

(٣) أخرجه الترمذي، الجزء الثامن، كتاب التفسير باب تفسير سورة البقرة، الصفحة ١٧٤، رقم الحديث ٢٩٩١، وقال حسن غريب.

ب ـ الدعاء للمؤمنين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:

«ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان يدعوان، يقول أحدهما: اللهم أعط ممسكاً تلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط منفقاً خلفاً»[١].

ج ـ تأمينهم مع المصلين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فقولوا: آمين فإن الملائكة يقولون: آمين، وإن الإمام يقول: آمين، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»[٢].

د ـ نزولهم عند قراءة القرآن والاستماع للقراءة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أسيد بن حضير بينما هو في ليلة يقرأ في مربده[٣] إذ جالت فرسه، فقرأ، ثم جالت أخرى، فقرأ، ثم جالت أخرى أيضاً، قال أسيد: فخشيت أن تطأ يحيى[٤] فقمت إليها، فإذا مثل الظلة فوق رأسي، فيها أمثال السُّرُج عرجت في الجو حتى ما أراها.

---

(١) أخرجه مسلم، الجزء الثاني، كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك، الصفحة ٧٠٠، رقم الحديث ١٠١٠.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، الجزء الأول، كتاب الصلاة، باب التأمين وراء الإمام، الصفحة ٢٤٦، رقم الحديث ٩٣٥.

(٣) المربد: وهو الموضع الذي ييبس فيه التمر كالبيدر للحنطة وغيرها. (النووي، شرح صحيح مسلم، المجلد الثالث، الجزء ٦، الصفحة ٨٣).

(٤) يحيى: ابنه الصغير. (القسطلاني، إرشاد الساري، المجلد السابع، الصفحة ٤٦٦).

فقال: فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله بينما أنا البارحة في جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي، فقال رسول الله ﷺ: اقرأ ابن حضير، قال: فقرأت، ثم جالت أيضاً، فقال رسول الله ﷺ: اقرأ ابن حضير، قال: فانصرفت وكان يحيى قريباً منها، خشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها، فقال رسول الله ﷺ: «تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم»(١).

هـ - حضورهم مجالس الذكر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن لله ملائكة يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم، وهو أعلم بهم: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون لا والله يا رب ما رأوك، قال فيقول: كيف لو رأوني؟ قال يقولون: لو رأوك كانوا أشدّ لك عبادة، وأشد لك تمجيداً، وأكثر لك تسبيحاً، قال: فيقول: فما يسألوني؟ قال: يقولون: يسألونك الجنة، قال فيقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها؟ قال فيقول فكيف لو رأوها؟ قال يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة،

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الرابع كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن، الصفحة ١٩١٦، رقم الحديث ٤٧٣٠. وأخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة لقراءة القرآن، الصفحة ٥٤٧، رقم الحديث ٧٩٦، واللفظ له.

قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: يتعوذون من النار، قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال يقولون: لا والله ما رأوها، قال فيقول: فكيف لو رأوها؟ قال يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة، قال: فيقول: أشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[1].

و ـ صلاتهم على المؤمنين وخاصة أهل العلم منهم:

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة حجرها والحوت ليصلون على معلم الناس الخير»[2].

وصلاة الملائكة دعاء واستغفار.

ز ـ تواضعهم لأهل العلم:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«إن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم»[3].

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، الصفحة ٢٣٥٣، رقم الحديث ٦٤٥، واللفظ له، وأخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب الذكر والدعوات، باب فضل الذكر، الصفحة ٢٠٦٩، رقم الحديث ٢٦٨٩.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، الجزء الرابع كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، الصفحة ٣٢٧، رقم الحديث ٢٦٨٦.

(٣) أخرجه أبو داود، الجزء الثالث كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، =

ح ـ حملهم البشريات:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مَدرَجته[١] ملكاً فلما أتى عليه، قال: أين تريد ؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها[٢] ؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل. قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»[٣].

ط ـ إعلانهم عمن يحبه الله وعمن يبغضه:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً، فأبغضه، قال فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، ثم توضع له البغضاء في الأرض»[٤].

= الصفحة ٣١٧، رقم الحديث ٣٦٤١.

وأخرجه ابن ماجه، الجزء الأول في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، الصفحة ٨٠، رقم الحديث ٢٢٣.

(١) مدرجته: طريقه. (النووي، شرح صحيح مسلم، المجلد الثامن، الجزء ١٦، الصفحة ١٢٤).

(٢) تربها: تصلحها. (المرجع نفسه، والصفحة نفسها).

(٣) أخرجه مسلم، الجزء الرابع كتاب الصلة والآداب، باب في فضل الحب في الله، الصفحة ١٩٨٨، رقم الحديث ٢٥٦٧.

(٤) أخرجه مسلم الجزء الرابع كتاب البر والصلة والآداب باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده، الصفحة ٢٠٣٠رقم الحديث ٢٦٣٧.

ك ـ تثبيت المؤمنين:

وذلك بما يلقونه في قلوبهم من التأييد، قال الله تعالى:

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنفال: ١٢].

أو بالمدد الفعلي، قال الله تعالى:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

٥ـ ملائكة الموت: الموكلون بقبض الأرواح.

وقد جاء التعبير عن هذا الصنف من الملائكة في القرآن الكريم بأنهم رسل الله تعالى للقيام بهذه الوظيفة. قال الله تعالى:

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾(١) [الأنعام: ٦١].

كما جاء التعبير عن الموكل بالإماتة في القرآن الكريم أيضاً بأنه ملك الموت. قال الله تعالى:

﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

وقد يكون رئيس هذا الصنف من الملائكة عزرائيل الذي هو من أكابر الملائكة وقد قسم الله ملائكة الموت إلى قسمين(٢): النازعات، والناشطات.

النازعات: الملائكة التي تنزع أرواح الكافرين بشدة وعنف وتعذيب.

---

(١) (لايفرطون: لايتوانون، ولايؤخرون) النسفي في تفسيره المجلد الأول، الجزء الثاني، الصفحة ١٦.

(٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير، الجزء ٣١، الصفحة ٢٧.

الناشطات: الملائكة التي تأخذ أرواح المؤمنين برفق ولين.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾ [النازعات: ١-٢].

والملائكة التي تقبض روح المؤمن يحيونه تحية طيبة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ [النحل: ٣٢].

ويبشرونهم بالجنة، قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

بينما يضربون وجوه الكافرين وأدبارهم، قال تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠].

والملائكة تشيع جنازة المسلم، فقد روي عن ثوبان قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فرأى ركباناً فقال:

«ألا تستحيون، إن ملائكة الله على أقدامهم، وأنتم على ظهور الدواب»(١)

أعداد الملائكة:

الملائكة لا يحصون عدداً في علم المخلوقات، لكثرتهم الكاثرة، ولأنهم من جنود الرحمن: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

---

(١) أخرجه الترمذي، الجزء الثالث، باب ما جاء في كراهية الركوب خلف الجنائز، الصفحة ٣٩٠، رقم الحديث ١٠١٢.

وقد جاء في الحديث النبوي في بيان كثرتهم قول الرسول ﷺ:

«إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت[1] السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً»[2].

ثمار الإيمان بالملائكة[3]:

للإيمان بالملائكة فوائد وثمار كثيرة نذكر منها ما يلي:

١ـ الإيمان بالملائكة يدل على صدق الإيمان لأن الملائكة ليسوا من عالم الشهادة بل هم من عالم الغيب، وقد أوجب الله علينا الإيمان بهم، وجعل الإيمان بالغيب من أبرز صفات المؤمنين

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ١ـ٣].

فإذا آمن الإنسان بهم مع أنه لم يرهم، واعتمد في ذلك على الأخبار الصادقة، دل ذلك على صدق إيمانه وتمامه وصحته.

---

(١) أطت: أي صوتت. د.إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط الجزء الأول، الصفحة ٢٠.

(٢) أخرجه الترمذي عن أبي ذر، الجزء السابع، كتاب الزهد، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «لو تعلمون ما أعلم»، الصفحة ٧٤، رقم الحديث ٢٣١٣.

(٣) انظر د.مصطفى الخن، مبادى العقيدة الإسلامية، مرجع سابق، الصفحة ٣٠٠ وما بعدها.

ود.محمد حافظ الشريد، العقيدة الواضحة، مرجع سابق، الصفحة ٣٧ وما بعدها.

٢ـ تنمية الشعور بالمسؤولية ودوام المراقبة لله سبحانه، لأن الله عز وجل قد وكل بنا الملائكة يحصون علينا أعمالنا صغيرها وكبيرها وهم معنا يطلعون علينا ويسجلون ذلك في سجلات سوف تعرض علينا يوم القيامة ونحاسب عليها، فيدفعنا ذلك لمحاسبة أنفسنا على أعمالنا والازدياد من أعمال الطاعة والخير والبعد عن المعاصي والآثام والتوبة من الذنوب والخطايا، كما يدفعنا إلى مراقبة أنفسنا في جميع تصرفاتنا والحياء من الملائكة التي لا تفارقنا، وبذلك نسارع إلى فعل الطاعات والابتعاد عن المنكرات.

٣ـ تقوية الشعور برحمة الله وعظمته: وذلك لعلمنا أن الله ـجلت حكمتهـ قد وكل بنا من يحافظ علينا، ويصوننا من الأذى، ويستغفر للعصاة منا.

٤ـ زيادة الشكر لله عز وجل وحمده على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، ومنها أعمال الملائكة التي تساعد المؤمن على الازدياد من أعمال الخير.

كلمة الملك التي هي إيعاد بالخير وتصديق بالحق، والدعاء للمؤمنين وتأمينهم مع المصلين، ونزولهم عند قراءة القرآن، وحضورهم مجالس الذكر ورفع حاجاتهم إلى الله عز وجل، وصلاتهم على المؤمنين وحملهم البشريات للمؤمنين.

٥ـ تقوية ثقة المؤمن بنصر الله وتأييده: وذلك عندما يعتقد المؤمن أن هناك ملائكة قد كلفوا بنصره وتأييده، كما حدث ذلك لرسول الله ﷺ في بدر و في حنين، فتقوى عند ذلك ثقة المؤمن بأن الله سينصره ويؤيده بالملائكة، ما دام ينصر دين الله بصدق، ويستقيم على هذا الصراط المستقيم.

٦ـ حمل الإنسان على التشبه بهم، في الإقدام على الطاعات، والابتعاد عن المعاصي: وذلك حينما يعلم أن الملائكة دأبهم طاعة الله وتمجيده، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فيحمله ذلك على التشبه بهم، والسير على نهجهم، فتقوى بذلك معانيه الروحية، ويتدرج في مدارج الكمال.

٧ـ حمل الإنسان على الازدياد من الاستعداد للموت، لتتلقاه الملائكة التي تقبض روحه بالتحية الطيبة، والبشارة بالجنة، وبتشييع جنازته، مما يدل على حسن الخاتمة وحسن المآل.

٨ـ الشعور بالأنس، وذلك عندما يوقن المؤمن في قرارة نفسه، أن الملائكة موجودة في أي مكان يحل به، أو ينفرد فيه، مما يزيل عنه أي وحشة، أو غربة، ويبعد عنه هواجس الخوف والترقب.

* * *

الفصل الثالث

الإيمان بالكتب السماوية

من أركان العقيدة الإسلامية الإيمان بالكتب السماوية التي أوحى الله بها إلى رسله وقد ثبت ذلك من الأدلة التي مرت معنا سابقاً من القرآن الكريم والحديث الشريف[1].

وقد قال الله عز وجل مخاطباً رسوله محمداً ﷺ أمراً له أن يعلن إيمانه بجميع الكتب التي أنزلها الله فيقول:

﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۢ﴾ [الشورى: ١٥]:

وقال تعالى مخاطباً المؤمنين الصادقين:

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

---

(١) انظر الأدلة، في الصفحة ٢٦١.

معنى الكتب:

[الكتب: جمع كتاب، و الكتاب لغة: مصدر كَتَبَ كالكَتْب، وأصل الكتاب: ضم أديم إلى أديم بالخياطة، واستعمل عرفاً في ضم الحروف بعضها إلى بعض.

والكتاب شرعاً: كلام من كلام الله تعالى، فيه هدى ونور، يوحي به الله إلى رسول من رسله ليبلغه للناس.

ويطلق اسم الكتاب شرعاً: على ما يشمل الصحف والألواح، وجميع أنواع الوحي اللفظي أو الكتابي، التي ينزلها الله على أي رسول من رسله ليبلغها إلى الناس، وبأي لغة من اللغات نزلت][1].

معنى الإيمان بكتبه:

[التصديق الجازم واليقين القاطع بأن الله تعالى أنزل على بعض رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كتباً لهداية الخلق، وأن هذه الكتب حق ونور، وشفاء لما في الصدور ولا يعلم عدد هذه الكتب السماوية إلا الله تعالى، ويجب التصديق بها إجمالاً: ما علمنا منها ومالم نعلم، ويجب أن نصدق بكل ما عرفنا به ديننا منها، والذي عرفناه منها: صحف إبراهيم، وصحف موسى، والتوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن][2].

---

(١) انظر الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق الصفحة ٦٣٨ ومابعدها. وابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، الجزء ١٢، الصفحة ٢٣.

(٢) د.محمد حافظ الشريد، العقيدة الواضحة، مرجع سابق، الصفحة ٤٠.

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الشورى: ١٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨ـ١٩].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال أيضاً: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٦].

وقال عز وجل: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

وقال جلّ وعلا: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

الحكمة من إنزال الكتب السماوية؟:

إن الناس وعلى مر العصور والأزمنة بحاجة ماسة إلى كتب الله السماوية وذلك لأمور كثيرة منها[1]:

١ـ ليكون الكتاب الرباني المنزل على الرسول هو المرجع لأمته، مهما تعاقبت العصور.

٢ـ ليكون الكتاب الرباني المنزل على الرسول هو الحكم العدل لأمته، في كل ما يختلفون فيه، مما تتناوله أحكام شريعة الله لهم.

قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

٣ـ وليصون الكتاب الرباني بعد عصر الرسول عقائد الدين وشرائعه

---

(١) انظر عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، مرجع سابق، الصفحة ٤٦٦ وما بعدها.

وغاياته من ضلالات ذوي الأهواء، الذين تسول لهم أنفسهم أن يتلاعبوا بالدين، وينسبوا إليه ما ليس منه، وينحرفوا عن صراط الله المستقيم، إرضاء لشهواتهم وغرائزهم.

٤- وليحفظ الكتاب الرباني لدعوة الرسول ولرسالته تأثيرها وسريانها وقابليتها للاتساع والانتشار، مهما تباعدت الأمكنة أو الأزمنة عن مكان أو زمان نشأة الرسول وصاحب الدعوة، وبخاصة حينما تكون دعوة الرسول دعوة عامة شاملة، كرسالة محمد صلوات الله عليه.

الكتب السماوية المذكورة في القرآن التي يجب أن نؤمن بها:

أرسل الله عز وجل الأنبياء والرسل كلاً إلى قومه، مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب الذي يبين لهم الشرائع ويحكم بينهم بالحق.

قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وهذه الكتب كثيرة نؤمن بها كلها مع عدم معرفتنا بعددها ونؤمن خاصة بما ذكره القرآن الكريم منها وهي:

أولاً: صحف إبراهيم وموسى:

لقد أخبرنا القرآن بأخباره الصريحة عن الصحف الأولى، وذكر منها صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، ولكن هذه الصحف مفقودة فلا يعرف منها شيء إلا بعض حقائق في الدين، أشار القرآن إلى أنها مما تضمنته هذه الصحف.

قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ

يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم: ٣٦ـ٥٤].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٤ـ١٩].

و«عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ما كانت صحف إبراهيم ؟ قال: كانت أمثالاً كلها: أيها الملك المسلط المبتلى المغرور، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردها وإن كانت من كافر.

وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله ـ أن يكون له ساعات:

فساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله عز وجل، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب.

وعلى العاقل ألا يكون ظاعناً إلا لثلاث: تزود لمعاد أو لمعاش أو لذة في غير محَّرم، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه.

ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه.

قلت يا رسول الله: فما كانت صحف موسى عليه السلام ؟

قال: كانت عبراً كلها: عجبت لمن أيقن بالموت، ثم هو يفرح، عجبت لمن أيقن بالنار، ثم هو يضحك، عجبت لمن أيقن بالقدر، ثم هو

يتعب، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها، ثم اطمأن إليها، عجبت لمن أيقن بالحساب، ثم لا يعمل»[1].

ثانياً ـ التوراة:

وهو الكتاب الذي أنزله الله على سيدنا موسى عليه السلام.

قال الله تعالى في التصديق بالتوراة يخاطب محمداً ﷺ:

﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ١ـ٤].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ﴾ [الأنعام: ٩١].

ومن جملة ما تضمنته التوراة: مجموعة من الأحكام والشرائع الربانية، التي شرعها الله لبني إسرائيل، يشهد لذلك قول الله عز وجل:

﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٤٣ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾

[المائدة: ٤٣ ـ٤٥].

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه بترتيب ابن بلبان، الجزء الثاني، كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها، الصفحة ٧٨، رقم الحديث ٣٦١.

ثالثاً ـ الزبور:

وهو الكتاب الرباني الذي أنزله الله على سيدنا داود عليه السلام.

قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

رابعاً ـ الإنجيل:

وهو الكتاب الرباني الذي أنزله الله على سيدنا عيسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

ومن جملة ما تضمنه الإنجيل، بشارة محمد ﷺ وذكر بعض صفاته كما بين ذلك القرآن الكريم:

﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦ـ١٥٧].

ومن جملة ما تضمنه الإنجيل، صفة أصحاب محمد ﷺ يشهد لذلك قوله تعالى في معرض الحديث عن أصحاب محمد رسول الله ﷺ:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ [الفتح: ٢٩].

ومن جملة ما تضمنه الإنجيل، الحث على الجهاد بالنفس والمال يشهد لذلك قوله تعالى:

﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١].

حال الكتب السماوية الموجودة اليوم:

نحن نؤمن بالكتب السماوية التي أنزلها الله على أنبيائه، والتي ذكرت في القرآن الكريم، وذكر فيه بعض ما تحتويه، أما الكتب الموجودة اليوم، والتي تحمل أسماء الكتب السماوية، فهي ليست ما نؤمن به، ذلك أن التحريف قد دخلها، وفي هذا الموضوع يقول الدكتور محمد حافظ شريد: [ما نسب للكتب السماوية ـ التي نزلت قبل القرآن الكريم مما يخالف التوحيد، أو يطعن في عصمة الرسل الكرام، أو يناقض بعضه بعضاً، أو لا يصدقه عاقل ـ فهو من تحريف أصحابها، كما قال تعالى:

﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء: ٤٦].

وما جاء فيها من الأخبار مما لا يصدقه الإسلام ولا يكذبه، فنتوقف

فيه، فلا نصدقه ولا نكذبه، كما أمرنا بذلك رسولنا الكريم ﷺ][1].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم»[2].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه، فغضب وقال: «لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني»[3].

المبادىء التي وردت في الكتب السماوية[4]:

يرجع ما حوته جميع الكتب السماوية إلى أمرين اثنين، أحدهما العقيدة والأخلاق، وثانيهما الأحكام التكليفية العملية والتشريعات المتعلقة بتنظيم الحياة:

---

(١) العقيدة الواضحة، مرجع سابق، الصفحة ٤٢.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الرابع كتاب التفاسير، باب قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا، الصفحة ١٦٣٠، رقم الحديث ٤٢١٥.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، الجزء الخامس، الصفحة ١٩٥، رقم الحديث ١٥١٥٨.

(٤) د. مصطفى الخن وآخرون، العقيدة الإسلامية للصف الثاني الثانوي الشرعي، وزارة الأوقاف، أعيد طبعه في سنة ١٤١٠ ـ ١٩٨٩، الصفحة ١٢.

أولاً ـ العقيدة والأخلاق:

والعقيدة هي مجموعة المبادىء التي يؤمن بها الإنسان ويتخذ منها منطلقاً لجميع تصرفاته وسلوكه وعلاقاته.

والأخلاق هي مجموعة الأصول النفسية والإنسانية التي تتجاوب مع الفطرة السليمة كالعدل وكراهية الظلم والصدق والأمانة وكراهية الكذب والخيانة.

والعقيدة الإلهية الربانية تتلخص في الأمور الستة التي هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء والقدر.

وهذه العقيدة هي في الرسالات السماوية جميعها واحدة لم تتغير ولم تتبدل فهي مشتركة بينها جميعاً وقد عملت جميع الرسالات السماوية على ترسيخها في نفوس البشرية ولا يمكن أن يكون بينها اختلاف أو تناقض، لأن العقيدة من الحقائق الثابتة، هذه العقيدة التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان فما نادى به الله في القرآن من هذه الناحية هو نفسه الذي نادى به في التوراة والإنجيل والكتب السماوية الأخرى.

قال تعالى:

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣].

ولئن رأينا في هذا الجانب العقدي تغايراً واختلافاً في عصر من العصور، فليس مرجع ذلك إلى اختلاف فيما أمر الله به من العقيدة، وإنما مرده إلى ما طرأ على هذه الرسالات من تحريف وتبديل. قال تعالى في شأن اليهود:

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾ [المائدة: ٤١].

وما قلناه في العقيدة يأتي نظيره في الأخلاق، فأصول الأخلاق الفاضلة قد اتفقت الرسالات السماوية على تأييدها والدعوة إليها، قال تعالى:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].

ثانياً ـ الأحكام التكليفية العملية والتشريعات:

لم تقتصر الرسالات السماوية على معالجة جانب واحد من جوانب الحياة، بل جاءت تشريعاتها وأحكامها شاملة لمختلف الجوانب، سواء في ذلك التعبدي والتعاملي والاجتماعي.

غير أن الرسالات السماوية لم تكن كلها في التشريع، على نسق واحد، بل كانت تتنزل على حسب ما تفتقر إليه الأمة ويحتاج إليه المجتمع، مراعية تطور البشرية.

ولما كانت الحاجيات تختلف باختلاف الأمة والزمان والمكان اقتضت حكمته سبحانه أن تكون تشريعاته متناسبة مع الحاجات، متناسقة مع المصالح التي تتطور بتطور الزمن، تضيق حيث تضيق وتتسع حيث تتسع.

ومن هنا نجد أن بعض التشريعات توجد في رسالة بينما لا توجد في رسالة أخرى.

وأخيراً فإن الكتب السماوية السابقة تتفق فيما جاءت به في موضوع العقيدة والأخلاق لأنها ثابتة لا تتغير، وتختلف فيما بينها في الأحكام التكليفية العملية والتشريعات، لأنها تتغير بتغير الزمان والمكان، قال تعالى:

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [الشورى: ١٣].

ثم نسخت الأحكام العملية السابقة بالشريعة الإسلامية، ذات الأحكام النهائية الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان، وأصبحت العقيدة واحدة، والشريعة واحدة للناس جميعاً.

خامساً ـ القرآن الكريم:

وهو الكتاب الرباني الأخير الذي أنزله الله على سيدنا محمد ﷺ وقد ذكرت في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على عظمة هذا القرآن الكريم ومكانته الرفيعة.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ [الواقعة: ٧٧].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴾ [الدهر: ٢٣].

وقال: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴾ [البروج: ٢١].

وقال: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢].

وقال: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ ﴾ [الأنعام: ١٩].

وقال: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس: ٣٧].

وقال: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١].

وقال: ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ١-٢].

وقال: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ١].

وللقرآن الكريم مزايا كثيرة تميز بها عن الكتب السماوية التي تقدمته منها[1]:

١ـ أنه يتضمن خلاصة التعاليم الإلهية التي تضمنتها الكتب السماوية السابقة، وأنه مؤيد للحق الذي جاء بها: من عبادة الله وحده والإيمان برسله والتصديق بالجزاء، ووجوب إقامة الحق والتخلق بمكارم الأخلاق.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

٢ـ أن تعاليمه هي كلمة الله الأخيرة لهداية البشر أراد الله لها أن تبقى على الدهر، وتخلد على الزمن، فصانها من أن تمتد إليها يد بالتحريف أو التصحيف، أو التغيير، أو التبديل.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١ـ٤٢].

وقال أيضاً: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

والغاية من ذلك أن تبقى حجة الله على الناس قائمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) السيد سابق، العقائد الإسلامية، مرجع سابق، الصفحة ١٦٣ وما بعدها.
وانظر د.مصطفى الخن وآخرون، العقيدة الإسلامية للصف الثاني الثانوي الشرعي، الصفحة ٤١ وما بعدها.

٣ـ وأنه الذي أراد الله له الخلود، فلا يمكن أن يأتي يوم يصل فيه العلم إلى حقيقة ما تتعارض مع أي حقيقة من حقائقه، فالقرآن كلام الله، والكون عمل الله، وكلام الله وعمله لا يتناقضان أبداً، بل يصدق أحدهما الآخر، ومن ثم فقد جاءت الحقائق العلمية مصدقة لما سبق به الكتاب تحقيقاً لقوله سبحانه:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣].

٤ـ أن الله يسره للذكر، ويسر له الحفظ والتعليم والفهم لتذاع كلماته، وتصل إلى العقول والأسماع، وتتحول إلى واقع عملي، ولهذا جاء القرآن سهلاً ليس فيه ما يشق على الناس فهمه أو يصعب عليهم العمل به. قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧].

ومن تيسيره أن حفظه الرجال والنساء، والصغار والكبار، والأغنياء والفقراء، ويرددونه في البيوت والمساجد، ولا تزال أصوات القراء تدوي به في كل ناحية، ولا نعلم أن كتاباً من الكتب السماوية الأخرى غير القرآن، قد نال من هذه الميزة بعض ما اختص به القرآن الكريم.

٥ـ إعجازه الذي امتاز به عن سائر الكتب السماوية الأخرى السابقة، فقد تحدى القرآن العرب، وهم الذين كانوا في ذروة مجدهم فصاحة وبلاغة ومعرفة بفنون القول وأساليب الكلام تحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن، قال تعالى:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾

[الطور: ٣٣ـ٣٤].

فلما عجزوا أن يأتوا بمثله مد لهم في الحبل، وطلب منهم أن يأتوا بعشر سور مثله وليستعينوا في ذلك بمن يريدون فقال:

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣-١٤].

فلما عجزوا وانقطعوا أيضاً تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فقال تعالى:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤].

ولقد أيأسهم الله من نجاحهم في معارضة القرآن ـ وهو أعلم بما أنزل ـ فقال تعالى:

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٨-٨٩].

وإعجاز القرآن قائم إلى يوم القيامة، ومع تقدم العلم والفكر والاختراع وتقارب الأمم بعضها من بعض، لم نجد كتاباً حوى ما يحويه القرآن، بل إننا لنسمع من جهات مختلفة عبارات التقدير والتقريظ والعجز عن الإتيان بمثله.

وجوه إعجاز القرآن[1]:

وإذا ما ذهبنا نتدبر وجوه إعجاز القرآن وجدنا أن أبرزها هو النقاط التالية:

١ـ فصاحة ألفاظه وبلاغة عباراته وروعة بيانه.

٢ـ نظمه البديع، فهو ليس بشعر ولا نثر ولا سجع.

٣ـ إخباره عن المغيبات ووقوعها كما أخبر.

٤ـ الوفاء بكل ما وعد الله به فيه.

٥ـ سمو تشريعه ومعالجته لجميع قضايا الحياة.

٦ـ اتساق قوانينه وأحكامه وعدم تعارضها، قال تعالى:
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

٧ـ الإعجاز العلمي الذي يدل على أن القرآن معجزة خالدة ففي كل عصر نجد فيه ما يبرهن على إعجازه وأنه من عند خالق البشر والمحيط بكل شيء، قال تعالى:
﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

٨ـ وفاؤه بحاجات البشر ومعالجته جميع نواحي الحياة وهي:

(العقائد ـ العبادات ـ التشريع والأحكام ـ الأخلاق).

---

(١) انظر د.محمد سعيد رمضان البوطي، أحسن الحديث، منشورات الكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٨م، الصفحة ١١٩ وما بعدها.

وذلك وفق المنهج الرباني العظيم الذي يسعد في الدنيا والآخرة.

٦ـ أنه سبيل النجاة للإنسان في كل زمان ومكان.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء: ٩ـ١٠].

عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«ألا إنها ستكون فتنة، قلت يا رسول الله وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله: فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، فهو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: (إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به) من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم»[1].

واجبات الناشىء تجاه القرآن الكريم:

القرآن الكريم كتاب الله الخالد، وكلامه القديم، ومعجزة نبيه الكبرى، وجامعة الإسلام العظمى، وصفه الذي أنزله بالعلم فقال:

---

(١) أخرجه الترمذي، الجزء الثامن، كتاب ثواب القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن، الصفحة ١١٢، رقم الحديث ٢٩٠٨، وقال أبو عيسى: هذا لا نعرفه إلا من هذا الوجه، إسناده مجهول، وفي الحارث مقال.

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾

[النساء: ١٦٦].

وبالحكمة فقال: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس: ١-٢].

وبالكرم فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧].

وبالمجد فقال: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق: ١].

وبالعزة فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١].

وبالعظمة فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾

[الحجر: ٨٧].

وبالبركة فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ [ص: ٢٩].

وبالتذكير فقال: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص: ١].

وبالوضوح والتبيين فقال: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾

[الدخان: ١-٢].

مما تقدم، نجد أن القرآن الكريم أهم غذاء عقدي للناشىء، فإن قرأ الناشىء القرآن الكريم وحفظ آياته وفهم معانيه وطبق ما دعا إليه، نشأ نشأة إيمانية قوية ثابتة لا يتأثر بمؤثر ولا يتغير بمتغير صامداً بإيمانه كالفولاذ، قوياً به كالصخر.

قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢].

لذلك يجب على الناشىء أن يهتم بالقرآن، وأن يقوم بأداء الواجبات نحوه خير قيام، وأهم تلك الواجبات ما يلي:

١ - أن تعلم أن القرآن الكريم هو كتاب الله، الذي أنزله على محمد ﷺ رحمة للعالمين وهداية للناس أجمعين، قال تعالى:

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

وقد جمع الله فيه من أصول الخير ومناهج الهدى ما يصلح الحياة، ويرسي في الأرض دعائم الطمأنينة والسلام قال تعالى:

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

لذلك يجب عليك أيها الناشىء التمسك به، والرجوع إليه ليخرجك من الظلمات إلى النور، ويهديك للتي هي أقوم.

٢ـ أن تعلم أن القرآن دستور الإسلام وأساسه الأول، الذي يجمع أحكامه ويبين عقائده ويحدد شريعته، ويوجه إلى آدابه وفضائله لذلك يجب عليك أيها الناشىء أن تتعلمه للتعرف على كل ذلك وتعمل بمقتضى ذلك لتكون مسلماً حقاً، فتحقق رضاء الله عز وجل، وتنال السعادة في الدنيا والآخرة.

٣ـ أن تعلم أن القرآن الكريم هو علاج حقيقي لأمراض الفرد ومشكلاته، واستجابة صادقة لنوازعه وحاجاته الأصلية، فلا يعلم حقيقة الإنسان ولا يرسم طريقه المستقيم إلا من خلقه وهداه. قال تعالى:

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

لذلك يجب عليك أيها الناشىء الرجوع إليه عند حاجياتك وأمراضك ومشكلاتك، لتجد فيه العلاج والشفاء والدواء الناجع.

٤ـ أن تعلم أن تلاوة القرآن الكريم، وتدبر معانيه، عبادة تقرب الإنسان من ربه، وتجارة لن تبور، وثواب لا ينقطع، تنور القلب وتنعش الفؤاد، وتبيض الوجه في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٩ـ٣٠].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[١].

واتل القرآن ولو كنت تتعتع فيه، لأن أجرك حينئذ يكون أعظم.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه، وهو عليه شاق له أجران»[٢].

واستمع إلى تلاوة القرآن من غيرك فلك بها أجر وفوائده كثيرة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال:

«من استمع إلى آية من كتاب الله، كتبت له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة»[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي، الجزء الثامن كتاب ثواب القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن، الصفحة ١١٥، رقم الحديث ٢٩١٢

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الرابع كتاب التفسير، باب تفسير سورة عبس، الصفحة ١٨٨٢، رقم الحديث ٤٦٥٣.
وأخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب فضائل القرآن ومايتعلق به، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتعتع فيه، الصفحة ٥٥٠، رقم الحديث ٧٩٨، واللفظ له.

(٣) أخرجه أحمد عن عبادة بن ميسرة، الجزء الثالث، الصفحة ٢٤٥، رقم الحديث ٨٥٠٢.

لذلك يجب عليك أيها الناشىء أن تتلوه آناء الليل وأطراف النهار لتتحقق لك فوائد تلاوته الكثيرة وتنال الثواب الجزيل.

٥ـ أن تعلم أن حفظ القرآن الكريم واستمرار ترديده لتثبيت الحفظ، يحقق لك دوام القرب من الله فتحل حلاله وتحرم حرامه، وتدخل به الجنة وتشفع في أهل بيتك.

قال رسول الله ﷺ:

«من قرأ القرآن واستظهره، فأحل حلاله، وحرم حرامه، أدخله الجنة، وشفعه في عشرة من أهل بيته، كلهم وجبت لهم النار»[١].

أما الذي لا يحفظ من القرآن شيء فهو كالبيت الخرب كما بين ذلك رسول الله ﷺ.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»[٢].

ونسيان القرآن إثم عظيم، لا ينبغي أن يقع فيه الناشىء وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ فيما رواه أنس بن مالك عنه: «عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن، أو آية أوتيها رجل، ثم نسيها»[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي عن علي بن أبي طالب، الجزء الثامن، كتاب ثواب القرآن باب ما جاء في فضل قارى القرآن، الصفحة ١١٢، رقم الحديث ٢٩٠٧، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وليس إسناده بصحيح.

(٢) أخرجه الترمذي، الجزء الثامن، كتاب ثواب القرآن، باب الذي ليس في جوفه قرآن كالبيت الخرب، الصفحة ١١٧، رقم الحديث ٢٩١٤، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي، الجزء الثامن، كتاب ثواب القرآن، باب لم أر ذنباً أعظم،=

لذلك يجب عليك أيها الناشىء أن تسعى إلى من يحفظك القرآن الكريم فتحفظه بالتدرج حتى تتم حفظه وتعمل على الاستمرار في تلاوته واسترجاعه ليتمكن الحفظ من قلبك فلا تنساه أبداً وحتى تكتب عند الله من حفاظ القرآن فتنال شرفه وكرامته وعزته ونصره.

٦ـ أن تعلم أن صاحب القرآن الكريم الذي يتلوه ويحفظه ويتفهمه ويتعلمه ويطبقه تفوح منه رائحة الإيمان، وتنضح آداب القرآن في قوله وفعله، وتبدو ثمرات القرآن في نهجه وسلوكه.

عن أنس رضي الله عنه عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ:

«مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة[(١)] ريحها طيب، وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لايقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب، وطعمها مرّ، مثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح، وطعمها مرّ»[(٢)].

= الصفحة ١١٨، رقم الحديث ٢٩١٧.
وأخرجه أبو داود، الجزء الأول، كتاب الصلاة، باب في كنس المسجد، الصفحة ١٢٦، رقم الحديث ٤٦١.

(١) الأترجة: الفاكهة التي تجمع طيب الطعم والريح: كالتفاحة (المنذري الترغيب والترهيب، الجزء الثاني، حاشية الصفحة ٣٤٦).

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الرابع، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام، الصفحة ١٩١٧، رقم الحديث ٤٧٣٢.
وأخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب فضائل القرآن ومايتعلق به، باب فضيلة حافظ القرآن، الصفحة ٥٤٩، رقم الحديث ٧٩٧، واللفظ له.

لذلك يجب عليك أيها الناشيء أن تحافظ على تلاوة القرآن لتحظى بطيب الظاهر والباطن.

٧ـ أن تعلم أن خير الناس من يتعلم القرآن ويعلمه.

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»(١).

وأن الاجتماع مع العلماء والمتعلمين في المساجد لتلاوته ودراسته لها فوائد كثيرة ذكرها رسول الله ﷺ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»(٢).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«يا أبا ذر لأن تغدو فَتَتَعلَّم أية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة»(٣).

لذلك يجب عليك أيها الناشيء أن تجالس الحفاظ والعلماء لتتعلم

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الرابع، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، الصفحة ١٩١٩، رقم الحديث ٤٧٣٩.

(٢) أخرجه أبو داود، الجزء الثاني، كتاب الصلاة، باب في ثواب قراءة القرآن، الصفحة ٧١، رقم الحديث ١٤٥٥.

(٣) أخرجه ابن ماجه، الجزء الأول، كتاب المقدمة، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه، الصفحة ٧٩، رقم الحديث ٢١٩.

منهم القرآن ومعانيه ومقاصده وعلومه لتقوم بعد ذلك معلماً داعياً إلى الله وكتابه المنير.

٨ـ أن تعلم أن اشتغالك بالقرآن وتلاوته وحفظه وتعلمه وتعليمه لا يضيع عليك شيء من أمور الدنيا ومطالبها لأن الله عز وجل يتكفل بك لأنك آثرت الله عز وجل وقرآنه.

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»(١).

لذلك يجب عليك أيها الناشىء أن تشتغل بالقرآن وتلاوته وحفظه وتعلمه وتعليمه، وأن لا تخاف أن يضيع عليك شيء فإن الله عز وجل يراك في إقبالك عليه وحاشى أن يضيعك وسوف يعطيك من الخير أكثر وأعظم وأفضل ممل أعطى من سأله ذلك فهم مشغولون بالمسألة وأنت مشغول برضاء الله وكتابه فهل يعطي من سأله وينسى من اشتغل برضاه وهو العالم القادر المالك الكريم الباسط المعطي، وله الأسماء الحسنى.

٩ـ أن تعلم أن ثواب القرآن الكريم وفوائده العظمى ليست في الدنيا فحسب بل الثواب أعظم وأكبر يوم القيامة من ذلك:

١ـ يشفع لك يوم القيامة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) أخرجه الترمذي، الجزء الثامن، كتاب ثواب القرآن، باب من شغله القرآن أعطي أفضل العطايا، الصفحة ١٢٥، رقم الحديث ٢٩٢٧، وقال هذا حديث حسن غريب.

«اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»(١).

٢ـ يجعلك تلبس تاج الكرامة وحلتها ويرضى الله عنك وترتفع منزلتك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال:

«يَجيءُ صاحبُ القرآن يومَ القيامَة، فيقول القُرآنُ: يا رب حَلِّه، فَيُلْبَسُ تَاجَ الكَرَامة، ثم يقول: يا ربِّ زده فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الكرامة، ثم يقول: يا ربِّ ارْضَ عنه فَيَرضَى عنه، فَيُقَالُ: اقْرَأْ وَارْقَ، وَيَزْدَادُ بكل آيَةٍ حَسَنَةً»(٢).

٣ـ يكون سبباً في عزة والديك فيلبس كل منهما تاجاً من نور ويكسى حلة لا نظير لجمالها، عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من قرأ القرآن، وتعلم وعمل به، أُلْبِسَ وَالدَاهُ يومَ القيامَة تاجاً من نور ضوؤه مثل نور الشمس، وَيُكسى والدَاهُ حُلَّتَيْنِ لا يَقُومُ لَهُما الدُّنيا، فيقولان بِمَ كُسِينَا هذا؟ فيقال: بأخذِ وَلَدِكُما القُرآن»(٣).

لذلك يجب عليك أن تجتهد في تلاوة وحفظ القرآن الكريم وتعلمه وتعليمه لتنال ذلك الثواب العظيم يوم القيامة، قال تعالى:

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨ـ٨٩].

---

(١) أخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب فضائل القرآن ومايتعلق به، باب فضل قراءة القرآن، الصفحة ٥٥٣، رقم الحديث ٨٠٤.

(٢) أخرجه الترمذي، الجزء الثامن، كتاب ثواب القرآن، باب (الذي ليس في جوفه قرآن كالبيت الخرب)، الصفحة ١١٧، رقم الحديث ٢٩١٦، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه، الجزء الأول، كتاب فضائل القرآن، الصفحة ٥٦٨.

١٠ـ أن تعلم أن لتلاوة القرآن، وحفظه ودراسته وتدارسه آداباً كثيرة منها:

١ـ إخلاص النية لله تعالى، قال تعالى:
﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وعن ابن عمران رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من قرأ القرآن فليسأل الله به، فإنه سيجيء أقوام يقرؤون القرآن يسألون به الناس»(١).

٢ـ الطهارة من الحدثين، قال تعالى:
﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٧ـ٨٠].

٣ـ تنظيف الفم بالسواك أو غيره لأنه مجرى كلام الله تبارك وتعالى:

عن علي رضي الله عنه مرفوعاً: [إن أفواهكم طرق للقرآن، فطيبوها بالسواك](٢).

٤ـ استقبال القبلة إذ يستحب للقارىء أن يجلس مستقبلاً القبلة إذا تمكن من ذلك لأنه ورد:

«إن لكل شيء شرفاً، وإن أشرف المجالس ما استقبل به القبلة»(٣).

٥ـ التعوذ قبل البدء بالتلاوة.

---

(١) أخرجه الترمذي، الجزء الثامن، كتاب ثواب القرآن، باب اسألوا الله بالقرآن الصفحة ١١٩، رقم الحديث ٢٩١٨، وقال هذا حديث حسن.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية، الجزء الرابع، في آثار سعد بن جبير في التفسير، الصفحة ٢٩٦.

(٣) العجلوني، كشف الخفاء، الجزء الأول، الصفحة ١٦٩، رقم الحديث ٥٠٥، وقال أخرجه الحاكم وقال أنه صحيح.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾

[النحل: ٩٨].

٦ـ المداومة على قراءة القرآن، بالتزام ورد يومي وإن قل، وتجنب هجران القرآن ونسيان تلاوته.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾

[الفرقان: ٣٠].

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«تعاهدوا هذا القرآن، فو الذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عُقُلِهَا»[(١)].

٧ـ تحسين الصوت وتزيينه عند التلاوة، والتغني بالقرآن ليكون أشد وقعاً وأكبر تأثيراً في القلوب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به»[(٢)].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الرابع، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده، الصفحة ١٩٢١، رقم الحديث ٤٧٤٦. وأخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب فضائل القرآن ومايتعلق به، باب الأمر بتعهد القرآن، الصفحة ٥٤٥، رقم الحديث ٧٩١، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الرابع، كتاب فضائل القرآن، باب من لم يتغن القرآن، الصفحة ١٩١٨، رقم الحديث ٤٧٣٥.

وأخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب فضائل القرآن ومايتعلق به، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، الصفحة ٥٤٥، رقم الحديث ٧٩٢، واللفظ له.

«زينوا القرآن بأصواتكم»(١).

وعن أبي لبابة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن»(٢).

٨ـ قراءة القرآن حسب قواعد التجويد.

قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

وهذا يستوجب عليك تعلم قواعد التجويد وأحكامه من العلماء المختصين وتطبيق التلاوة والحفظ ضمن ذلك.

٩ـ تدبر آياته عند قراءته مع الخشوع والبكاء.

قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

وقال سبحانه: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾ [مريم: ٥٨].

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: **«اقرأ عليَّ»** قلت: أقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال: **«فإني أحب أن أسمعه من غيري»**. فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة

---

(١) أخرجه أبو داود، الجزء الثاني، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القرآن، الصفحة ٧٤، رقم الحديث ١٤٦٨.

(٢) أخرجه أبو داود، الجزء الثاني، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة، الصفحة ٧٤، رقم الحديث ١٤٧١.

بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ قال: «أمسك» فإذا عيناه تذرفان[١].

وعن سعد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنوا به، فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا»[٢].

١٠ـ التأدب بآداب الحفظة. قال الفضيل بن عياض: [حامل القرآن حامل راية الإسلام، فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيماً لحق القرآن][٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

«من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه، غير أنه لا يوحى إليه، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد، ولا يجهل مع من جهل، وفي جوفه كلام الله تعالى»[٤].

لذلك يجب عليك أيها الناشىء أن تحافظ على هذه الآداب أثناء تلاوتك وحفظك وتعلمك وتعليمك كتاب الله عز وجل لتكون أهلاً لذلك الشرف العظيم والمكانة الرفيعة.

وأخيراً وفي ختام بحث الإيمان بالكتب السماوية سنتحدث عن:

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الرابع، كتاب التفاسير، باب فكيف إذا جئنا (الآية)، الصفحة ١٦٧٣، رقم الحديث ٤٣٠٦.

(٢) أخرجه ابن ماجه، الجزء الأول، كتاب إقامة الصلاة، باب في حسن الصوت بالقرآن، الصفحة ٤٢٤، رقم الحديث ١٣٣٧.

(٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء الأول، الصفحة ٢٧٤.

(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه، الجزء الأول، كتاب فضائل القرآن، باب أخبار من فضائل القرآن، الصفحة ٥٥٢.

ثمار الإيمان بالكتب السماوية:

للإيمان بالكتب السماوية ثمار كثيرة نذكر منها ما يلي:

١ـ أنه يزيد من معرفة المؤمن بكتب الله التي أنزلها على عباده وما كان فيها من عقائد وشرائع، وذلك من خلال ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة في ذلك.

٢ـ أنه يبين للمؤمن أن جميع العقائد التي دعت إليها هذه الكتب واحدة ولكن الشرائع مختلفة بحسب الزمان والمكان.

٣ـ أنه يجعل المؤمن يعتقد أن القرآن الكريم هو الحجة الباقية، وهو كتاب الله الخالد الذي لم يلحقه تحريف، ولم يلصق به باطل، وذلك من خلال وجوه إعجازه المتعددة وحفظ الله له إلى آخر الزمان. قال تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

٤ـ أنه يزيد من إيمان المؤمن بأن القرآن هو آخر كتاب من السماء نزل مصدقاً لحقائق الكتب قبله ومبطلاً للأكاذيب التي أشاعها المفترون، مبيناً للحقيقة التي ضلت عنها البشرية في كثير من العصور. قال تعالى:

﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

٥ـ أنه يبين أن القرآن لم ينقل من الكتب السابقة شيئاً، كما يدعي المفترون، ولكنه يصدق ما فيها من حق، ويهدم ما ألصق بها من باطل، فهو المرجع الصحيح الذي تؤخذ منه الحقائق، وننفي به الأباطيل كما يقول الله سبحانه:

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٨].

٦ـ أنه يزيد المؤمن تمسكاً بالقرآن الكريم لأنه آخر كتاب من الله إلى عباده وهو الناسخ لما قبله وفيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، فيحافظ المؤمن على تلاوته وحفظه وتعلمه والعمل بمقتضاه والدعوة إليه لينال السعادة والفوز في الدنيا والآخرة.

* * *

الفصل الرابع

الإيمان بالرسل

(عليهم الصلاة والسلام)

من أركان العقيدة الإسلامية الإيمان بالرسل، وقد ثبت لنا وجوب ذلك من الأدلة التي مرت معنا سابقاً من القرآن الكريم والحديث الشريف[1].

معنى الإيمان بالرسل:

[التصديق الجازم واليقين القاطع أن الله عز وجل أرسل رسلاً رحمة منه وفضلاً، مبشرين للمحسن بالثواب، ومنذرين للمسيء بالعقاب، ومبينين للناس ما يحتاجون إليه من مصالح الدين والدنيا، قال الله تعالى: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقد أيدهم الله بآيات ظاهرة ومعجزات باهرة، أولهم آدم وآخرهم نبينا

(١) انظر الأدلة في الصفحة ٢٦١.

محمد عليهم الصلاة والسلام][1].

ويجب على المؤمن أن يؤمن بجميع رسل الله دون تفريق بينهم.

قال الله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وإذا آمن الإنسان ببعض الرسل ولم يؤمن ببعضها الآخر، وفرق بينهم في الإيمان بهم، فهو كافر. قال سبحانه:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا (١٥١) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥٢].

الفرق بين الأنبياء والرسل[2]:

النبي: إنسان أوحى الله إليه بشرع يعمل به، وإن لم يؤمر بتبليغه.

الرسول: إنسان أوحى الله إليه بشرع يعمل به وأمر بتبليغه.

فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول، ونحن نؤمن بكل الأنبياء والرسل.

---

(١) انظر الشيخ طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، مرجع سابق، الصفحة ٣٩.

(٢) انظر الباجوري، شرح جوهرة التوحيد، مرجع سابق، الصفحة ١٧.

الحكمة من إرسال الرسل[1]:

أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل إلى الناس على مر العصور والأيام لحاجة الإنسان إلى الرسل ومن صور هذه الحاجة:

أولاً - الهداية إلى معرفة الخالق جل جلاله:

يستدل الإنسان بفطرته على وجود خالق، ولكن عندما يتخبط الإنسان في الضلال لابد له من مرشد يرشده، ويأخذ بيده إلى معرفة خالقه، لذلك أرسل الله الرسل لتعريف الناس بربهم وخالقهم، ولدعوتهم إلى عبادة الله وحده والكفر بما يعبد من دونه، قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[2] [النحل: ٣٦].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ثانياً - إطلاع الإنسان على المغيبات التي تتعلق به:

كوجود الملائكة والجن، والبعث والحساب، والجنة والنار والصراط والميزان.

---

(١) انظر د. مصطفى الخن، مبادى العقيدة الإسلامية، مرجع سابق، الصفحة ١٩٨.

وعبد المجيد الزنداني وآخرين، الإيمان، مرجع سابق، الصفحة ١٣٦.

(٢) الطاغوت: عبارة عن كل متعد، وكل معبود من دون الله. (الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، الصفحة ٤٥٤).

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

ثالثاً ـ إيجاد منهج صالح يكفل للإنسان السعادة:

فالإنسان لا يصلح لوضع التشريع الدائم الذي يصلح لكافة البشر وفي جميع أمورهم ومصالحهم، ولما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، والتشريع الدائم يجب أن يصدر عن الله تعالى العليم بعباده، وما فيه صلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ ﴾ [الحديد: ٢٥].

رابعاً ـ إعلام الإنسان بأنه مكلف ومسؤول ومختبر حتى لا تكون له حجة:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ ﴾ [الملك: ٢].

وقال سبحانه: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقال جل جلاله: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

خامساً ـ تبشير المؤمنين بما أعد لهم من نعيم مقيم جزاء طاعتهم، وإنذار الكافرين بعواقب كفرهم وإسقاط كل عذر للناس، وإقامة الحجة عليهم من ربهم.

قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥].

سادساً ـ حاجة الناس إلى قدوة حسنة:

لذلك أرسل الله الرسل لإعطاء الأسوة الحسنة للناس في السلوك القويم، والأخلاق الفاضلة، والعبادة الصحيحة، والاستقامة على هدى الله، وقد قال الله تعالى في حق الرسل:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال في حق محمد ﷺ:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ولذلك كان لسان كل رسول هو لسان قومه ليفهم قومه ما يريد، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ ﴾ [إبراهيم: ٤].

سابعاً ـ إنقاذ البشر من الاختلاف في أصول حياتهم وهدايتهم إلى الحق، الذي يريده خالقهم ورحمة بهم.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل: ٦٤].

ثامناً ـ تزكية النفس الإنسانية وتطهيرها وغرس الخير فيها، وتوضيح الأعمال الصالحة المقربة من الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢].

من هو الرسول:

١ـ الرسول بشر، من لحم وعظم وأعصاب ودم، قال الله تعالى مخاطباً الرسول محمداً ﷺ:

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال سبحانه: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ١١].

٢ـ الرسول ذكر لا أنثى، وذلك ليتحمل مهمة الرسالة الشاقة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم ﴾ [يوسف: ١٠٩].

٣ـ الرسول يأكل ويشرب ويمشي في الأسواق، قال تعالى:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان: ٢٠].

٤ـ الرسول يتزوج ويولد له كغيره من البشر، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد: ٣٩].

٥ـ الرسول يتعرض لما يتعرض له غيره من البشر من الصحة والمرض والقوة والضعف واللذة والألم والحياة والموت. قال تعالى:

﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ (٨٣) فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣ـ٨٤].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴾

[آل عمران: ١٤٤].

٦ـ الرسول لا يتصرف في الكون، ولا يملك نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولا يؤثر في إرادة الله، ولا يعلم من الغيب إلا القدر الذي أراده الله له. قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

صفات الرسل الخاصة[1]:

قلنا إن الرسل يحملون صفات البشر، ولكن طبيعة المهمة التي أوكلها الله إليهم اقتضت اتصافهم بصفات خاصة تمكنهم من النهوض بأعباء هذه الرسالة.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وأهم هذه الصفات الخاصة التي يجب أن تتوفر فيهم:

أولاً ـ الصدق:

وهو الإخبار عن الشيء على ما هو عليه، وهو مطابقة الكلام للواقع فيستحيل على الرسول أن يكذب، والرسل صادقون فيما أخبروا به عن الله، لأن الله سبحانه أيدهم بالمعجزات التي تدلّ على صدقهم، والله تعالى لا يؤيد الكذاب، ولا ينصره.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٤ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٠٤ـ١٠٥].

ثانياً ـ الأمانة (أي العصمة):

والعصمة ملكة نفسانية، تمنع صاحبها الفجور فتكون الأمانة هي حفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بالمنهي عنه، فهم محفوظون ظاهراً

---

(١) انظر الباجوري في شرح جوهرة التوحيد، مرجع سابق، الصفحة ٢٧٤ وما بعدها.

من الزنا وشرب الخمر وغير ذلك من منهيات الظاهر، ومحفوظون باطناً من الحسد والكبر والرياء وغير ذلك من منهيات الباطن، قال سبحانه في صفة إبراهيم وإسحاق ويعقوب:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٧].

وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ﴾ [آل عمران: ١٦١].

والغل: الخيانة(١)، فالأنبياء عليهم السلام معصومون من ذلك.

ثالثاً ـ الفطانة:

وهي التفطن والتيقظ والذكاء وقوة الحجة، لإلزام الخصوم، وإبطال دعاويهم، ودحض حججهم، قال تعالى:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ﴾

[الأنعام: ٨٣].

وقال سبحانه: ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [هود: ٣٢].

وقال تعالى آمراً رسوله محمداً ﷺ بأن يجادل الكافرين ويقيم عليهم الحجة والبرهان:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

---

(١) الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، الصفحة ٥٤٤.

رابعاً ـ التبليغ:

وهو إعلام الناس وإخبارهم بما أمروا بإبلاغهم إياه، وعدم كتمان شيء منه، لأن مهمة الرسول إبلاغ الناس ما أنزل إليهم من عند الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥].

وقال سبحانه: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾

[المائدة: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٨ـ٣٩].

خامساً ـ السلامة من الأمراض المنفرة والطباع المخلة التي تجعل الناس ينفرون منهم:

لأن الرسل وإن كانوا يبتلون بالمرض والألم، إلا أن ذلك لا يؤثر بمظهرهم، فهم على غاية من الجمال والجلال والبهاء، حتى ولو كانوا في حالة المرض، وذلك لأن مهمة الرسل مخالطة الناس والاجتماع معهم، لهدايتهم سبيل الرشاد، ولقيادتهم إلى ما فيه الخير والسداد، ولتبليغهم أوامر ربهم فكان لابد من هذه الصفة، التي تساعد الرسول على أداء مهمته على أكمل وجه.

عدد الرسل:

عدد الرسل كبير لا يعلمه إلا الله تعالى، لأنه ما من أمة من الأمم السابقة منذ عهد آدم إلى زمن محمد ﷺ إلا وقد بعث الله تعالى فيها رسولاً، قال تعالى:

﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤].

وقال سبحانه: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧].

وكان أولهم آدم عليه السلام، وآخرهم محمد ﷺ، ولم يذكر القرآن الكريم جميع الرسل، قال تعالى:

﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر: ٧٨].

بل ذكر منهم خمسة وعشرين رسولاً وهم:

(آدم ـ إدريس ـ نوح ـ هود ـ صالح ـ إبراهيم ـ لوط ـ إسماعيل ـ إسحاق ـ يعقوب ـ يوسف ـ أيوب ـ ذو الكفل ـ شعيب ـ موسى ـ هارون ـ إلياس ـ اليسع ـ داود ـ سليمان ـ يونس ـ زكريا ـ يحيى ـ عيسى ـ محمد ﷺ)(١) صلوات الله عليهم أجمعين.

نؤمن بجميعهم تفصيلاً فيما فصل الله، وإجمالاً فيما أجمل.

أولو العزم من الرسل:

وإذا كنا نؤمن برسل الله جميعاً إيماناً واحداً متساوياً دون تفريق، فإننا نؤمن أيضاً بأن بعض الرسل أفضل من بعض، لأن المصاعب التي

---

(١) عفيف عبد الفتاح طيارة، مع الأنبياء في القرآن الكريم، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية عشرة ١٩٨٣ م، الصفحة ١٧.

اعترضتهم ليست واحدة، ووقوفهم في وجه هذه المصاعب ليس واحداً ولذلك فإن فضلهم يواكب الجهود التي بذلوها لنشر دين الله،

قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فالذين بلغوا القمة منهم في ذلك خمسة وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم ويسمون: بأولي العزم من الرسل، وقد نوه الله تعالى عنهم بقوله:

﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

أولو العزم: أولو الجد والثبات والصبر(١).

وقد نص الله تعالى على أسمائهم من بين الرسل في آيتين:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

وقال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾

[الشورى: ١٣].

الوحي والمعجزة: في بحث الإيمان بالرسل لا بد من البحث في موضوعين يرتبطان به وهما الوحي والمعجزة.

أولاً ـ الوحي:

الوحي لغة: [الإعلام الخفي السريع، مهما اختلفت أسباب هذا الإعلام مثل الإيحاء والإشارة السريعة، والكلام الخفي والكتابة، وإلقاء

(١) النسفي، تفسير النسفي، المجلد الثاني، الجزء الرابع، الصفحة ١٤٨.

المعنى في النفس، والإلهام سواء كان بدافع الغريزة أو بإشراقات الفطرة، و الرؤيا الصالحة الجليلة][1].

ومن استعمالات الوحي في المعنى اللغوي:

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨].

وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

الوحي شرعاً: [هو إعلام الله رسولاً من رسله، أو نبياً من أنبيائه ما يشاء من كلام أو معنى، بطريقة تفيد النبي أو الرسول العلم اليقين القاطع بما أعلمه الله به][2].

قال تعالى يخاطب سيدنا محمد ﷺ:

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

وقال تعالى في صفة نطق الرسول ﷺ:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

وقال سبحانه مبيناً تجرد إرادة الرسول واختياره من مضمون أو لفظ ما يلقى إليه بالوحي:

---

(١) انظر الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، الصفحة ٨٠٩ وما بعدها، وابن منظور، لسان العرب، الجزء الخامس عشر، الصفحة ٢٣٩ وما بعدها.

(٢) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، مرجع سابق، الصفحة ٤٥٦.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [يونس: ١٥].

أنواع الوحي(١):

ينقسم الوحي إلى ثلاثة أنواع أخذاً من قول الله تعالى:

﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى: ٥١].

النوع الأول: هو ما كان بلا وساطة:

وذلك بالإلقاء في القلب يقظة أو مناماً، كمثل النفث في الروع والإلهام، والرؤيا المنامية، وهذا النوع هو ما أشار إليه الله في قوله في الآية ﴿إلا وحياً﴾ أي وحياً مجرد من الوساطة.

وفي الحديث:

«إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»(٢).

النوع الثاني: ما كان بوساطة إسماع الكلام الإلهي من غير أن يرى السامع من يكلمه، وهو ما أشار إليه الله بقوله في الآية: ﴿ أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾ أي وحياً من وراء حجاب، كما كان لموسى حين مناجاته ربه في جانب الطور:

---

(١) انظر عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، مرجع سابق، الصفحة ٤٦٠.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية، المجلد العاشر، ما أخرجه أبو أحمد بن أبي الحواري، الصفحة ٢٧.

﴿ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

[القصص: ٢٩-٣٠].

النوع الثالث: ما كان بوساطة إرسال ملك ترى صورته المعينة، ويسمع كلامه كجبريل عليه السلام، فيوحي إلى النبي ما أمره الله أن يوحيه إليه، وهذا ما أشار إليه الله في الآية

﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾ وأكمل هذه الأنواع هو إرسال الرسول بالوحي، وهذه الصورة هي التي نزل بها القرآن الكريم، فقد نزل بواسطة جبريل عليه السلام.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩٧].

ثانياً ـ المعجزة:

[المعجزة أمر ممكن عقلاً، خارق للعادة، يجريه الله على يد من أراد أن يؤيده ليثبت بذلك صدق نبوته، وصحة رسالته مقروناً بتحديه لقومه مغالباً لهم، مطالباً أن يأتوا بمثل ما أتى به، فتلزم الحجة أعناقهم لعدم استطاعتهم، ويثبت صدق الرسول، ويتوجب عليهم التصديق برسالته][1].

---

(١) انظر الباجوري، شرح جوهرة التوحيد الصفحة ٢٩٧ وما بعدها.

أهم معجزات الأنبياء:

أيد الله عز وجل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات الدالة على صدقهم، لتطمئن لها قلوب الذين آمنوا، وتخضع لها أعناق الذين لا يؤمنون.

ومن أهم معجزات الأنبياء:

١ـ معجزة صالح عليه الصلاة والسلام: أن أخرج الله لقومه الناقة من حجر صلد حين سألوه ذلك، ولكنهم عقروها.

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨].

٢ـ معجزة إبراهيم عليه الصلاة والسلام: أن النار لم تحرق جسده، فبعد أن كسر أصنام قومه

قالوا: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾

[الأنبياء: ٦٨ـ٧٠].

٣ـ من معجزات موسى عليه السلام:

ما حكاه الله عز وجل عن موسى عليه الصلاة والسلام:

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٧ـ٢٢].

٤ـ من معجزات عيسى عليه الصلاة والسلام:

ما حكاه الله عز وجل عن عيسى عليه الصلاة والسلام:

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

ختم النبوة والرسالة:

لقد كانت مهمة الرسل جميعاً أن ينقذوا الناس ويخرجوهم من الظلمات إلى النور، فكانوا دعاة الخير، وأئمة الإصلاح، وحملة المشاعل في الدنيا المظلمة، وكان كل واحد منهم يأتي عقب الآخر، ليتمم ما بناه من قبله، فيزيد في الإصلاح لبنة، حتى استكمل البناء بخاتمهم محمد ﷺ، فكان دينه خلاصة الأديان السابقة، وكانت دعوته هي الدعوة الجديرة بالبقاء، ففيها عناصر الحياة ودعائم الإصلاح، قال تعالى:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾

[المائدة: ٣].

وبإكمال دين الله الحق تمت نعمة الله على الناس بما أنزله إليهم من هداية، فلا حاجة إلى هداية بعدها، وبهذا انقطعت النبوة، وختمت الرسالة، قال الله تعالى:

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾

[الأحزاب: ٤٠].

وفي هذا يقول الرسول ﷺ:

«مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً، فأتمها وأكملها، إلا موضعَ لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون: لولا موضع اللبنة

قال رسول الله ﷺ: فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء»[1].

وبهذا أيضاً أصبحت رسالة النبي محمد ﷺ كافة للناس في كل زمان ومكان حتى قيام الساعة.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨].

وقال ﷺ: **«أرسلنا إلى الناس كافة»**[2].

وبذلك نسخ شرع نبينا محمد ﷺ شرع كل نبي غيره، ويدل ذلك على قوله تعالى:

﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾

[آل عمران: ٨٥].

أهم معجزات النبي محمد ﷺ:

معجزات النبي ﷺ وصلت إلينا من طريق القرآن الكريم، أو طريق الخبر الصحيح ولكن أهمها:

أولاً ـ القرآن الكريم:

[هو أبلغ وأعظم المعجزات التي أيد الله بها رسله وأنبياءه كافة، وذلك لأنها معجزة باقية على مر الزمن، ناطقة بنبوته عليه الصلاة والسلام في كل زمان ومكان، على حين أن سائر المعجزات الأخرى التي أيد الله بها سائر أنبياءه قد انتهت وذهبت وأصبحت تاريخاً وأخباراً تذكر،

---

(١) أخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين الصفحة ١٧٩١، رقم الحديث ٢٢٨٧.

(٢) أخرجه البيهقي، السنن الكبرى، الجزء الثاني، كتاب الصلاة، باب أينما أدركت الصلاة فصل فإنه مسجد، الصفحة ٤٣٣.

والحكمة في ثبوت هذه المعجزة لرسالة سيدنا محمد ﷺ دون الأنبياء والرسل السابقين أن رسالة سائر الأنبياء من قبله عليه الصلاة والسلام كانت موقوتة ببعثة من يأتي من بعده، أما رسالة نبينا محمد ﷺ فباقية إلى يوم القيامة، فاحتاجت إلى معجزة تشهد لها خلال هذه العصور كلها][1].

ووجوه إعجاز القرآن الكريم كثيرة مرت معنا سابقاً[2].

ثانياً ـ الإسراء والمعراج:

الإسراء: هو الذهاب ليلاً برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، قال الله تعالى:

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

والمعراج: هو الصعود برسول الله ﷺ إلى السموات العلا فما فوقها، وقد ثبت المعراج بالأحاديث التي بلغت مبلغ التواتر مما رواه البخاري ومسلم وغيرهما، وأشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله سبحانه:

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧].

ثالثاً ـ انشقاق القمر:

سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يأتيهم بمعجزة تثبت صدقه فيما يدعي من أنه رسول الله إليهم، فأجرى الله على يده معجزة انشقاق القمر.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

---

(١) د.محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، مرجع سابق، الصفحة ٢١٥.

(٢) راجع الكتاب، الصفحة ٢٨٨.

«انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين، فقال النبي ﷺ اشهدوا»[1].

وعن قتادة عن أنس رضي الله عنه أنه حدثهم أن أهل مكة سألوا رسول الله أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر[2].

«وعن أنس قال سأل أهل مكة النبي ﷺ، آية فانشق القمر بمكة مرتين،

فنزلت: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١-٢]»[3].

رابعاً- نبع الماء من بين أصابعه ﷺ:

قال القرطبي رحمه الله: [قضية نبع الماء من بين أصابع الرسول ﷺ تكررت منه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة، ووردت من طرق كثيرة،

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الثالث، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية، فأراهم انشقاق القمر، الصفحة ١٣٣٠، رقم الحديث ٣٤٣٧.
وأخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب انشقاق القمر، الصفحة ٢١٥٨، رقم الحديث ٢٨٠٠.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الثالث، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية، فأراهم انشقاق القمر، الصفحة ١٣٣٠، رقم الحديث ٣٤٣٨.
وأخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب انشقاق القمر، الصفحة ٢١٥٩، رقم الحديث ٢٨٠٢.

(٣) أخرجه الترمذي، الجزء التاسع، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة القمر، الصفحة ٣١، رقم الحديث ٣٢٨١، وقال حديث حسن صحيح.

يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي][1].

عن جابر رضي الله عنه قال: «عطش الناس يوم الحديبية، والنبي ﷺ بين يديه ركوة، فتوضأ فجهش الناس نحوه، فقال: ما لكم ؟ قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا من بين يديك، فوضع يده في الركوة فجعل الماء يثور من بين أصابعه، كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا، قلت: كم كنتم ؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة»[2] ولقد تكررت معجزة نبع الماء من بين أصابعه أكثر من مرة بروايات صحيحة.

خامساً ـ تكثير الطعام:

ومن المعجزات التي جرت على يد سيدنا محمد ﷺ تكثير الطعام القليل بحيث يأكل منه العدد الوفير من الناس فيكفيهم، وقد حدث ذلك مرات كثيرة منه عليه الصلاة والسلام وروى ذلك لنا العدد الوفير، وممن روى ذلك من الصحابة علي بن أبي طالب، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وأبو سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله، وأبو أيوب الأنصاري، وسمرة بن جندب. عن جابر رضي الله عنهما أنه قال:

«لما حُفر الخندق رأيت برسول الله ﷺ خَمَصاً[3] شديداً، فانكفأت[4] إلى امرأتي فقلت: هل عندك شيء ؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصاً

---

(١) نقلاً عن د.مصطفى الخن، مبادى العقيدة الإسلامية، مرجع سابق، الصفحة ٢٣٧.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الثالث، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، الصفحة ١٣١٠، رقم الحديث ٣٣٨٣.

(٣) خمصاً: ضمور البطن من الجوع.

(٤) انكفأت: انقلبت.

شديداً. فأخرجت إلي جِراباً[1] فيه صاع من شعير، ولنا بُهيمة[2] داجِن، فَذَبحتُها وطَحَنَتِ الشعير ففرغت إلى فراغي، وقطعتها في برمتها[3] ثم وليت إلى رسول الله ﷺ. فقالت: لا تفضحيني برسول الله ﷺ وبمن معه، فجئته فساررته، فقلت: يا رسول الله، ذبحنا بُهيمة لنا، وطحنا صاعاً من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر معك، فصاح النبي ﷺ، وقال: يا أهل الخندق، إن جابراً قد صنع سوراً[4] فحيَّ هلا بكم[5]، فقال رسول الله ﷺ: لا تُنزلُنَّ بُرمَتكُم ولا تَخبِزُنَّ عجينتكم حتى أجيء، فجئت وجاء رسول الله ﷺ يَقدُم الناس، حتى جئت امرأتي، فقالت: بك وبك[6]، فقلت: قد فعلت الذي قُلتِ، فأخرجت له عجيناً، فبصق فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيها وبارك ثم قال: ادعي خابزة فلتخبز معك واقدحي[7] من برمتكم ولا تنزلوها وهم ألف، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه، وانحرفوا وإن برمتنا لَتَغِطُّ[8]، وإن عجيننا ليخبز كما هو»[9].

---

(١) جراباً: وعاء يحفظ فيه الطعام.
(٢) بهيمة: الصغير من أولاد الغنم.
(٣) برمتها: القدر.
(٤) سوراً: طعاماً.
(٥) فحي هلا بكم: هلموا مسر عين.
(٦) بك وبك: فعل الله بك كذا وفعل بك كذا.
(٧) اقدحي: اغرفي.
(٨) تغط: ممتلئة تفور.
(٩) أخرجه البخاري، الجزء الرابع، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، الصفحة ١٥٠٥، رقم الحديث ٣٨٧٦. وأخرجه مسلم، الجزء الثالث كتاب الأشربة باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه، الصفحة ١٦١٠، رقم الحديث ٢٠٣٩. =

سادساً ـ حنين الجذع إليه وتسليم الجبل والشجر عليه:

عن أنس بن مالك أنه سمع جابر بن عبد الله يقول:

«كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ، إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر وكان عليه، سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكتت»(١).

عن علي رضي الله عنه قال:

«كنت مع النبي ﷺ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله»(٢).

سابعاً ـ إخباره عليه الصلاة والسلام بالمغيبات ووقوعها كما أخبر:

العلم بالغيب خاص بالله سبحانه، وقد يطلع بعضاً من رسله على بعض من الغيب معجزة له، ليكون ذلك دليلاً على صدقه فيما يدعيه من الرسالة.

قال تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦ـ٢٧].

= وشرح الألفاظ للقسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، الجزء السادس، الصفحة ٣٢٢.

(١) أخرجه البخاري، الجزء الثالث، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، الصفحة ١٣١٤، رقم الحديث ٣٣٩٢

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، الجزء التاسع، كتاب المناقب، باب الشجر والحجر يسلمان على النبي صلى الله عليه وسلم، الصفحة ٢٤٧، رقم الحديث ٣٦٣٠.

ولقد أطلع الله جل جلاله رسوله محمداً ﷺ على أمور من الغيب، فكانت كما أخبر.

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: أخرج النبي ذات يوم الحسن، فصعد المنبر فقال: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»(١).

وقد حدث ذلك أيام معاوية عندما تنازل عن طلب الخلافة، وحقن بذلك دماء المسلمين.

وعن أنس رضي الله عنه قال: «خطب رسول الله ﷺ فقال: **أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب، ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير إمرة ففتح عليه، وما يسرني أو قال ما يسرهم أنهم عندنا، وقال: وإن عينيه لتذرفان**»(٢).

وكان ذلك في غزوة مؤتة، فأخبرهم الرسول ﷺ بذلك قبل أن يأتيه خبرهم، وقد كان رسول الله ﷺ قد أمر زيداً فإن أصيب فجعفر، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده**»(٣).

وقد وقع ذلك كما أخبر ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الثالث، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، الصفحة ١٣٢٨، رقم الحديث ٣٤٣٠.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الثالث، كتاب الجهاد، باب من تأمر في الحرب من غير إمرة إذا خاف العدو، الصفحة ١١١٥، رقم الحديث ٢٨٩٨.

(٣) أخرجه البخاري، الجزء الثالث، كتاب الجهاد، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم أحلت لكم الغنائم، الصفحة ١١٣٥، رقم الحديث ٢٩٥٢.

ثامناً ـ إبراؤه المرضى:

من معجزات النبي ﷺ إبراؤه المرضى بلمسة منه ﷺ أو نفثة أو دعاء. وقد أجرى الله سبحانه وتعالى ذلك على يديه ﷺ كثيراً منها:

ما رواه يزيد بن أبي عبيد قال: «رأيت أثر ضربة في ساق سلمة بن الأكوع، فقلت: يا أبا مسلم ما هذه الضربة؟ قال: ضربة أصابتني يوم خيبر فقال الناس: أصيب سلمة، فأتيت النبي ﷺ فنفث فيه ثلاث نَفَثَات، فما اشتكيتها حتى الساعة»(١).

وما رواه عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «كان أبي يسْمرُ مع علي وكان علي يلبس ثياب الصيف في الشتاء، وثياب الشتاء في الصيف، فقيل له: لو سألته، فسأله فقال: إن رسول الله ﷺ بعث إليَّ وأنا أرْمَدُ العين يوم خيبر، فقلت يا رسول الله إني أرمد العين، قال: فتفل في عيني، وقال: اللهم أذهب عنه الحر والبرد، فما وجدت حراً ولابرداً منذ يومئذ، وقال: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ليس بفرار، فتشرف لها أصحاب النبي ﷺ فأعطانيها»(٢).

وروت أم موسى (وهي سرية علي) عن علي قال:

[ما رمدت منذ تفل النبي ﷺ في عيني](٣).

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، الجزء الرابع، كتاب الطب، باب كيف الرقي، الصفحة ١٢، رقم الحديث ٣٨٩٤.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، مسند علي بن أبي طالب، الجزء الأول، الصفحة ٢١٤، رقم الحديث ٧٧٨.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، مسند علي بن أبي طالب، الجزء الأول، الصفحة ١٦٩، رقم الحديث ٥٧٩.

وما رواه يزيد بن أبي عبيد، قال: «رأيت أثر ضربة في ساق سلمة، فقلت: ما هذه؟ قال أصابتني يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة، فأتى بي رسول الله ﷺ، فنفث فيَّ ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة»[1].

ثمار الإيمان بالرسل عليهم السلام:

للإيمان بالرسل ثمار كثيرة نذكر منها ما يلي:

١ـ أنه يزيد من ثقة المؤمن بحكمة الله سبحانه، ويجعله يوقن بعدله ويطمئن إلى رحمته، ويعلم أن الله لم يكن ليترك الناس بلا هداية إلى الحق، وإقامة للحجة وتوجيه إلى الطريق المستقيم، ولذلك أرسل الله سبحانه هؤلاء الرسل.

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥].

وقال سبحانه: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٥].

٢ـ أنه يزيد من شكر المؤمن لربه على هذه النعمة العظيمة وهي إرسال الرسل فإن تجارب البشر مهما بلغت لا يمكن أن تهديهم إلى سواء السبيل ولا أن تدلهم على منهاج الحياة المستقيم، وإن نظرة البشرية مهما اتسعت فهي قاصرة، ومهما علمت بشيء جاهلة، تدرك من الحقيقة طرفاً ويغيب عنها الآخر، أما بإرسال الله لهؤلاء الرسل فإن

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، الجزء الرابع، كتاب المرضى، باب كيف الرقي، الصفحة ١٢، رقم الحديث ٣٨٩٤.

المؤمن يطمئن إلى شرع الرسل لأن الله واضعه، وهو طريق كامل شامل فيه السعادة في الدنيا والآخرة.

٣ـ أنه يزيل التعصب والأحقاد، فالمؤمن يؤمن بجميع الرسل ويؤمن برسالاتهم، ويحب جميع الرسل ولا يفرق بين أحد منهم.

٤ـ أنه يوضح للمؤمن أن هؤلاء الرسل الكرام هم صفوة خلق الله، وقد ميزهم الله سبحانه بخصائص عليا تعينهم على أداء واجبهم وحمل رسالتهم، ولكنهم مع ذلك لم يخرجوا عن حدود البشرية، ولم يتعالوا على واقع الحياة.

٥ـ أنه يفتح آفاق المؤمن فيتعرف على تاريخ الأمم وحضارتهم وقصصهم وما جرى مع أنبيائهم ورسلهم.

٦ـ أنه يزيد من معرفة الإنسان بالرسالات السماوية السابقة وما فيها من شرائع مختلفة وما آلت إليه.

٧ـ أنه يعمق العقيدة في نفس المؤمن لأن العقائد واحدة في كل ما أتى به الأنبياء والرسل وأوضحها الإيمان بوحدانية الله الذي لا شريك له.

٨ـ أنه يهدي إلى أن سيدنا محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل وهذا يدعونا إلى حبه والسير على سنته والتمسك بمنهجه.

٩ـ أنه يبين أن الدين الذي أتى به سيدنا محمد ﷺ وهو الإسلام هو خاتم الأديان والجامع لها، ولن يقبل الله غيره، قال تعالى:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾

[آل عمران: ٨٥].

مما يدعونا إلى التمسك به والعمل بمقتضاه، لننال رضاء الله سبحانه وننعم بالسعادة في الدارين.

١٠ـ أنه يحمل المؤمن مسؤولية أداء أمانة التبليغ، وهداية الناس، اقتداء بالرسل عليهم السلام، وذلك بعد أن يتربى المؤمن عند العلماء العاملين، ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورثوا العلم، فمن أخذه منهم، أخذ بحظ وافر.

* * *

الفصل الخامس

الإيمان باليوم الآخر

من أركان العقيدة الإسلامية الإيمان باليوم الآخر، وقد ثبت وجوب ذلك الإيمان من الأدلة التي مرت معنا سابقاً من القرآن الكريم والحديث الشريف[1].

تعريف اليوم الآخر: اليوم الآخر هو: نهاية الحياة الدنيا وبداية الحياة الأخرى، الذي جعله الله للحساب والثواب والعقاب.

معنى الإيمان باليوم الآخر: التصديق الجازم واليقين القاطع بما يكون بعد الموت من الحياة البرزخية، وأحوال، القبر، والبعث، والحشر، والنشر، والصحف، والميزان، والحساب، والجزاء، والصراط، والحوض، والشفاعة، والجنة، والنار[2].

---

(١) انظر الأدلة، الصفحة ٢٦١.

(٢) انظر عبد السلام ابراهيم، إتحاف المريد بجوهرة التوحيد ومعه كتاب النظام الفريد بتحقيق جوهرة التوحيد، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، ١٣٧٥ ـ ١٩٥٥، مطبعة السعادة، مصر، الصفحة ٢١٢ وما بعدها.

مقدمات اليوم الآخر: لليوم الآخر مقدمات لابد من البحث فيها الواحدة تلو الأخرى، وهي:

أولاً ـ الموت:

وهو حقيقة مدركة، واقع بالإنسان لا محالة ولا يستطيع الفرار منه، قال تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾

[آل عمران: ١٨٥].

وقال جل وعلا: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجمعة: ٨].

وقال عز وجل: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ ﴾

[النساء: ٧٨].

والموت قدر الله الذي لا مفر منه، قال تعالى:

﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ [الواقعة: ٦٠].

ولاشك أن المحيي والمميت هو الله عز وجل، قال تعالى:

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢].

ولكن اقتضت حكمة الله عز وجل أن يكل قبض الأرواح إلى واحد من ملائكته المقربين، قال تعالى:

﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾

[السجدة: ١١].

وقال سبحانه: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾

[ق: ١٩].

والموت نهاية كل حي ولا يتفرد بالبقاء إلا الله لذلك يخاطب الله نبيه محمداً ﷺ بقوله:

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

ثانياً ـ البرزخ:

البرزخ في اللغة: الحاجز بين شيئين(١). ومنه قوله تعالى:

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩ـ٢٠].

البرزخ في الشرع: ما يكون بين الموت إلى القيامة، أو هو ما بين الدنيا والآخرة(٢). أي المدة بين الحياة الأولى والحياة الآخرة.

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۝ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾

[المؤمنون: ٩٩ـ١٠٠].

أحوال البرزخ: للبرزخ أحوال نستطيع أن نجملها فيما يلي:

١ـ سؤال الملكين منكر ونكير:

ما إن يموت الميت ويواريه أهله التراب، حتى يُحضر الله سبحانه وتعالى إليه ملكين ليسألاه عن أقواله في الله والرسول ﷺ، أآمن بهما أم كفر؟

[وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن سؤال الملكين للميت في قبره عام لجميع المكلفين، المسلم منهم والكافر، أما غير المكلفين كالصبيان

---

(١) ابن منظور، الجزء الأول، لسان العرب، الصفحة٣٧٥.

(٢) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، الصفحة ٤٣.

والمجانين ومن لم تبلغهم الدعوة، فإنهم لا يُسألون في البرزخ لأن سؤال القبر نتيجة للتكليف في الدنيا][(١)].

ومن الأدلة التي يستدل بها على سؤال الملكين في القبر قوله تعالى:

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾

[إبراهيم: ٢٧].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ قال: نزلت في عذاب القبر، يقال له: من ربك؟ فيقول ربي الله ونبيِّي محمد ﷺ، فذلك قوله عز وجل: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾[(٢)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان يقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ - لمحمد ﷺ - فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر مقعدك من النار فقد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً. قال: وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت،

---

(١) د. مصطفى الخن، مبادى العقيدة الإسلامية، الصفحة ٣٢٣.

(٢) أخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، الصفحة ٢١٩٩، رقم الحديث ٢٨٦٦.

وأخرجه النسائي، الجزء الرابع، كتاب الجنائز، باب عذاب القبر، الصفحة ١٠١.

ويضرب بمطارق من حديد ضربة يسمعها من يليه غير الثقلين»[1].

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة، أن أحد الملكين يدعى منكراً والآخر نكيراً، سميا بذلك لنكارة منظرهما.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير»[2].

والمراد من سؤال القبر السؤال في البرزخ بين الموت والبعث، سواء أكان ذلك في القبر أو في غيره، وقد أُضيف السؤال إلى القبر بالنظر إلى أن أكثر الموتى من الناس يقبرون.

٢ـ عذاب القبر ونعيمه:

في مدة البرزخ مرحلة من مراحل الجزاء الرباني بالثواب والعقاب ويدل عليه مجموعة من نصوص القرآن والسنة منها:

أ ـ قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ [الأنعام: ٩٣].

ب ـ وقوله تعالى:

﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾

[محمد: ٢٧].

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الأول كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر الصفحة ٤٦٢ رقم ١٣٠٨.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الجنائز، الجزء الرابع، باب ما جاء في عذاب القبر، الصفحة ٢٥، رقم الحديث ١٠٧١.

ج ـ وقوله تعالى في شأن آل فرعون:

﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦].

قال ابن كثير [وهذه الآية أصل كبير في استلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور][١].

د ـ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله عليه وسلم:

«إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»[٢].

هـ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه مرَّ بقبرين يعذبان فقال: **«إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لايستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها بنصفين، ثم غرز في كل قبر واحدة، قالوا يا رسول الله لم صنعت هذا، فقال: لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا»**[٣].

ثالثاً ـ الساعة:

وهي الزمن المحدد في علم الله لإنهاء نظام الحياة الأولى

---

(١) تفسير القرآن الحكيم، الجزء الرابع، الصفحة ٨٨.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الأول، كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه بالغداة والعشي، الصفحة٤٦٤، رقم الحديث ١٣١٣.

(٣) أخرجه البخاري، الجزء الأول، كتاب الجنائز، باب الجريد على القبر، الصفحة ٤٥٨، رقم الحديث ١٢٩٥.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ١٥].

موعدها:

إن وقت الساعة من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله، وقد أخفاه الله عن عباده لحكمة يريدها سبحانه، فلا سبيل إلى معرفته.

قال الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

هل هي قريبة؟

أبان الله عز وجل ورسوله الكريم ﷺ أنها قريبة، قال الله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [القمر: ١].

وقال سبحانه: ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**بعثت أنا والساعة كهاتين**»(١) مشيراً ﷺ بأصبعيه السبابة والوسطى.

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب الرفاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «بعثت انا والساعة كهاتين»، الصفحة ٢٣٨٥، رقم الحديث ٦١٣٩.

وأخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، الصفحة ٢٢٦٩، رقم الحديث ٢٩٥١.

علامات قيام الساعة[1] :

علامات قربها ودنو ميعادها ـ وهو ما يسمى أشراط الساعة ـ كثيرة منها :

١ـ ظهور الدجال : (ورد في ذلك أحاديث كثيرة تبين أنه ذو علامات فارقة كثيرة.) [والدجال لقب له، لقب به لشدة تدجيله وكذبه، ولقدرته الخارقة على تغطية الحق بالباطل، ويكون ظهوره من جهة المشرق وعينه اليمنى عوراء جاحظة وطافية بشكل منكر، ولا يولد له ولد، ولا يمكنه دخول مكة والمدينة، مكتوب على جبهته (كافر) يتبينها كل مسلم، ويقتله عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام][2].

٢ـ نزول عيسى ابن مريم: أي يهبط إلى الأرض ويمكث في الأرض مدة من الزمن، يقيم عليها دعائم العقيدة الإسلامية، وينفذ الشريعة الإسلامية التي بعث فيها محمد عليه الصلاة والسلام، وقد ثبت ذلك في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

---

(١) انظر علي القاري، شرح كتاب الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة، مرجع سابق، الصفحة ١٩٠ وما بعدها.
والباجوري، شرح جوهرة التوحيد، مرجع سابق، الصفحة ٣٨٩ وما بعدها.
وابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، مرجع سابق، الجزء الثاني، الصفحة ٥٩٠ وما بعدها.
ود. مصطفى الخن، مبادى العقيدة الإسلامية، مرجع سابق، الصفحة ٣٣٠ وما بعدها.

(٢) انظر ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الجزء الثالث عشر، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، الصفحة ٨٩.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها**»(١).

ثم يقول أبو هريرة اقرؤوا إن شئتم قوله تعالى:
﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩].

٣ـ ظهور يأجوج ومأجوج: وهما أمة كبيرة من الناس يفاجأ بها العالم تنسل إليه من كل حدب، فتنشر الفساد والدمار في الأرض على نحو مذهل وبطريقة مرعبة، ثم يدعو عليهم سيدنا عيسى عليه السلام والمؤمنون معه فيهلكهم الله بوباء عام يصيبهم في رقابهم.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٦ـ٩٧].

عن زينب بنت جحش: أن النبي ﷺ استيقظ من النوم محمراً وجهه يقول: «**لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شر قد اقترب، فُتِحَ اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، حلق بأصبعه الإبهام والتي تليها**». قالت زينب بنت جحش فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال: «**نعم إذا كثر الخبث**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الثالث، كتاب الأنبياء، نزول عيسى بن مريم، الصفحة ١٢٧٢، رقم الحديث ٣٢٦٤.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء السادس، كتاب الفتن، باب قول الرسول «ويل للعرب من شر قد اقترب»، الصفحة ٢٥٨٩، رقم الحديث ٦٦٥٠. =

٤ـ **ظهور دابة الأرض**: وهي حيوان يظهر للناس قبيل الساعة يكلمهم ويصف كلاً منهم بصفته من الإيمان والكفر. قال تعالى:

﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: ٨٢].

٥ـ **طلوع الشمس من مغربها**: أي تظهر للناس طالعة من جهة المغرب في وقت الصباح، على عكس ما هي عليه الآن، وهو آخر أمارات الساعة، وطلوع الشمس من مغربها ثابت في القرآن مفسر بالسنة النبوية، قال سبحانه وتعالى:

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

قال القرطبي [أو يأتي بعض آيات ربك. قيل: هو طلوع الشمس من مغربها، وقيل: إن الحكمة من طلوع الشمس من مغربها أن إبراهيم عليه السلام قال للنمرود:

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وأن الملحدة والُنَجمّة عن آخرهم ينكرون ذلك ويقولون: هو غير كائن، فيطلعها الله تعالى يوماً من المغرب ليُريَ المنكرين قدرته أن الشمس في ملكه، إن شاء أطلعها من المشرق وإن شاء أطلعها من

= وأخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج، الصفحة ٢٢٠٧، رقم الحديث ٢٨٨٠.

المغرب، وعلى هذا يحتمل أن يكون رد التوبة والإيمان على من آمن وتاب من المنكرين لذلك المكذبين لخبر النبي ﷺ بطلوعها، فأما المصدقون لذلك تُقبل توبتهم وينفعهم إيمانهم قبل ذلك.

وروى عبد الله بن عباس أنه قال: لايقبل من كافر عمل ولاتوبة إذا أسلم حين يراها، إلا من كان صغيراً يومئذ، فإنه لو أسلم بعد ذلك قبل ذلك منه، ومن كان مؤمناً مذنباً فتاب من الذنب قبل منه][1].

وقد ورد تفسير هذه الآية على لسان رسول الله ﷺ بخروج الشمس من مغربها، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل»[2].

وهناك أمارات أُخرى ذكرها رسول الله ﷺ: عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: «اطَّلع علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر، فقال: ماتذكرون ؟ قالوا نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاث خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من أرض اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم»[3].

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، الجزء السابع، الصفحة ١٤٧.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الرابع، كتاب التفسير، باب لا ينفع نفساً إيمانها، الصفحة ١٦٩٧، رقم الحديث ٤٣٥٩.

(٣) أخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، الصفحة ٢٢٢٥، رقم الحديث ٢٩٠١.

وللساعة أيضاً أشراط وعلامات تحدث عنها النبي ﷺ في كثير من أحاديثه، وكثير منها ظهر وتحقق كما أخبر.

قيام الساعة:

بعد أن يفتضح أمر الناس بظهور الدابة، ويتميز الكافر من المؤمن، يرسل الله ريحاً طيبة يموت فيها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يبعث ريحا من اليمن ألين من الحرير، فلا تدع أحداً في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته**»[1].

وهكذا لا يبقى على وجه الأرض إلا الكفار، فتقوم عليهم الساعة.

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله، الله**»[2] وفي حديث النواس بن سمعان عن رسول الله ﷺ: «**فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس، فيهارجون فيها كهراج الحمر فعليهم تقوم الساعة**»[3].

---

(١) أخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب الإيمان، باب في الريح تكون قرب القيامة، الصفحة ١٠٩، رقم الحديث ١١٧.

(٢) أخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب الإيمان، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان، الصفحة ١٣١ رقم الحديث ١٤٨.

(٣) أخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، الصفحة ٢٢٥٠، رقم الحديث ٢٩٣٧.

النفخ في الصور[1]:

والنفخ في الصور نفختان:

أما النفخة الأولى: فيهلك من في السموات والأرض إلا من شاء الله، قال تعالى:

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

وأما النفخة الثانية: فيخرج بها الناس من قبورهم، قال تعالى:

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥١-٥٢].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٧-١٨].

وهذا ما يسمى بالبعث، وهو ما يسمى أيضاً بالنشر والنشور، وبهذا البعث يبدأ اليوم الآخر الذي نتحدث عنه.

أسماء اليوم الآخر: جاء في القرآن الكريم تسمية اليوم الآخر بعدة أسماء أخذاً مما يجري فيه، ومن أسمائه ما يلي: [يوم البعث، يوم الخروج، يوم القيامة، يوم الدين، يوم الفصل، يوم الحشر، يوم الجمع، يوم الحساب، يوم الوعيد، يوم الحسرة، يوم الخلود، الدار الآخرة، دار القرار، دار الخلد، الواقعة، الحاقة، القارعة، الغاشية، الطامة، الآزفة..........][2].

---

(١) الصور: هو مثل قرن ينفخ فيه. (الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، الصفحة ٤٢٧).

(٢) انظر عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ـ العقيدة الإسلامية وأسسها، مرجع=

أحوال اليوم الآخر:

أولاـ البعث:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾

[الحج: ٥ـ٧].

فإذا مات ابن آدم بلي جسده كله، ولا يبقى منه إلا ذرة صغيرة تسمى «عجب الذنب «وهذا يكون في رأس العصعص.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«وليس شيء من الإنسان إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»(١).

فإذا أراد الله تعالى البعث، أنزل من السماء ماء على الجزء الباقي، ثم

= سابق الصفحة ٥٣٨ وما بعدها.

(١) أخرجه البخاري، الجزء الرابع، كتاب التفسير، باب يوم ينفخ في الصور، الصفحة١٨٨١، رقم الحديث ٤٦٥١.

وأخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين، الصفحة ٢٢٧٠، رقم الحديث ٢٩٥٥.

يحيي إسرافيل، ويأمره أن ينفخ في الصور النفخة الثانية، وهي نفخة الإحياء، فتنبت الخلائق كما ينبت البقل.

قال رسول الله ﷺ:

«ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل»(١).

وينادي الرب الأرواح فتعود إلى أجسادها التي كانت فيها في هذه الدنيا، فيقوم الخلائق يتساءلون:

﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

ثانياً ـ الحشر:

وهو الجمع، فبعد البعث إلى الحياة الآخرة يوم القيامة يتم حشر الخلائق لموقف الحساب.

وقد عرض القرآن الكريم صوراً ستكون في ذلك اليوم الرهيب، منها:

١ـ هول الموقف وعظائمه، قال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١ـ٢].

وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٣ـ٣٧].

٢ـ تشقق الأرض عن الخلائق يوم القيامة. قال تعالى:

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤].

---

(١) تتمة الحديث السابق.

٣ـ تسوية أرض المحشر فتكون كلها بارزة لا جبال فيها ولا وديان، قال تعالى:

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾

[الكهف: ٤٧].

٤ـ صدور الناس أشتاتاً ليُروا أعمالهم، قال تعالى:

﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [الزلزلة: ٦].

٥ـ حشر المجرمين زرقاً: مكبين على وجوههم عمياً وبكماً وصماً. قال تعالى:

﴿ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ [طه: ١٠٢].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩٧].

٦ـ حشر الناس حفاةً عراةً غرلاً[1] كما بدأهم الله في الخلق الأول وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام.

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

«**إنكم تحشرون حفاةً عراةً غرلاً**، ثم قرأ:

﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾

[الأنبياء: ١٠٤].

---

(١) غرلاً: جمع أغرل، وهو الذي لم يختن، والمعنى: أنهم يحشرون كما خلقوا لم يفتقد منهم شيء، وليس معهم شيء.

د. مصطفى ديب البغا، على البخاري، الجزء الثالث، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: واتخذ الله إبراهيم خليلاً، الصفحة ١٢٢٢.

وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول أصحابي أصحابي !!! فيقول: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم مذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح:

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٧-١١٨]»[١].

كما تدنو الشمس من الخلائق ويصيب الناس شدة تتفاوت بمقدار تفاوت أحوال أهل الموقف.

عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق: فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه[٢]، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً، وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه.»[٣].

ولكن هول الموقف لا يكون على جميع الناس، فهناك أناس صدقوا الله تعالى في هذه الدنيا، فنجاهم من هول ذلك الموقف، وأظلهم بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

---

(١) أخرجه البخاري الجزء الثالث، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿واتخذ الله ابراهيم خليلاً﴾ الصفحة ١٢٢٢، رقم الحديث ٣١٧١

(٢) حقويه: أي خاصرتيه، (محمد الرازي، مختار الصحاح، الصفحة ١٤٨).

(٣) أخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب الجنة وصفات نعيمها وأهلها، باب في صفة يوم القيامة، الصفحة ٢١٩٦، رقم الحديث ٢٨٦٤.

«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»[1].

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ۝١٠٢ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾

[الأنبياء: ١٠١-١٠٣].

ثالثاً ـ الحساب:

وهو إطلاع الله عباده على أعمالهم، وما جنوه في دار الدنيا من تصرفات فعلية أو قولية أو اعتقادية، خيراً كانت أو شراً، يطلعهم ربهم على ذلك تفصيلاً فيظهر أعمال المتقين ومناقبهم، وفضائح العصاة ومثالبهم، وذلك على رؤوس الأشهاد، ويظهر عدل الله تعالى وفضله على المؤمنين من خلقه. قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [النور: ٣٩].

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الثاني، متاب الزكاة، باب الصدقة با ليمين الصفحة ٥١٧ رقم الحديث ١٣٥٧.
وأخرجه مسلم، الجزء الثاني، كتاب الزكاة، باب اخفاء الصدقة، الصفحة ٧١٥ رقم الحديث ١٠٣١.

وقال عز وجل: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾

[الزلزلة: ٦ـ٨].

وقال جل وعلا: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ۝٢٤ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢١ـ٢٦].

ولإقامة العدل توضع الموازين.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال سبحانه:

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨].

ثم بين الله عز وجل نتيجة الوزن فقال سبحانه:

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢ـ١٠٣].

وإذا حاول أهل الكفر أو الفسوق إنكار سيئاتهم وكفرهم، فإن الله يستنطق جوارحهم على ما كانوا يعملون، قال سبحانه وتعالى:

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

وقال أيضاً: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

وقال جل جلاله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت: ٢٠ـ٢١].

وفي يوم الحساب يخرج الله لكل إنسان كتاب أعماله التي دونتها الملائكة في الدنيا فتنشر على أصحابها، قال الله تعالى في ذلك:

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٧-٢٩].

وقال سبحانه: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾

[الإسراء: ١٣-١٤].

وقال سبحانه: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩].

ثم يتحدث الله عن حالة كل إنسان عند استلام كتابه، قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾

[الإنشقاق: ٧-١٤].

وقال عز وجل: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة: ١٩-٢٤].

ثم قال سبحانه: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴾

[الحاقة: ٢٥-٢٩].

رابعاً ـ الصراط والاجتياز عليه:

[يطلق الصراط على معنيين:

١ـ **أحدهما في الدنيا**: وهو المنهج الذي شرعه الله لعباده وأمرهم بإتباعه والتزامه، وهو المعني بقوله تعالى:

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

٢ـ **ثانيهما في الآخرة**: وهو الجسر الذي ينصب على نار جهنم يوم القيامة فيجتاز عليه الناس على اختلاف مذاهبهم وأحزابهم وتفاوت درجاتهم، فمنهم من يدق تحت قدميه حتى يبدو له أنه أدق من السيف، فيترنح من فوقه ثم يهوي في النار، ومنهم ينبسط عريضاً تحت قدميه فيمر من فوقه إلى ما أعده الله له من النعيم المقيم][(١)].

قال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم:

[ولقد أجمع السلف على إثبات الصراط، وهو جسر على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم، والآخرون يسقطون فيها، أعاذنا الله الكريم منها][(٢)].

وإلى ذلك الله عز وجل في قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١ـ٧٢].

---

(١) د. محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، مرجع سابق، الصفحة ٣٥٣.

(٢) الجزء الثالث، الصفحة ٢٠.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾ [يس: ٦٦].

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الناس يعرضون على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب، يخطف الناس، وبجنبيه ملائكة يقولون: اللهم سلم اللهم سلم، فيمر الناس مثل البرق، وآخرون مثل الريح، وآخرون مثل الفرس المجد، وآخرون يسعون سعياً وآخرون يمشون مشياً، وآخرون يحبون حبواً، وآخرون يزحفون زحفاً، فأما أهل النار فلا يموتون ولا يحيون، وأما ناس فيؤخذون بذنوبهم فيحرقون فسيكونون فحماً، ثم يأذن الله في الشفاعة»(١).

روت السيدة عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال:

«ولجهنم جسر أدق من الشعر، وأحد من السيف»(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

«بلغني أن الجسر أدق من الشعر، وأحد من السيف»(٣).

وهذا الصراط تجسيد لمعنى الصراط الذي ألزم الله به عباده في الدنيا.

وفي هذه الحقيقة يقول الإمام الغزالي رضي الله عنه:

[فمن استقام على الصراط المستقيم، خف على صراط الآخرة ونجا،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، الجزء الرابع، مسند أبي سعيد الخدري، الصفحة ٥٢، رقم الحديث ١١٢٠٢.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، الجزء التاسع، مسند السيدة عائشة، الصفحة ٤١٥، رقم الحديث ٢٤٨٤٧.

(٣) أخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، الصفحة ١٦٧، رقم الحديث ١٨٣.

ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا وأثقل ظهره بالأوزار وعصى، تعثر في أول قدم من الصراط وتردى، فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته، قرع سمعك شهيق النار وتغيظها، وقد كلفت أن تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك من المشي على بساط الأرض، فضلاً على حدة الصراط، فانظر إلى حالك وأنت تزحف عليه وتصعد إليه، وأنت مثقل الظهر بأوزارك تلتفت يميناً وشمالاً إلى الخلق وهم يتهافتون في النار، والرسول ﷺ يقول: (يا رب سلم سلم)، والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت إليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق، فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك ؟، فناديت بالويل والثبور وقلت: هذا ما كنت أخافه يا ليتني قدمت لحياتي ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً، يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً، يا ليتني كنت تراباً، ياليتني كنت نسياً منسياً، يا ليت أمي لم تلدني ! فكيف ترى الآن عقلك وهذه الأخطار بين يديك ؟ فإن كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم، وإن كنت به مؤمناً، وعنه غافلاً، وبالاستعداد له متهاوناً، فما أعظم خسرانك وطغيانك، وما ينفعك إيمانك إذا لم يبعثك على السعي في طلب رضا الله تعالى بطاعته وترك معاصيه][١].

اجتياز الصراط:

بعد وزن الأعمال يتجه الناس إلى الصراط لاجتيازه، ويكون سيد الخلائق محمد ﷺ أول من يجتاز الصراط مع أمته.

---

(١) إحياء علوم الدين، الجزء الرابع، الصفحة ٥٢٤.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم»(١).

ويجتاز المؤمن الصراط ونوره يسعى بين يديه، لا يتعثر ولا يلتوي. كما قال الله تعالى:

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢].

أما الكافرون والمنافقون فإنهم سرعان ما تنزلق أرجلهم على الصراط، فتخطفهم خطاطيف فتلقيهم في النار.

خامساً ـ الشفاعة:

هي مظهر من مظاهر رحمة الله عز وجل بمن شاء من عباده في ذلك الموقف ويتجلى هذا المظهر بأشكال مختلفة منها:

١ـ أن يغفر الله لمن شاء من عباده العصاة ما لم يكن من أهل الكفر أو الشرك، قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

٢ـ شفاعة الرسول ﷺ وله شفاعتان:

أـ شفاعة عامة لكل الخلائق، وذلك عندما يشتد هول الموقف ويطول

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء السادس، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة) الصفحة٢٧٠٤ رقم ٧٠٠٠.

عليهم ويتمنون الخلاص، فيشفعه الله فيهم فيشفع لهم ويتفضل الله عليهم بفصل الحساب.

ب ـ شفاعة خاصة لأمته.

٣ـ شفاعة الأنبياء والصالحين والقرآن:

ورد في القرآن الكريم ما يدل على أن هناك من يشفع غير سيدنا محمد ﷺ،

فلقد قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

ولقد بينت السنة أصنافاً ممن يشفعون يوم القيامة.

عن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«**يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء**»(١).

والقرآن الكريم يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، فقد روى أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**»(٢).

سادساً ـ ورود الحوض:

وهو مكرمة عظيمة خص الله بها محمداً ﷺ وأمته.

عن أنس رضي الله عنه قال: «بينما رسول الله ﷺ يين أظهرنا في

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، الجزء الثاني، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، الصفحة ١٤٤٣، رقم الحديث ٤٣١٣.

(٢) أخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب فضائل القرآن ومايتعلق به، باب فضل قراءة القرآن، الصفحة ٥٥٣، رقم الحديث ٨٠٤.

المسجد إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال: أنزلت عليّ آنفاً سورة فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم، إنا أعطيناك الكوثر، فصل لربك وأنحر، إن شانئك هو الأبتر) ثم قال: أتدرون ما الكوثر ؟ فقلنا الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وَعَدَنِيَه ربي عز وجل عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فَيُختَلَجُ[1] العبد منهم فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك»[2].

وعن أنس رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال:

«بينما أنا أسير في الجنة[3]، إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، قلت: ماهذا يا جبريل ؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طينهُ أو طيبه مسك أذفر[4]»[5].

ومن الحديثين السابقين يتبين لنا أن ماء الحوض والكوثر شيء واحد، أصله في الجنة، فما كان جارياً منه في داخلها فهو ماء الكوثر، وما انصب

---

(١) يختلج: ينتزع ويقتطع، النووي، شرح صحيح مسلم، المجلد الثاني، الجزء الرابع، الصفحة ١١٣.

(٢) أخرجه مسلم، الجزء الأول،كتاب الصلاة، باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، الصفحة ٣٠٠، رقم الحديث ٤٠٠.

(٣) أي في ليلة الإسراء. (القسطلاني، إرشاد الساري، المجلد التاسع، الصفحة ٢٨٣).

(٤) أذفر: شديد الرائحة الذكية، (محمد الرازي، مختار الصحاح، الصفحة ٢٢٢).

(٥) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب الرقاق، باب في الحوض، الصفحة ٢٤٠٦، رقم الحديث ٦٢١٠.

منه في خارجها فهو ماء الحوض، وهو الذي يرده المؤمنون الصادقون بعد البعث من شدة العطش فيشربون منه.

وقد سئل النبي ﷺ عن شرابه فقال:

«أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل يصب فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما ذهب والآخر ورق»[(١)].

سابعاً ـ الجنة أو النار والخلود في كل منهما:

وهما العاقبة التي لا بد أن تنتهي إلى إحداهما حياة الإنسان وهي عاقبة أخيرة ودائمة لا عاقبة من بعدها.

١ ـ الجنة:

هي دار الكرامة والسعادة والخلود خلقها الله تعالى لعباده المؤمنين فضلاً منه سبحانه وكرماً.

ولقد جعل الله سبحانه نعيم الجنة فوق ما يتصور العقل البشري.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فاقرؤوا إن شئتم:

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[(٢)] [السجدة: ١٧].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، من حديث ثوبان رضي الله عنه، الجزء الخامس، الصفحة ٢٨٣.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الثالث، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، الصفحة ١١٨٥، رقم الحديث ٣٠٧٢.

وقد جاء في وصف الجنة ونعيمها وذكر أهلها في آيات كثيرة من القرآن الكريم، نذكر منها ما يلي:

١ـ قال الله عز وجل:

﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ [إبراهيم: ٢٣].

٢ـ وقال سبحانه:

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٣١].

٣ـ وقال سبحانه:

﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [الزمر: ٢٠].

٤ـ وقال أيضاً:

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾

[فاطر: ٣٣ـ٣٥].

٥ـ وقال جل وعلا:

﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾

[ص: ٤٩ـ٥٤].

وكذلك جاء في وصف الجنة أحاديث متعددة نذكر منها:

١ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألُوَّة[١]، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشياً»[٢].

٢ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها»[٣].

٣ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»[٤].

---

(١) الألُوَّة: العود الهندي الذي يتبخر به. (القسطلاني، إرشاد الساري، الجزء الخامس، الصفحة ٢٨١).

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الثالث، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، الصفحة ١١٨٧، رقم الحديث ٣٠٧٣.

(٣) أخرجه البخاري، الجزء الثالث، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، الصفحة ١١٨٧، رقم الحديث ٣٠٧٩.

(٤) أخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في =

٤ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول:

«إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون. قالوا: فما بال الطعام؟ قال: جشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس»(١).

٥ـ عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

«ينادي مناد: إن لكم ـ أي لأهل الجنة ـ أن تصحُّوا فلا تسقموا لأبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبتئسوا أبداً، فذلك قوله عز وجل:

﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]»(٢).

٢ـ النار:

وهي جزاء من كفر بالله تعالى أو كذب بما أوحاه الله إلى أنبيائه ورسله، أو من فسق عن دينه ولم يتب، فالكفار يخلدون فيها، والعصاة والفساق من المؤمنين يعذبون بحسب أعمالهم، ثم يشملهم عفو الله ورحمته، ولقد ذكر الله تعالى النار وعذاب أهلها وأهوالها وأحوالها في آيات كثيرة نذكر منها:

= إحلال الرضوان على أهل الجنة، الصفحة ٢١٧٦، رقم الحديث ٢٨٢٩.

(١) أخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفات الجنة وأهلها، الصفحة ٢١٨٠، رقم الحديث ٢٨٣٥.

(٢) أخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في دوام نعيم أهل الجنة، الصفحة ٢١٨٢، رقم الحديث ٢٨٣٧.

١ـ قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾

[هود: ١٠٦ـ١٠٧].

٢ـ قوله جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾

[النساء: ٥٦].

٣ـ وقوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم: ١٥ـ١٧].

٤ـ وقوله أيضاً: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر: ٣٦ـ٣٧].

٥ـ وقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ [الدخان: ٤٣ـ٤٦].

وكذلك جاءت الأحاديث المتعددة تتحدث عن النار وما يتعلق بها ونذكر منها:

١ـ عن عتبة بن غزوان عن النبي ﷺ قال:

«إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم، فتهوي فيها سبعين عاماً وماتفضي إلى قرارها»(١).

---

(١) أخرجه الترمذي، الجزء السابع، كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة مقر جهنم، الصفحة ٢٤٨، رقم الحديث ٢٥٧٨.

٢ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«ناركم هذه التي يوقد ابن آدم، جزء من سبعين جزءاً من حرِّ جهنم، قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله!! قال: فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها»(١).

٣ـ عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا، لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن سيكون طعامه»(٢).

٤ـ عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل، توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه»(٣).

٥ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجنة لا موت، يا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب الجنة، باب في شدة حر نار جهنم، الصفحة ٢١٨٤، رقم الحديث ٢٨٤٣.

(٢) أخرجه الترمذي، الجزء السابع، كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار، الصفحة ٢٥٤، رقم الحديث ٢٥٨٨.

(٣) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب الرقاق، باب صفات الجنة والنار، الصفحة ٢٤٠٠، رقم الحديث ٦١٩٣.

(٤) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب الرقاق، باب صفات الجنة والنار، الصفحة ٢٣٩٧، رقم الحديث ٦١٨٢.

اللهم أدخلنا الجنة، وألهمنا ما يقربنا إليها من قول وعمل، ونجنا من النار، وألهمنا ما يباعدنا عنها من قول وعمل.

ثمار الإيمان باليوم الآخر:

للإيمان باليوم الآخر ثمار كثيرة نذكر منها ما يلي:

١ـ الإيمان باليوم الآخر يجعل المؤمن على يقين من أن الدنيا مزرعة الآخرة، فيسرع لتطبيق أوامر الله والابتعاد عن نواهيه لينال الفوز في الآخرة.

يجاهد نفسه، ويقف أمام المغريات والشهوات والمعاصي، ولا يتأثر بها، ويسرع في عمل الطاعات والقربات، لينال رضاء الله عز وجل.

ويتحمل كل مصائب الدنيا وصعوباتها، ويصبر على ما يصيبه من البلاء والامتحان، آملاً مغريات الآخرة وخيراتها.

٢ـ الإيمان باليوم الآخر يعني أن المؤمن مصدق بيوم الدين. يقول سبحانه واصفاً المؤمنين:

﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾﴾ [المعارج: ٢٦].

والتصديق بيوم الدين ذو أثر حاسم في منهج الحياة شعوراً وسلوكاً عند المؤمن.

ففي مجال الشعور فإن المؤمن يعيش مطمئن النفس هادىء البال راضياً، بعيداً عن القلق والسخط والقنوط، فلا يفرح في كل شؤون حياته بالكثير ولا يحزن بالقليل، ولا يتأثر من الحرمان والضيق، فهو مطمئن إلى أن الله عز وجل سيكافئه في الآخرة على صبره وتحمله ورضاه.

وفي مجال السلوك فإنه يسعى لتطبيق كل ما يحبه الله، والابتعاد عن

كل ما يكره ليصبح متكامل الشخصية الإيمانية في نيته وأقواله وأعماله ومعاملته للآخرين، يسعى للتمسك بالحلال، والابتعاد عن الحرام في كل أشكاله وألوانه مهما كانت ظروف الحياة.

يدعو إلى الخير بكل أشكاله، والجهاد في سبيله، وإن لم يلق جزاءه، أو لم يوف في هذه العاجلة أجره، فهو على يقين بالله وثوابه في الآخرة.

٣ـ الإيمان باليوم الآخر يجعل المؤمن مراقباً لنفسه في كل حركاته وسكناته، ونياته وأقواله وأفعاله لأنه يعلم أن الله عز وجل لا تخفى عليه خافية (يعلم السر وأخفى)، (ويعلم ما في الصدور) وسيحاسب يوم القيامة على كل شاردة أو واردة، ويضع نصب عينيه موعظة لقمان لابنه:

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾ [لقمان: ١٦].

وأن الله سيحاسب المؤمن على كل ما يصدر عنه:

﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ـ٨].

فيسعى بما امتلك من الحس المرهف والمراقبة الشديدة لتصرفاته، والحب لله وحب رضاه والفرح بثوابه يسعى ليكون كل ما يصدر عنه ضمن حدود ما يحبه الله سبحانه وتعالى مبتعداً عن كل ما يسخطه سبحانه وتعالى.

٤ـ الإيمان باليوم الآخر يشعر المؤمن أنه مبتلى وممتحن في أيامه التي يقضيها على الأرض وبكل شيء يملكه، وبكل متاع يتاح له، ويمنحه مناعة ضد الاغترار والانخداع والغفلة، ويعطيه وقاية من الاستغراق في متاع الدنيا والتكالب على هذا المتاع الذي هو مسؤول عنه وممتحن، وإن شعوره بالرقابة التي تحيط به والتي يصورها قوله سبحانه:

﴿ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ١٤].

يجعله شديد التوقي، شديد الحذر، شديد الرغبة في الإحسان وفي النجاة أيضاً من هذا الامتحان.

٥ـ الإيمان باليوم الآخر يجعل المؤمن دائماً في خوف من الآخرة. قال تعالى:

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾

[الزمر: ٩].

فقلبه دائماً في حالة خوف من الله، يذكر الله ولا ينساه، في السراء والضراء، وهو حذر من الآخرة يتطلع إلى رحمة ربه وفضله.

٦ـ الإيمان باليوم الآخر يخلق مجتمعاً رائعاً مثالياً يعيش الإنسان فيه مع الآخرين بالطمأنينة والسعادة والتعاون والإيثار والمحبة والعطف والحنان والاحترام، مبتعداً عن الحقد والحسد والغش والغيبة والنميمة والخيانة والكذب والفسوق والفجور والنفاق، لأن كل فرد من أفراد هذا المجتمع عرف حدّه فوقف عنده، وعرف ما يسعده عند ربه فسعى إليه وعرف حقوق الآخرين فأداها إليهم كاملة، وعرف أنه مجازى على عمله فأحسنه.

* * *

الفصل السادس

الإيمان بالقدر خيره وشره

من أركان العقيدة الإسلامية الإيمان بالقدر خيره وشره كما بين ذلك رسول الله ﷺ في تعريفه للإيمان: **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»**[(١)].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه»[(٢)].

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

«واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بما

---

(١) أخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، الصفحة ٣٦، رقم الحديث ٨.

(٢) أخرجه الترمذي، الجزء السادس، كتاب القدر، باب ما جاء في الإيمان في القدر خيره وشره، الصفحة ٣١٨، رقم الحديث ٢١٤٥

كتبه الله لك، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»(١).

معنى القدر:

جاء في القرآن الكريم ذكر القدر في عدة آيات منها:

قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

وقال سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

من دراسة معاني الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي ذكر فيها القدر نجد أن للقدر عدة معان أهمها:

أولاً: هو ما قدره الله لهذا الوجود من نظام محكم، وقوانين عامة، وسنن ربط بها الأسباب بمسبباتها.

ثانياً: هو ما قدره الله لمخلوقاته من خلق وأجل، وزمان ومكان، ورزق ونوع وهيئة ولون، وخاصات غرائزية، وحاجات عضوية.

ثالثاً: هو علم الله السابق بمخلوقاته وأعمالهم، وعلمه بالأشياء قبل كونها، وكتابته لها قبل حدوثها، ثم وقوعها في وقتها على القدر المخصوص، والوجه المعين الذي سبق علمه بها.

وقد ذكر الإمام النووي معنى القدر فقال:

[إن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع

---

(١) أخرجه الترمذي، الجزء السابع، كتاب صفة القيامة، باب ولكن يا حنظلة ساعة فساعة، الصفحة ٢٠٣، رقم الحديث ٢٥١٨.

في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى][1].

كما ذكر الإمام ابن حجر العسقلاني في تعريف القدر ما يلي:

[القدر مصدر تقول: قدرت الشيء بتخفيف الدال وفتحها أقدره بالكسر والفتح قدراً، وقدراً إذا أحطَّ بمقداره.

والمراد أن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته، هذا هو المعلوم من الدين بالبراهين القطعية، وعليه كان السلف من الصحابة وخيار التابعين][2].

أما الإمام الباجوري فقد عرفه بما يلي:

[الله تبارك وتعالى قد علم أزلاً ما سيفعله كل إنسان، فكتب سبحانه أعمال العباد على وفق علمه بها، ثم بعد ذلك ظهر إيمان من آمن، وكفر من كفر، وعصيان من عصى، فعلمه تعالى ليس مجبراً، وكتابته سبحانه ليست مجبرة أيضاً، لأنها على وفق العلم، وبهذا استحق المؤمن الثواب والكافر العذاب][3].

معنى الإيمان بالقدر:

التصديق الجازم واليقين القاطع:

أولاً: [بأن كل شيء من خير أو شر، أو حركة أو سكون . . . .

---

(1) النووي، شرح صحيح مسلم، الجزء الأول الصفحة ١٥٤.
(2) فتح الباري، المجلد الأول، مرجع سابق، الصفحة ١٠٩.
(3) شرح جوهرة التوحيد، مرجع سابق، الصفحة ٢٤٣.

إنما يقع على علم من الله تعالى ومشيئته وقدرته. وأنه تعالى الفعال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره][1].

ثانياً: [بأن الله سبحانه وتعالى علم أولاً بجميع أفعال العباد، وكل ما يتعلق بالمخلوقات، مما سيتوالى حدوثه في المستقبل. . . . .

فأوجدها حين أوجدها، على القدر المخصوص، والوجه المعين الذي سبق العلم به][2].

قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

الأمور المتعلقة بالإيمان بالقدر[3]:

هناك أمور كثيرة في الحياة الدنيا ترتبط بالقدر ارتباطاً وثيقاً، منها:

أولاً ـ شاء الله أن يخلق الخلائق وقضى أن تكون بأقدار وأوصاف محدودة.

قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

---

(١) د. محمد حافظ الشريد، العقيدة الواضحة، الصفحة ٦٨ ـ ٦٩.

(٢) د.محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، مرجع سابق، الصفحة ١٦٠.

(٣) انظر الباجوري، شرح جوهرة التوحيد، مرجع سابق، الصفحة ٢٣٧.
وعلي القاري، شرح كتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة، مرجع سابق، الصفحة ٧٥.
وعبد الرحمن حبنكة، العقيدة الإسلامية وأسسها، مرجع سابق، ص ٦٢٥.

وهو العليم بما سيكون في مخلوقاته فأمر القلم أن يكتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة.

وقد ورد في حديث لعبادة بن الصامت رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال:

«إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد»(١).

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

وكل ما في الوجود من حركات وسكنات لا يكون شيء منها إلا بمشيئة الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

ولا يحدث شيء إلا بقدرة الله ومشيئته، قال تعالى:
﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾

[الكهف: ٢٣-٢٤].

فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

ثانياً - المؤمن يعرف لربه الكمال الأعلى فتراه مؤمناً بأن كل عمل لا يحدث إلا وله حكمة، وإذا غابت عنه الحكمة الإلهية في أمر من الأمور عرف جهله أمام علم الله، وترك الاعتراض على الحكيم، الخبير، العليم، القائل:
﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

---

(١) أخرجه الترمذي، الجزء السادس، كتاب القدر، باب ١٦، الصفحة ٣٢٥، رقم الحديث ٢١٥٦.

ثالثاً - كل المخلوقات ومنها أعمال الإنسان لا تتم إلا بإرادة الله ومشيئته، ولا تحصل إلا بقدرته سبحانه. قال تعالى:

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

وقال سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦].

وتنقسم هذه المخلوقات إلى قسمين:

القسم الأول: مخلوقات لا كسب لأحد فيها إلا لله سبحانه، وهي كل ما يقع في الكون على وجه القسر والقهر والحتم واللاإرادة، كحركة الأفلاك وفصول السنة، ونمو الأشجار والنبات والإنسان ونزول الأمطار، وكثير من وظائف الأجهزة عند الإنسان وحركاتها وأعمالها، وطول الإنسان ولونه وشكله وذكائه، ومدة حياته وموته، فالإنسان في كل ذلك مسير لا اختيار له فيها، وهو غير مكلف ولا مؤاخذ عليها، ولا يتعلق بها ثواب ولا عقاب.

قال سبحانه: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾

[آل عمران: ٥-٦].

وقال عز وجل: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٨ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٦٩ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٦٨-٧٠].

وقال أيضاً: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن

تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].

القسم الثاني: مخلوقات اكتسابية يتصف بها الإنسان بكسبه وسعيه الاختياري كإقباله على الطعام والشراب والدراسة والعبادة والإيمان وغير ذلك، والإنسان في كل ذلك مخير.

قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾

[الكهف: ٢٩].

وهذا النوع هو الذي تتعلق به المؤاخذة والمسؤولية والمحاسبة والجزاء.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾

[يونس: ١٠٨].

وقال سبحانه: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾

[التوبة: ١٠٥].

وقال عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

والله عز وجل يقاضي عباده ويحاسبهم ويؤاخذهم على قصدهم وكسبهم.

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾

[البقرة: ٢٨٦].

وقال سبحانه: ﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١].

وقال عز وجل:

﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠].

وقال عز وجل: ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [غافر: ١٧].

قال الخطابي: [وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه وتعالى العبد، وقهره على ما قدره وقضاه، وليس الأمر كما يتوهمونه وإنما معناه: الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه وتعالى بما يكون من اكتسابات العبد وصدورها عن تقدير منه، وخلقه لها خيرها وشرها، والقدر اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر][1] فالإنسان مسير في الأمور التي لا إرادة له فيها ولا قدرة، وهو لا يحاسب عليها، وهو مخير في الأمور التي تكون ضمن إرادته وقدرته وسعيه وكسبه، وهي التي يحاسب عليها، ويكافأ أو يعاقب.

رابعاً - إن ما يصيب الإنسان من البلاء والمصائب والتي تقع ضمن دائرة التسيير ولا خيار له فيها، هي من قدر الله عز وجل الذي يقول:

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ﴾ [الحديد: ٢٢].

وهي قضاء منه سبحانه حيث يقول:

﴿ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾

[غافر: ٦٨].

---

(١) النووي، شرح صحيح مسلم، الجزء الأول، الصفحة ١٥٤.

وهي بلاء من الله عز وجل وامتحان كما قال الله تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

وما على المؤمن إلا أن يصبر ويقول ما علمه الله سبحانه:

﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

[البقرة: ١٥٥-١٥٦].

فإذا حصل للإنسان شيء من ذلك، فعليه أن يصبر على ما أصابه ويرضى بقضاء الله، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ:

«عجبت من قضاء الله سبحانه للمؤمن، إن أصابه خير حمد ربه وشكر، وإن أصابته مصيبة حمد ربه وصبر، والمؤمن يؤجر في كل شيء»(١).

ويوجه رسول الله ﷺ العبد الذي تصيبه المصيبة فيقول: **«لا تقل: لو فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن كلمة لو تفتح عمل الشيطان»**(٢).

خامساً - خلق الله الإنسان مزوداً بقوى وملكات واستعدادات يمكن أن توجه إلى الخير كما يمكن أن توجه إلى الشر. قال تعالى:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧-٨].

والله عز وجل زود الإنسان بالعقل الذي يميز به بين الحق والباطل،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص، الجزء الأول، الصفحة ٣٦٦، رقم الحديث ١٤٨٧.

(٢) أخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله، الصفحة ٢٠٥٢، رقم الحديث ٢٦٦٤.

وأعطاه القدرة التي يستطيع بها أن يحق الحق ويبطل الباطل، ورسم له منهج الحق بما أنزل من كتب وبما أرسل من رسل، وما دام العقل المميز موجوداً، والقدرة على الفعل صالحة، والمنهج المرسوم واضحاً، فقد ثبت للإنسان حرية الإرادة، واختيار العقل، وعلى الإنسان أن يوجه قواه إلى ما يختاره لنفسه من حق أو باطل. قال الله تعالى:

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

وكل إنسان مسؤول عن تهذيب نفسه وإصلاحها، لتصل إلى فلاحها وفوزها برضا الله، كما أن إهمالها يسبب خيبتها وخسرانها.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

سادساً ـ أما قوله سبحانه وتعالى:

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر: ٨].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣].

[أي أن الله عز وجل لا يعجزه شيء عن أن يقذف أسباب الهداية الجبرية في قلب أضل الكافرين والمارقين، وأن يقذف أسباب الضلالة في قلب أصلح عباده المؤمنين، ولكنه سبحانه كتب على نفسه (تفضلاً منه وإحساناً) ألا يضل من الناس إلا من تعرض لأسباب الغواية وصرف نفسه عن وسائل الهداية وأسبابها، وأن يقرب أسباب الهداية والتوفيق لكل من عزم على استجابة أمر الله وتكاليفه، وبسط يد العبودية نحوه يسأله العون والتأييد][1].

---

(١) د.محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، مرجع سابق، الصفحة ١٦٨.

وحينما نرجع إلى الآيات القرآنية نجد هذا المعنى بيناً واضحاً، لا لبس فيه ولا غموض فالله تعالى يقول:

﴿ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾ [الرعد: ٢٧].

وقال أيضاً: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقال جل وعلا: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد: ١٧].

فهداية الله للناس بمعنى لطفه بهم، وتوفيقهم للعمل الصالح، إنما هي ثمرة جهاد للنفس وإنابة إلى الله، واستمساك بإرشاده ووحيه، فالذين يسيرون في طريق الهداية يهديهم الله أما الظالمون والفاسقون والكافرون والمسرفون الكاذبون الذين لم يريدوا الهداية فالله لا يهديهم.

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقال أيضاً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٨].

ويقول القرآن الكريم في الإضلال:

﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٦-٢٧].

وقال سبحانه: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وقال عز وجل: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر: ٣٥].

وقال عز وعلا: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الصف: ٥].

وقال تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤].

وقال أيضاً: ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٥٥].

[فترى من هذه الآيات أن سبب الانحلال هو الزيغ، والخروج عن تعاليم الله، والكبر، والجبروت، والتعالي على الناس بغير حق، ونقض عهد الله وقطع ما أمر الله به أن يوصل، ووصل ما أمر الله به أن يقطع، والفساد في الأرض، والكفر واقتراف الآثام، فهذه هي الأسباب التي أضلت الناس، وأخرجتهم عن منهج الحق لأنهم آثروا العمى على الهدى، واستحبوا الظلام على النور، فكان أن كافأهم الله فأصمهم، وأعمى أبصارهم بمقتضى نظامه في ارتباط الأسباب بمسبباتها](١).

وخلاصة الأمر في هذا الموضوع قول الله عز وجل:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥-١٠].

وقوله سبحانه:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ ﴾ [التوبة: ١١٥].

---

(١) السيد سابق، العقائد الإسلامية، مرجع سابق، الصفحة ١٠٨.

مع أن الله عز وجل أعطى الإنسان حرية الاختيار فإنه سهل له أيضاً طريق الهداية ورضي له الإيمان ولم يرض له الكفر. قال تعالى:

﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾ [الزمر: ٧].

سابعاً - يجب على المؤمن أن يعلم أن ما كلفه الله به إنما هو ضمن استطاعته، لأنه يعلم أن من صفات الخالق جل جلاله أنه رؤوف رحيم، وليس من رأفته ورحمته وعدله أن يكلف مخلوقاً من مخلوقاته فوق وسعه وطاقته، تكليفاً يراد منه التنفيذ الذي يعجز عنه، ثم يعاقبه على المخالفة أو التقصير.

قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال سبحانه: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾ [الطلاق: ٧].

وقال عز وعلا: ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

ثامناً - يجب على المؤمن ألا يتخذ القدر سبيلاً إلى التواكل، وذريعة إلى المعاصي، ولا طريقاً إلى القول بالجبر، وإنما يجب أن يتخذه سبيلاً إلى تحقيق الغايات الكبرى من جلائل الأعمال.

هذا وإن من القدر ما يدفع بالقدر، فالمؤمن يدفع قدر الجوع بقدر الأكل، وقدر الظمأ بقدر الريِّ، وقدر المرض بقدر العلاج والصحة، وقدر الكسل بقدر النشاط والعمل، وقدر الجهل بقدر العلم.

عن عبد الله بن عباس: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى

الشام، حتى إذا كان بسَرْغ[1] لقيه أمراء الأجناد، أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام.

قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجت لأمر، ولانرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ، ولانرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي الأنصار، فدعوتهم، فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم، فلم يختلف منهم عليه رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تُقْدِمَهُمْ على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر[2] فأصبحوا عليه، قال أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله ؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ؟! نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل هبطت وادياً له عُدوتان[3]، إحداهما خصبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف، وكان متغيباً في بعض حاجته، فقال: إن عندي في هذا علماً، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه. وإذا وقع بأرض وأنتم بها**

---

(١) سرغ: قرية بوادي تبوك قريبة من الشام.
(٢) مصبح على ظهر: مسافر في الصباح راكباً ظهر الراحلة راجعاً إلى المدينة.
(٣) عُدْوتان: شاطئان وحافتان. (القسطلاني، إرشاد الساري، المجلد الثامن، رقم الصفحة ٣٨٤).

فلا تخرجوا أفراداً منه» قال: فحمد الله عمر ثم انصرف[1].

تاسعاً - يجب على كل مؤمن أن يؤمن أن الأجل محتوم من الله عز وجل، فهو وحده الذي يقدر بدايته ونهايته.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥].

وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

وقال عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

وقال عز وعلا: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [الواقعة: ٦٠].

وعلى كل مسلم أن يؤمن يقيناً بأن الإنسان لا يموت إلا إذا انتهى أجله، وبأن المميت هو الله تعالى وحده.

وما يحصل من أمور مختلفة تؤدي إلى الموت، ليست إلا أسباباً صورية للموت، لأن سبب الموت في الحقيقة هو انتهاء الأجل الذي قدره الله تعالى لكل مخلوق.

عاشراً - يجب على كل مؤمن أن يؤمن أن الرزق مقدور من الله تعالى لكل مخلوق وأن الرزاق هو الله وحده قال تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الإسراء: ٣٠].

وقال سبحانه: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت: ١٧].

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، الصفحة ٢١٦٣، رقم الحديث ٥٣٩٧.

وقال عز وجل: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦].

وقال عز وعلا: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

وقال عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ﴾ [النحل: ٧١].

ولكن على المؤمن مع هذا الاعتقاد القيام بطلب الرزق والسعي إليه لأن الله تعالى أمر عباده بالسعي في طلب الرزق منه.

قال سبحانه: ﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

فمسألة الرزق تقوم على أساسيين:

أولاً ـ الإيمان والاعتقاد بأن الله سبحانه هو الرزاق لخلقه.

ثانياً ـ وجوب السعي في طلب الرزق في شتى المجالات.

فإذا تحقق الإيمان بأن الرزاق هو الله سبحانه، إلى جانب القيام بالسعي في طلب الرزق فإن ذلك يجعل المؤمن أكثر اعتماداً وتوكلاً على الله تعالى، وأعلى همة في السعي للحصول على ما كتبه الله تعالى وقدره له من خير ورزق.

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩].

حادي عشر ـ يجب على المؤمن أن يتخذ مختلف الأسباب المادية التي أمر الله باتخاذها لتحقيق النتائج المطلوبة التي تقع ضمن دائرة المسؤولية والتكليف، وعليه أن يلتجأ بقلبه إلى الله متوكلاً عليه، معتمداً

على معرفته، مستعيناً بقوته لتحقيق ما يرجوه من نتائج يباشر أسبابها على قدر استطاعته ويسأله تعالى أن يدفع عنه العقبات، ويمنع عنه العراقيل، ويمده بالتأييد والتسديد، والتوفيق والمعونة.

وفي هذا المعنى يقول الله عز وجل:

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والتوكل على الله تعالى فريضة اعتقادية، جاء الأمر بها في كثير من الآيات القرآنية.

قال الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٣].

وقال سبحانه: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ﴾

[هود: ١٢٣].

وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾ [الطلاق: ٣].

وحين لا تتحقق النتائج المرجوة بعد اتخاذ الأسباب المستطاعة، والتوكل على الله، فإن المؤمن يعتقد أن الله قد قضى له ما هو خير، وادخر له الأفضل والأحسن.

فهو يستقبل عدم تحقق النتائج التي يرجوها بمثل استقباله لها فيما لو تحققت.

وهكذا حال المؤمن يعمل بالأسباب ويتوكل على مسبب الأسباب ويرضى بما يقضيه الله مما يحب ومما يكره.

رضا المؤمن بما قسم الله له من الرزق:

[المؤمن راضٍ بما قسم الله له من رزق، وما قدر له من مواهب، وما وهب له من حظ لأنه مؤمن بعدل الله فيما قسم من أرزاق، وبحكمته فيما وزع من مواهب وبفضله ورحمته فيما وهب لعباده من حظوظ، وهذا هو

معنى: «القناعة الذي حث عليه الدين، وأشاد به الحكماء الصالحون][1].

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

وقال سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٤-١٥].

وقال ﷺ:

«يا أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل، ودعوا ما حرم»[2].

ثمار الإيمان بالقضاء والقدر:

ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر كثيرة جداً أذكر منها ما يلي:

١ـ المؤمن بالقضاء والقدر يعتقد أنه لن يصيبه إلا ما قدر الله له.

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

لذلك لا يخاف من مواجهة الأقدار، يندفع في هذه الحياة بكل شجاعة وإقدام فيما يحبه الله ويرضاه.

---

(١) د. يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، مرجع سابق، الصفحة ١١٨.

(٢) أخرجه ابن ماجه، الجزء الثاني، كتاب التجارات، باب الاقتصاد في طلب المعيشة، الصفحة ٧٢٥، رقم الحديث ٢١٤٤.

٢ـ من آمن أن الله خلق كل شيء بقدر تراه حريصاً على معرفة أقدار الخير ليدفع بها أقدار الشر، فهو يدفع قدر الجوع بقدر الطعام، وقدر المرض بقدر الدواء، وقدر الفقر بقدر السعي في طلب الرزق، وقدر الجهل بقدر العلم.

٣ـ ومن آمن بقدر الله سبحانه تراه لا يأسى على ما فاته، ولا يصيبه اليأس بسبب كثرة المصائب، ولا يفتخر، أو يتكبر مهما أوتي من حظوظ مؤمناً بقوله سبحانه:

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد: ٢٢ـ٢٣].

٤ـ ومن آمن بقدر الله سبحانه وقدرته ومشيئته، وعرف عجزه وحاجته إلى خالقه تراه صادقاً في توكله على ربه، يأخذ بالأسباب التي قدر الله أقدارها، ويطلب من ربه العون على ما أعجزه منها، يردد في يقين قوله تعالى:

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ٥١].

٥ـ من آمن بقدر الله امتنع عن المحرمات إذا عمل في الدنيا واكتسابها وكان عفيفاً عن الحرام وربحه مؤمناً بقوله تعالى:

﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢].

٦ـ من آمن بقدر الله سبحانه يعلم أن الخيرة في التسليم والرضا، لا في السخط أو الاعتراض أو الجزع أو الانتحار، ويقرأ في جميع أحواله قول الله تعالى:

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ

﴿يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقول رسول الله ﷺ في دعائه بعد أن يفرغ من الصلاة:

«اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد[(١)]»[(٢)].

٧ـ من آمن بقدر الله سبحانه لا يجزع ولا يفزع ولا يسخط عند المصائب ونزول النوائب بل يستسلم لقدر الله ويحتسب عند الله الثواب ويذكر عند الصدمة الأولى قول الله تعالى:

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾

[البقرة: ١٥٥ـ١٥٧].

ويذكر ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«الإيمان بالقدر يذهب الهم والحزن»[(٣)].

ويردد قول النبي ﷺ:

«آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره»[(٤)].

---

(١) الجد: المشهور بالفتح، وهو الحظ والغنى والعظمة والسلطان أي لا ينفع ذا الحظ في الدنيا بالمال والولد والعظمة والسلطان منك حظه أي لا ينجيه حظه منك وإنما ينفعه وينجيه العمل الصالح. (النووي، شرح صحيح مسلم، المجلد الثالث، الجزء الخامس، الصفحة ٩٣).

(٢) أخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، الصفحة ٤١٤، رقم الحديث ٥٩٣.

(٣) أخرجه الديلمي في الفردوس، الجزء الأول، الصفحة ١١٣، رقم الحديث ٣٨٤.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه، الجزء الأول، باب الإخبار عن وصف الإسلام والإيمان، الصفحة ٣٨٩، رقم الحديث ١٦٨.

الباب الخامس

التوصيات والخاتمة

الفصل الأول

الثبات على العقيدة

العقيدة هي الأساس في بناء الإسلام، لذلك حرص الإسلام أول ما حرص على أن يكون أساسه قوياً، فأعطى لترسيخ العقيدة زمناً كافياً، يكفي لإرسائها وصقلها في قلوب أتباعها بالتجارب المريرة، وصهرها في نفوسهم في طاقات كبرى من الاحتمال والتضحية والفداء.

[وهكذا لبثت الدعوة الإسلامية ثلاثة عشر عاماً في مكة في وضع الأساس لبنائها، وتربية جيل من الناس، يحمل العقيدة في صدوره، مطمئنة بها قلوبه، مقتنعة بها عقوله، محتملة أعصابه أشد ألوان العذاب، مستعذبة أبدانه أعنف ألوان الأذى، مستعدة نفوسه لبذل الحياة بأسرها من أجل أن تظل العقيدة نابضة بالحياة، تؤدي رسالتها الإنسانية الكبرى](١).

ويتعرض أصحاب العقائد دائماً إلى هزاتٍ عنيفة من أعدائهم كي تنتزع العقيدة من نفوسهم.

---

(١) محمد عبد الله السمان، العقيدة والقوة معاً، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م، الصفحة ٢١.

وكلما تغلغلت هذه العقيدة في نفوس أصحابها، وتعمق اقتناعهم ويقينهم بها، فإنهم سيملكون الثبات أمام مخططات أعدائهم التي تحاول زعزعة هذه العقيدة في نفوسهم.

وبالتالي تقوى إرادتهم، ويعظم ثباتهم وصبرهم على تحمل الأذى من أعدائهم، مهما اشتدت ألوانه وتنوعت أشكاله، دون تردد أو تبدل أو تغير، بل تزيدهم المحن والتجارب تمسكاً بعقيدتهم والدفاع عنها مهما كلفهم ذلك من تضحيات، ولقد بين الله عز وجل في قرآنه الكريم، أن المؤمن معرض دائماً للبلاء والمحن والاختبار، وخاصة في عقيدته، ليظهر مقدار تمسكه بهذه العقيدة واقتناعه بها واستجابته لها.

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣].

[إن الإيمان ليس كلمة تقال، إنما هو حقيقة ذات تكاليف، وأمانة ذات أعباء، وجهاد يحتاج إلى صبر، وجهد يحتاج إلى احتمال، فلا يكفي أن يقول الناس: آمنا، وهم لا يتركون لهذه الدعوى، حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها ويخرجوا منها صافية عناصرهم خالصة قلوبهم](١).

كذلك بين الله عز وجل في قرآنه الكريم حقيقة المؤمن الصادق في إيمانه، أنه لا يرتاب مهما واجهته الحياة بالتجارب والامتحانات. فقال سبحانه:

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، الجزء الخامس، الصفحة ٢٧٢٠.

[فالإيمان تصديق القلب بالله ورسوله، التصديق الذي لا يرد عليه شك ولا ارتياب، التصديق المطمئن الثابت المستيقن الذي لا يتزعزع ولا يضطرب ولا تهجس فيه الهواجس، ولا يتلجلج فيه القلب والشعور، والذي ينبثق منه الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله، فالقلب متى تذوق حلاوة هذا الإيمان واطمأن إليه وثبت عليه، لابد مندفع لتحقيق حقيقته في خارج القلب في واقع الحياة في دنيا الناس](١).

﴿أولئك هم الصادقون﴾: الصادقون في عقيدتهم، الصادقون حين يقولون إنهم مؤمنون، فإذا لم تتحقق تلك المشاعر في القلب، ولم تتحقق آثارها في واقع الحياة، فالإيمان لا يتحقق، والصدق في العقيدة وفي ادعائها لا يكون.

وهذه الآية تشير إلى تنبيه القلوب المؤمنة إلى مزالق الطريق، وأخطار الرحلة، لتعزم أمرها، وتحتسب وتستقيم، ولا ترتاب عندما يدلهم الأفق، ويظلم الجو، وتشتد العواصف والرياح، والثبات على العقيدة، من الأمور التي أظهر الله في قرآنه الكريم أهميتها، من خلال إظهار المآل الذي سيكافأ به هؤلاء المستقيمون على عقيدتهم، والثابتون عليها.

فقد بين الله عز وجل أنه سيكافىء ويكرم المؤمن الثابت على عقيدته والمستقيم عليها عن طريق صحبة الملائكة له يؤمنونه ويطمئنونه ويبشرونه بالجنة مع ولايتهم في الدنيا والآخرة.

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، الجزء السادس، الصفحة ٣٣٤٩.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

ولقد ذكر الله عز وجل للمؤمنين في كل زمان ومكان نماذج كثيرة من المؤمنين السابقين قبل الإسلام، وكيف ثبتوا على عقيدتهم مع صعوبة ما واجههم من امتحانات كثيرة، وبلاء شديد؟ لتكون هذه النماذج دروساً تحتذى عبر العصور والأزمان، حتى يصبر أهل العقيدة على عقيدتهم، ويثبتوا عليها ويستقيموا، ولا يتزعزعوا مهما مرّ بهم من صعوبات وأزمات وامتحانات وبلاء، وقد اخترت من هذه النماذج القصص الثلاث:

(سحرة فرعون، فتية الكهف، مؤمنين الأخدود) لتكون قدوة للنشء في الثبات.

أولاً ـ سحرة فرعون:

قال الله عز وجل: ﴿۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۝١١٧ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١١٨ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ۝١١٩ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ۝١٢٠ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۝١٢٢ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝١٢٣ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۝١٢٤ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝١٢٥ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١١٧-١٢٦].

[أرسل الله عز وجل موسى عليه السلام إلى فرعون، وهو ملك مصر، وكان فرعون وقومه من الكافرين، أرسله ليدعو فرعون وقومه إلى الله عز وجل ويبلغه أنه رسول من رب العالمين، وأراه معجزتيه «العصا واليد» فقال فرعون: إن هذا لساحر عظيم، ووافقه سادات قومه واتفقوا على

إبطال ما جاء به بما اشتهروا به من السحر، وجمعوا له السحرة ليعارضوه بنظير ماأراهم من البينات، وذلك في يوم الزينة، عندما اجتمع الناس فيه من وقت الضحى، وألقى السحرة بما لديهم من الحبال والعصي. قال تعالى:

﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٦-٦٨].

ثم يخبر الله تعالى في هذه الآيات أنه أوحى إلى عبده ورسوله موسى عليه السلام في ذلك الموقف العظيم، الذي فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل، يأمره بأن يلقي عصاه، فإذا هي تلقف ما يأفكون، أي تأكل ما يلقونه ويوهمون أنه حق وهو باطل، قال ابن عباس: فجعلت لا تمر بشيء من حبالهم ولا من خشبهم إلا التقمته، فعرف السحرة أن هذا شيء من السماء وليس بسحر، فخروا سجداً](١).

آمن السحرة برب العالمين رب موسى وهارون.

هؤلاء السحرة الذين هم أعلم الناس بحقيقة فنهم، ومدى ما يمكن أن يبلغ إليه. ولكنهم عندما رأوا عصا موسى وما فعلت بسحرهم، أدركوا أن الذي جاء به موسى ليس سحراً بل قدرة فوق قدرة البشر والسحر، وسرعان ما تسرب الإيمان إلى قلوبهم، فأعلنوا صيحة الحق مدوية وأظهروا إيمانهم علانية بكل جرأة وتحدٍ، ولم يهتموا لتهديد فرعون - ذلك الطاغية المتجبر المتكبر - بالتعذيب والتشويه والتنكيل، بل تمسكوا بعقيدتهم وثبتوا عليها، هذه العقيدة التي تحتقر الفناء الزائل إلى جوار الخلود المقيم.

---

(١) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء الثاني، الصفحة ٢٤٦ وما بعدها.

﴿قالوا إنا إلى ربنا منقلبون﴾ إنه الإيمان الذي لا يفزع ولا يتزعزع كما أنه لا يخضع أو يخنع، الإيمان الذي يطمئن إلى النهاية فيرضاها، ويستيقن من الرجعة إلى ربه فيطمئن إلى جواره ويطلب من ربه الصبر على الفتنة والوفاة على الإسلام ﴿ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين﴾

أهم القبسات العقدية في هذه القصة:

أولاً - قد يكون للباطل بهرجة ومظهر جذاب من ورائه الكذب والدجل والخداع، وقد يتأثر بعض الناس به، لكن الحقيقة الصحيحة المؤيدة من الله سبحانه ستنتصر، وتعلو وتظهر بطلان وفساد ما أظهروه للناس.

ثانياً - على الإنسان أن يذعن أمام الحق إذا عرض عليه، وأن يتمسك بالعقيدة الصحيحة عقيدة التوحيد والإيمان بالله عز وجل، ولو أدى ذلك لترك عقيدته السابقة الفاسدة.

ثالثاً - أن يثبت المؤمن على العقيدة الصحيحة التي تدله على الله عز وجل، وتربطه بتعاليمه الحكيمة ولا ينزاح عنها مهما كلفه ذلك من ثمن.

رابعاً - أن يلتجىء المؤمن إلى ربه عند فتنة العقيدة، ويدعوه بأن يفرغ عليه الصبر على الشدائد والثبات على العقيدة، وأن يتوفاه عليها غير مفتون.

ثانياً - فتية الكهف:

قال الله عز وجل: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن

نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٣-١٦].

روى مجاهد عن ابن عباس:

[أن هؤلاء الفتية كانوا في دين ملك يعبد الأصنام، ويذبح لها ويكفر بالله، وقد تابعه على ذلك أهل المدينة، فوقع للفتية علم من بعض الحواريين فآمنوا بالله، ورأوا ببصائرهم قبيح فعل الناس، فأخذوا نفوسهم بالتزام الدين وعبادة الله، فرفع أمرهم إلى الملك وقيل له: إنهم قد فارقوا دينك واستخفوا آلهتك وكفروا بها، فاستحضرهم الملك إلى مجلسه وأمرهم باتباع دينه والذبح لآلهته، وتوعدهم على فراق ذلك بالقتل فقالوا:

﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٤-١٥].

فقال لهم الملك: إنكم شبان أغمار(١) لا عقول لكم، وأنا لا أعجل بكم بل أستأني، فاذهبوا إلى منازلكم، ودبروا رأيكم وارجعوا إلى أمري، وضرب لهم في ذلك أجلاً ثم إنه سافر خلال الأجل فتشاور الفتية في الهروب بأديانهم، فقال لهم أحدهم: إني أعرف كهفاً في جبل كذا، كان أبي يدخل فيه غنمه فلنذهب فلنتخف فيه حتى يفتح الله لنا، فخرجوا

---

(١) أغمار: جمع غُمر وهو الجاهل الغر الذي لم يجرب الأمور (ابن منظور، لسان العرب، الجزء العاشر، الصفحة ١١٨).

يلعبون بالصولجان[1] والكرة، وهم يدحرجونها نحو طريقهم لئلا يشعر الناس بهم حتى خلصوا بذلك][2].

وهكذا اختار هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم، وزادهم الله هدى وربط على قلوبهم، أن يعتزلوا قومهم ويهجروا ديارهم ويفارقوا أهلهم، متجردين من زينة الأرض ومتاع الحياة، آوين إلى كهف ضيق خشن مظلم، في سبيل الحفاظ على عقيدتهم والثبات عليها، راجين الله أن ينشر لهم رحمته فيلقي ظلال السعة والبحبوحة والانفساح، وأن يهيىء لهم من أمرهم مرفقاً.

أهم القبسات العقدية من هذه القصة:

أولاً ـ عقيدة الشباب عقيدة قوية تدخل في الأعماق فيباركها الله، بأن يزيدهم هدى ويلهمهم كيف يدبرون أمورهم؟ ويربط على قلوبهم، فإذا هي ثابتة راسخة، مطمئنة إلى الحق الذي عرفت، معتزة بالإيمان الذي اختارت.

ثانياً ـ الثبات على العقيدة الصحيحة وإن خالفت معتقدات الآخرين، وخاصة من لديهم القوة والأمر، وعدم الخوف أو التردد أو الارتياب، بل الحوار معهم بالتي هي أحسن، قال تعالى:

﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل: ١٢٥].

دون اللجوء إلى القوة والصدام، قال تعالى:

﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٦].

---

(١) الصولجان: المحجن وهو العصا المعوجة، ابن منظور، لسان العرب، الجزء الثالث، الصفحة ٦٨.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء العاشر، الصفحة ٣٥٩.

ثالثاً ـ الحفاظ على العقيدة وما تدعو إليه، مهما كانت الظروف المحيطة بالإنسان، ويعينه على ذلك مصاحبة المؤمنين بعقيدته والتزامهم ومجالستهم، ولو كلفه ذلك الابتعاد عن الآخرين ليتقي شرهم وبغضهم وعداوتهم.

ثالثاً ـ مؤمنو الأخدود:

قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾

[البروج: ٤ـ١١].

[لعن الله أصحاب الأخدود، وهم كفار حفروا حفرة في الأرض ثم عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله عز وجل فقهروهم، وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم، فجهزوا لهم في الأرض أخدوداً وأججوا فيه ناراً، وأعدوا لهم وقوداً يسعرونها به ثم قذفوهم فيها، وماكان لهم عندهم من ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذي لا يضام من لاذ بجنابه المنيع الحميد، في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره، وإن كان قدر على عباده هؤلاء هذا الذي وقع بهم بأيدي الكفار به فهو العزيز الحميد، وإن خفي سبب ذلك على كثير من الناس، لكن الله المالك لجميع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، والله لا يغيب عنه شيء في جميع السموات والأرض، ولا تخفى عليه خافية، لكن الله سيعاقب أولئك الكفرة الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا ولم يندموا على ما

فعلوا، بأن لهم عذاب جهنم في الآخرة ثم لهم عذاب الحريق في الدنيا، لإحراقهم المؤمنين بالنار ولهم عذاب زائد على عذاب كفرهم في الآخرة بما أحرقوا المؤمنين.

أما الذين آمنوا لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها وذلك الفوز الكبير][1].

وهكذا ثبت مؤمنو الأخدود على عقيدتهم، ولم يستكينوا أو يضعفوا أو يتزعزعوا، بل صمدوا من أجلها، وصبروا على ما لاقوه من أعدائها، لأنهم على ثقة بالمصير النهائي والفوز الكبير.

فعذاب جهنم وعذاب الحريق لأعدائهم، ولهم جنات تجري من تحتها الأنهار.

وروي عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه فكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكى ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم، الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب

---

(١) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم الجزء الرابع، رقم ٥٢٦ وما بعدها، والقرطبي الجامع لأحكام القرآن الجزء ١٩، رقم ٢٩٤

فأخبره فقال له الراهب: أي بنيّ ! أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي، وكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردّ عليك بصرك، قال: ربي، وقال: ولك رب غيري، قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بنيّ قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمه والأبرص، وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقال له: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به إلى الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلاّ فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا الجبل، فقال: اللهمّ اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قُرقورٍ[1] فتوسَّطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت

---

(١) القُرقُور: السفينة الصغيرة، وقيل الكبيرة. (النووي، شرح صحيح مسلم، المجلد التاسع، الجزء ١٨، الصفحة ١٣١).

فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك، قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو ؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذعٍ، ثمَّ خذ سهماً من كنانتي، ثمَّ ضع السهم في كبد القوس، ثمَّ قل: باسم الله رب الغلام، ثمَّ ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذعٍ، ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام، فأُتِيَ الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر ؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس فأمر بالأخدود في أفواه السِّكَك فخدَّت، وأضرم النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها، أو قيل اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمَّه اصبري فإنك على الحق»[١].

أهم القبسات العقدية من هذه القصة:

أولاً - [قال علماؤنا: أَعلم الله عز وجل المؤمنين من هذه الأمة في هذه الآية، ما كان يلقاه من وَحَّدَ من قبلهم من الشدائد، يؤنسهم بذلك. وذكر النبي صلى الله عليه وسلم قصة الغلام ليصبروا على ما يلاقوه من الأذى والآلام، والمشقات التي كانوا عليها ليتأسوا بمثل هذا الغلام، في

(١) أخرجه مسلم، الجزء الرابع، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، الصفحة ٢٢٩٩، رقم الحديث ٣٠٠٥.

صبره وتصلبه على الحق وتمسكه به، وبذله نفسه في حق إظهار دعوته، ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وعظم صبره. وكذلك الراهب صبر على التمسك بالحق حتى نشر بالمنشار. وكذلك كثير من الناس لما آمنوا بالله تعالى رسخ الإيمان في قلوبهم، صبروا على الطرح في النار ولم يرجعوا عن دينهم][1].

ثانياً ـ الصراع بين أهل العقيدة الصحيحة عقيدة الإيمان بالله والعقائد الفاسدة، صراع قديم قدم التاريخ، والشرور في هذا الصراع لا تظهر إلاّ من قبيل أصحاب تلك العقائد الفاسدة، بينما نجد أن المؤمنين الصادقين هم الذين يتحملون الأذى الشديد من أعدائهم، دون أن يؤذوا أحداً منهم، وليس لهم ذنب في ذلك إلا أنهم يؤمنون بالله سبحانه وتعالى.

ثالثاً ـ إن كان قدر الله عز وجل في أن يصبر ويتحمل أصحاب العقيدة الصحيحة الاضطهاد، والعداوة والأعمال الوحشية من أعدائهم الأقوياء، فإن الله لن يضيعهم، وهذا امتحان لإيمانهم، وسيكافئهم يوم القيامة بأحسن ما كانوا يعملون، وبأحسن ما كانوا يصبرون، وبأحسن ما كانوا على الحق، ثابتين مستقيمين، لا يترددون ولا يرتابون، ولا يضعفون ولا يستسلمون.

هذا بعض ما ورد في القرآن الكريم عن ثبات المؤمنين قبل الإسلام على إيمانهم، وما لاقوا في سبيل ذلك.

أما السيرة النبوية فإنها تحدثنا عن الكثير من القصص، التي تشهد بثبات المؤمنين الأوائل على العقيدة، وما لاقوا أيضاً في سبيلها.

وأهم شخصية إسلامية تتحدث عملياً في الثبات على العقيدة، هي

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء ١٩، الصفحة ١٩٣.

شخصية النبي ﷺ، فقد كان المثل الأعلى في ذلك، لا يتردد ولا يتغير، ولا يضعف ولا يستكين ولا يستسلم أمام التهديدات مهما اشتدت، ولا أمام المغريات مهما تلونت.

ومثال التهديدات:

قال ابن إسحاق: ـ وهو يتحدث عن وفد قريش مع أبي طالب، في شأن الرسول ﷺ ـ، [قالوا: يا أبا طالب: إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً، وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه](1).

واستمر رسول الله ﷺ في دعوته، فرجع وفد قريش إلى أبي طالب وحدثوه كما في المرة الأولى.

قال ابن إسحاق: [إن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة، بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخي، إن قومك قد جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا للذي كانوا قالوا له، فأبقِ عليَّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء، أنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرتهُ، والقيام معه قال: فقال رسول الله ﷺ: يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه، ماتركته](2).

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق، القسم الأول، الصفحة ٢٦٥.
(٢) المرجع نفسه، الصفحة ٢٦٦.

ومثال المغريات:

[حدث محمد بن كعب القرظي قال: حُدثت بأن عتبة بن ربيعة، وكان سيداً مطاعاً في قريش قال يوماً وهو جالس في نادي قريش «أي متحدَّثهم «والنبي ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش ألا أقوم لمحمد وأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها، فنعطه إياها ويكف عنا؟ قالوا: يا أبا الوليد فقم إليه فكلمه.

فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب ـ أي من الوسط أي الخيار حسباً ونسباً ـ وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع حتى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، فقال رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد أسمع، فقال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان كل هذا الذي يأتيك رئياً من الجن تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا، حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يسمع منه قال: لقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال نعم، قال: فاسمع مني. قال: أفعل، قال:

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ [فصلت: ١ـ٤].

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها فقرأها عليه، وقد أنصت عتبة لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣].

فأمسك عتبة على فيه ﷺ وناشده الرحم أن يكف عن ذلك، ثم انتهى إلى السجدة فيها فسجد، ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك، فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض يحلف: لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم. قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد، قال: ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني فاجعلوها لي، خلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم][1].

وهذا النموذج الأول للثبات على العقيدة الإسلامية الممثل بالنبي ﷺ.

كان القدوة الأولى والمثالية التي انتهجها الصحابة الكرام في جميع مجالات حياتهم، فهذه العقيدة التي أتى بها النبي ﷺ هزت مشاعر وكيان كثير من الناس، الذين لهم المصالح الشخصية، فأبوا أن يذعنوا لهذه العقيدة ويستسلموا للإيمان بها، بل قاموا يعادون أصحابها ويذيقونهم أشد العذاب. ولكن مواقف الثبات على العقيدة التي أظهرها هؤلاء

---

(١) علي برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، دار المعرفة بيروت لبنان، المجلد الأول، الصفحة ٤٨٦.

المؤمنون الأوائل، سجلت في أعماق القلوب المؤمنة افتخاراً واعتزازاً وتقديراً وقدوة حسنة.

والصراع القائم آنذاك بين الكفر ـ وهم أصحاب القوة والنفوذ والسيطرة ـ وبين أصحاب العقيدة ـ وهم أصحاب الحق ـ ومع أن أكثرهم كانوا فقراء ضعفاء أذلاء، لكن هذا الصراع تمخض عن انتصار الحق رغم ضعفه على الباطل رغم قوته الظاهرية، هذا الانتصار كان بسبب الثبات على العقيدة التي آمنوا بها، ودخلت مجامع قلوبهم، فآثروا من أجلها الموت على الحياة. وقد أعطاهم الرسول ﷺ المبادىء الكثيرة في ذلك ومنها:

«عن خباب قال: أتينا رسول الله ﷺ وهو في ظل الكعبة، متوسداً بردة له فقلنا: يا رسول الله ادع الله تبارك وتعالى لنا واستنصره، قال: فاحمر لونه أو تغير، فقال: لقد كان من كان قبلكم يحفر له حفرة، ويجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيشق ما يصرفه عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظم من لحم أو عصب ما يصرفه عن دينه، وليتمنَّ الله تبارك وتعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء إلى حضرموت، لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تعجلون»[١].

والأمثلة على ذلك كثيرة اخترت منها أيضاً ثلاثة نماذج:

(بلال الحبشي، آل ياسر، عبد الله بن حذافة السهمي)

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، المجلد الخامس، حديث خباب بن الأرت، الصفحة ١٠٩.

أولاً ـ بلال الحبشي رضي الله عنه:

«عن عروة بن الزبير قال: كان بلال بن رباح من المستضعفين من المؤمنين، وكان يضرب حين أسلم ليرجع عن دينه، فما أعطاهم كلمة مما يريدون، وكان الذي يعذبه أمية بن خلف»(١).

«عن ابن إسحاق: كان أمية يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى. فيقول: ـ وهو في ذلك البلاء ـ أحد أحد»(٢).

«وعن ابن إسحاق قال، كان بلال إذا اشتد عليه العذاب قال: أحدٌ، أحد، فيقولون له قل كما نقول، فيقول: إن لساني لا يُحسنه»(٣).

«روى أيوب عن محمد أن بلالاً أخذه أهله فمطوه وألقوا عليه من البطحاء، وجلد بقوة فجعلوا يقولون: ربك اللات والعزى، ويقول أحد أحد، قال فأتى عليه أبو بكر فقال: علام تعذبون هذا الإنسان؟ قال فاشتراه بسبع أواق فأعتقه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: الشرِكَةَ يا أبا بكر، فقال: قد أعتقته يا رسول الله»(٤).

«وروى مجاهد بأن بلالاً هانت عليه نفسه في الله حتى ملوه، فجعلوا

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، المجلد الثالث، دار صادر، بيروت، الصفحة ٢٣٢.

(٢) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) المرجع نفسه، الصفحة ٢٣٣.

في عنقه حبالاً، ثم أمروا صبيانهم أن يشتدوا به بين أخشبي مكة، فجعل بلال يقول: أحد أحد»[1].

أهم القبسات العقدية من هذه القصة:

١ـ يجب أن تتغلغل العقيدة في سويداء القلب علماً ومعرفة واعتقاداً ويقيناً، حتى تؤدي إلى الثبات عليها والتمسك بها، وعدم الزيغ عنها مهما كانت المواجهات والضغوط المحيطة بصاحب العقيدة.

٢ـ يجب على صاحب العقيدة الثقة بالله، وأن الله لن يضيعه، وسيكافئه بالنصر بعد الصبر، وبالفرج بعد الشدّة، وباليسر بعد العسر.

٣ـ المؤمن صاحب العقيدة والمتمسك بها والثابت عليها، لن يضيعه الله في الدنيا ولا في الآخرة، وسينال أعداؤه جزاءهم من الخزي والعار وسوء العاقبة.

«عن مجاهد في قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [ص: ٦٢ـ٦٣].

قال: يقول أبو جهل: أين بلال؟ أين فلان؟ أين فلان؟ كنا نعدُّهم في الدنيا من الأشرار، فلا نراهم في النار أم هم في مكان لا نراهم فيه، أم هم في النار لا نرى مكانهم؟»[2].

---

(١) المرجع السابق والصفحة نفسها.

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

ثانياً ـ عمار بن ياسر:

«عن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه قال: قال عمار بن ياسر: لقيت صهيب بن سنان على باب دار الأرقم ورسول الله فيها، فقلت له ما تريد؟ قال لي: ما تريد أنت؟ فقلت أردت أن أدخل على محمد فأسمع كلامه، قال: وأنا أريد ذلك، فدخلنا عليه فعرض علينا الإسلام فأسلمنا، ثم مكثنا يومنا على ذلك حتى أمسينا، ثم خرجنا ونحن مستخفون»(١).

ثم أسلم والده ياسر، وأمه سمية، وأخوه عبد الله.

«عن عروة بن الزبير قال محمد بن عمرو: المستضعفون قوم لا عشائر لهم بمكة، وليست لهم منعة ولا قوة، فكانت قريش تعذبهم في الرمضاء بأنصاف النهار ليرجعوا عن دينهم»(٢).

«عن محمد بن كعب القُرظّي قال: أخبرني من رأى عمار بن ياسر متجرداً في سراويل قال: فنظرت إلى ظهره فيه صبط(٣) كثيرة، فقلت ما هذا؟ قال: هذا مما كانت تعذبني به قريش في رمضاء مكة»(٤).

«عن عمرو بن ميمون قال: أحرق المشركون عمار بن ياسر بالنار قال: فكان رسول الله ﷺ يمر به ويمد يده على رأسه فيقول: يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار، كما كنت على إبراهيم»(٥).

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، المجلد الثالث، الصفحة ٢٤٧.
(٢) المرجع نفسه، الصفحة ٢٤٨.
(٣) صبط: آثار جروح من الضرب. (ابن منظور، لسان العرب، الجزء الثالث، الصفحة ٢٣).
(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، المجلد الثالث، الصفحة ٢٤٨.
(٥) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

«عن عثمان بن عفان قال: أقبلت أنا ورسول الله ﷺ آخذ بيدي نتماشى في البطحاء، حتى أتينا على أبي عمار وعمار وأمه وهم يعذبون، فقال ياسر: الدهر هكذا، فقال النبي ﷺ: اصبر، اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت»(١).

«روى أبو الزبير عن جابر: أن النبي ﷺ مرّ بعمار وأهله وهم يعذبون فقال لهم: أبشروا آل عمار وآل ياسر فإن موعدكم الجنة»(٢).

«وقال ابن عباس: وطعن أبو جهل سمية في قُبلها فماتت، ومات ياسر في العذاب، ورمى عبد الله فسقط»(٣).

«عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار قال: أخذ المشركون عماراً رضي الله عنه فلم يتركوه حتى سب رسول الله ﷺ وذكر آلهتهم بخير، فلما أتى الرسولَ ﷺ قال: ما وراءك؟ قال: شر يا رسول الله، ما تُركتُ حتى نلت منك، وذكرتُ آلهتهم بخير، فقال رسول الله ﷺ: فكيف تجد قلبك؟ قال: أجد قلبي مطمئناً بالإيمان.

قال: فإن عادوا فعد»(٤).

---

(١) المرجع السابق، الصفحة ٢٩٤.
وأخرجه أحمد في مسنده، مسند عثمان، الجزء الأول، الصفحة ٦٢.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، المجلد الثالث، الصفحة ٢٤٩.
وأخرجه الحاكم في مستدركه، الجزء الثالث، كتاب معرفة الصحابة باب ما خير عمار بين أمرين إلا اختار أرشدهما، الصفحة ٣٨٨.

(٣) العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، الجزء الثالث، الصفحة ٦٤٧.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، المجلد الثالث، الصفحة ٢٤٩.
وأخرجه أبو نعيم في الحلية الجزء الأول، الصفحة ١٤٠.

«عن جابر عن الحكم قال في قوله تعالى:

﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾

[النحل: ١٠٦].

نزلت في عمار بن ياسر»(١).

أهم القبسات العقدية في هذه القصة:

١ـ يجب على المسلم أن يسعى إلى من يرى عنده العقيدة الصحيحة لتتمكن العقيدة في قلبه علماً ويقيناً وعملاً وتطبيقاً فينتج عنها الثبات وعدم التردد والصبر وتحمل الأذى.

٢ـ قد تواجه صاحب العقيدة مواقف حرجة فلا يستطيع التحدث عن عقيدته أو الدفاع عنها أو قد يضطر للتخلي عن بعض أفكارها في بعض هذه المواقف ولكن قلبه مطمئن بعقيدته وحقيقتها فإن الله عز وجل يعفو عن ذلك فالله مطلع على القلوب والسرائر، مدرك للمواقف والحوادث.

٣ـ بشرى رسول الله ﷺ لآل ياسر بالجنة بشرى لجميع المؤمنين الصادقين الصابرين الثابتين على عقيدتهم لا يتغيرون ولا يتبدلون مهما واجههم من صعوبات وامتحانات وآلام ومهما كانت النتائج فكل ذلك في سبيل الله والله لا يضيع أجر المحسنين.

ثالثاً ـ ثبات عبد الله بن حذافة السهمي:

«صحب رسول الله ﷺ قديماً، وهاجر إلى أرض الحبشة، وبعثه النبي ﷺ إلى كسرى وحدث عن النبي ﷺ، وخرج إلى الشام مجاهداً

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، المجلد الثالث، الصفحة ٢٥٠.

فأسرته الروم على قيساريه[١]. وحُمل إلى الطاغية وفتنه عن دينه فلم يفتتن فأطلقه»[٢].

«وعن أبي رافع قال: وجه عمر بن الخطاب جيشاً إلى الروم، ومنهم رجلاً يقال له عبد الله ابن حذافة من أصحاب النبي ﷺ، فأسره الروم، فذهبوا به إلى ملكهم فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد، فقال له الطاغية: هل لك أن تنصَّر وأشركك في ملكي وسلطاني ؟ قال له عبد الله: لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ما ملكته العرب، على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت، قال: إذاً أقتلك، قال: أنت وذاك، قال: فأمر به فصلب، وقال للرماة، ارموه قريباً من يديه قريباً من رجليه، وهو يعرض عليه وهو يأبى ثم أمر به فأنزل، ثم دعا بقدر فصب فيه ماء حتى احترقت، ثم دعا بأسيرين من المسلمين، فأمر بأحدهما فألقي فيها، وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى، ثم أمر أن يُلقى فيها، فلما ذهب بكى فقيل له: إنه قد بكى، فظن أنه جزع فقال ردوه، فعرض عليه النصرانية فأبى، قال ما أبكاك إذاً، قال: أبكاني أني إن قتلت، هي نفس واحدة تلقى الساعة في هذه القدر فتذهب،كنت أشتهي أن تكون بعدد كل شعرة في جسدي نفس تلقى هذا في الله، قال له الطاغية: هل لك أن تُقبّل رأسي وأخلي عنك ؟ قال له عبد الله: وعن جميع أسارى المسلمين، قال: وعن جميع أسارى المسلمين. قال عبد الله: فقلت في نفسي عدوٌ من أعداء الله أقبل رأسه يخلي عني وعن

(١) قيساري: من الإبل وهو الضخم الشديد القوي، ابن منظور، لسان العرب، الجزء العاشر، الصفحة ١٥٦.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق سكينة الشهابي، مطاع الطرابيشي، تراجم حرف العين، الصفحة ١٢٠.

أسارى المسلمين، لا أبالي، قال: فدنا منه فقبل رأسه، قال: فدفع إليه الأسارى، فقدم بهم على عمر، فأخبر عمر بخبره، فقال حقٌ على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ، فقام عمر فقبل رأسه»(١).

في رواية ابن الأثير عن ابن عباس قال: فكان أصحاب رسول الله ﷺ يمازحون عبد الله فيقولون له: قبّلت رأس علج فيقول لهم: أطلق الله بتلك القبلة ثمانين من المسلمين.

أهم القبسات العقدية في هذه القصة:

١ـ صاحب العقيدة لا يخاف ولا يتبدل ولا يتغير ولا يتردد، بل يثبت على عقيدته ويستقيم عليها مهما واجهته الحياة بصعوبات وتحديات، وهو لا يخاف ولا يجزع ولا يستكين ولا يرهب، مهما حملت تلك الصعوبات والتحديات من ألوان العذاب وأشكال القهر.

٢ـ صاحب العقيدة لا يبدل عقيدته أو يتركها مهما عرض عليه من المفاتن الجميلة، والمغريات الكثيرة، فهو لا يبيع عقيدته بأي ثمن ولو غلى، فالعقيدة أغلى من كل شيء عنده في هذه الدنيا.

٣ـ صاحب العقيدة يحب كل من ينتسب إلى عقيدته، ويؤثرهم على نفسه ويسعى إلى خيرهم وراحتهم وسرورهم ونجاتهم، ولو تنازل عن رغباته وحقوقه من أجلهم.

---

(١) المرجع السابق، الصفحة ١٣٣. وابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، الجزء الثالث، الصفحة ١٤٣.

الفصل الثاني

في رحاب العقيدة

رحاب العقيدة رحاب واسعة جداً، قِدمُها قدم التاريخ، وأشخاصها الأنبياء والمرسلون، ومن آمن معهم بصدقٍ وإخلاص وثبت على هذه العقيدة واستقام. وعلى مر العصور والأزمان، وفي جميع بقاع العالم والبلدان. في هذه الرحاب ظهرت مبادىء العقيدة وأفكارها وأهدافها وغاياتها وأركانها عن طريق الأنبياء والمرسلين والدعاة المخلصين، وفي هذه الرحاب ظهر الأشخاص الذين يحملون هذه المبادىء والأفكار، معتقدين ومعلمين ومطبقين ومرشدين وثابتين ومستقيمين. ولقد ذكرتُ في الفصل السابق أمثلة من القرآن الكريم والسنة المطهرة في موضوع الثبات على هذه العقيدة والاستقامة عليها، دون تبديل أو تغيير أو انحراف أو انهزام.

وفي هذا الفصل (في رحاب العقيدة) يمكن أن نذكر سيرة النبي ﷺ منذ بعثته إلى وفاته، وكذلك سيرة جميع صحابته الكرام، الذين حملوا معه راية الدعوة إلى هذه العقيدة، بعد أن تعلموها ثم طبقوها في كل مجالات حياتهم.

ولكن خشية الإطالة جعلتني أختار من القرآن الكريم ثلاث قصص، تستخدم الحوار والمناقشة حول بعض أفكار هذه العقيدة، وطريقة الرد الإلهي عليها. والهدف من ذلك:

١ـ أن يتعلم الناشىء طريقة الحوار والنقاش في موضوع العقيدة.

٢ـ أن يظهر للناشىء أن السؤال والحوار والاستفسار في أمور العقيدة، أمر حسن بل واجب، كي يصل الناشىء إلى اليقين في عقيدته.

٣ـ أن يصل الناشىء إلى اليقين في أمور عقيدته، لأنها تعتمد على الفطرة الخيرة، والرؤيا الواضحة، والفكر المنير، والعقل السليم، والمنطق الواقعي.

٤ـ أن يتبين الناشىء أن الأمور الغيبية في موضوع العقيدة، أمور حقيقية موجودة، غابت عنا لقصور حواسنا وإدراكاتنا ـلا لأنها طلاسم لا حقيقة لها ولا وجودـ والآيات الإلهية في هذا الكون تظهر حقيقتها وتثبت وجودها.

٥ـ أن يتعمق الإيمان في قلب الناشىء، ويزداد من وراء تلك الأدلة الربانية الواضحة في مواضيع العقيدة المختلفة.

٦ـ أن يقوم الناشىء داعياً الآخرين إلى هذه العقيدة التي آمن بها، وتعلَّم أركانها، وطبَّق أوامرها، وتعلَّم من القرآن طريقة الدعوة إليها.

* * *

أولاً ـ في رحاب سيدنا إبراهيم عليه السلام[1]:

١ ـ هداية الله له:

كان إبراهيم عليه السلام فتى من أهل العراق وكان قومه أهل أوثان وكان أبوه نجاراً ينحت الأصنام ويبيعها لمن يعبدها. وكان الفضل الإلهي على إبراهيم عليه السلام أن أنار له بصيرته وهداه إلى الرشد فعلم أن الأصنام لا تسمع ولا تُبصر، وأنها لا تسمع نداء ولا تجيب دعاء ولا تضر ولا تنفع.

قال الله عز وجل: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١].

٢ ـ دعوته لقومه:

وأراد إبراهيم أن يُفهم قومه بالبرهان العملي حقيقة آلهتهم ويقيم لهم الحجة على أنها لا يمكن أن تلحق بهم أذى إذا تركوا عبادتها، أو تكسبهم خيراً إذا عبدوها لأن البرهان العملي أوقع في النفس وأرجى أن يحرز القبول.

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ

---

(١) انظر ابن كثير، قصص الأنبياء، تحقيق محمد بن أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م، الجزء الأول، الصفحة ١٧٠ وما بعدها، وعبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الصفحة ١٧٩ وما بعدها.

مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٢-٥٦].

فنوى في نفسه الشر لهذه الآلهة التي يعكفون على عبادتها، ولم تغيرهم موعظة ولا برهان عن الغواية بها، فأقسم أن يُلحق بها الأذى، وقال في نفسه:

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٧-٥٨].

وعندئذٍ جاءت المحاكمة التي يرغب فيها إبراهيم ليحق الحق ويبطل الباطل:

﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٠-٦٥].

حينئذٍ ظهرت حجة إبراهيم واضحة، ورأى الفرصة سانحة لإلزامهم الحجة:

﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٦-٦٧].

فلما أعيتهم الحيلة، ووجدت موعظته منهم قلوباً غلفاً وآذاناً صُمّاً، عمدوا إلى ما يلجأ إليه القوي الجبّار الذي لا حق معه بإزاء الحق الضعيف:

﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾

[الأنبياء: ٦٨-٧٠].

وهكذا نصره الله ونجاه من كيد الكافرين.

مناظرات إبراهيم المتعددة:

أولاً ـ مناظراته لأبيه وقومه:

هناك عدّة مناظرات لإبراهيم مع أبيه وقومه فيما يتعلق بالأصنام التي كانوا يعبدونها، والتي بين لهم أنها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع، ثم أظهر لهم حقيقة الخالق سبحانه وتعالى الذي يجب أن يعبدوه. وقد بين الله سبحانه وتعالى في قرآنه الحكيم مثل هذه المناظرات في العديد من السور، وبأشكال متنوعة، كالآيات السابقة التي مرّت معنا وكقوله تعالى:

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [الشعراء: ٦٩ـ٨٣].

وقوله تعالى:

﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٧) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠) فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩٤) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴾ [الصافات: ٨٣ـ٩٨].

وقوله سبحانه:

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٤١-٤٨].

ثانياً - مناظرته للملك:

يذكر الله عز وجل مناظرة لإبراهيم مع الملك الجبار المتمرد نمرود، الذي ادّعى لنفسه الربوبية فأبطل الخليل عليه دليله، وبين كثرة جهله وقلّة عقله، ألجمه الحجة، وأوضح له طريق الحجة.

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ثالثاً - مناظرته لقومه:

وهناك مناظرة أخرى لإبراهيم مع قومه كان الهدف منها تزييف دين قومه، أتى بها على سبيل التدرج في الإلزام، والتدرج في تكوين العقيدة عن طريق الحجة والبرهان العقلي المنطقي. ذلك أن القوم الذين كانوا يعبدون الأصنام ينحتونها على أشكال الكواكب، كالشمس والقمر وغيرهما، فأراد أن يلزمهم أن الكوكب والشمس والقمر لا تصلح لأن

تكون آلهة. وأن الإله هو الذي خلقهن وخلق السموات والأرض وبيده ملكوت كل ما فيها. وأن التماس الصحة والعافية والرزق من غيره تعالى باطل. قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٤-٧٩].

حب الاستطلاع في إبراهيم:

كان إبراهيم عليه السلام محبّاً للاستطلاع، شغوفاً بالشيء الذي يقع عنده موقع الغرابة. وقد أوحي إليه أن الله سيحيي الموتى، ويحشرهم ليوم لا ريب فيه ويجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، فأحب أن يرى ميتاً عاد حياً، فسأل الله ذلك فقال الله له: أولم تؤمن؟ قال بلى، ولكن ليطمئن قلبي. وقد كان إبراهيم عليه السلام يعلم قدرة الله على إحياء الموتى علماً يقيناً لا يحتمل الضعف، ولكن أحب أن يشاهد ذلك عياناً، ويترقى من علم اليقين إلى عين اليقين، فأجابه الله إلى سؤاله، وأعطاه غاية مأموله. فأمره الله أن يأخذ أربعة من الطير فيقتلها ويفرق أجزاءها على الجبال، ثم يدعوها فإنه سيجدها آتية إليه، وحينئذٍ يكون قد رأى الميّت وقد عاد حيّاً. ففعل ذلك فعادت إليه صحيحة كأنها لم تذق الموت حقاً.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

[البقرة: ٢٦٠].

وفي هذه القصة درس وعبرة لكل المؤمنين في موضوع الحياة بعد الموت، وقدرة الله عليه وهو الذي خلقه أول مرة كما بين ذلك الله سبحانه لذلك المشرك، عندما فتت العظم البالي ونثر ذراته في الهواء، وقال: من يحي هذه بعد أن أصبحت ذرات تذروها الرياح ؟:

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس: ٧٨-٧٩].

* * *

ثانياً ـ في رحاب سيدنا موسى عليه السلام[1]:

سؤال الرؤية:

وعد الله تعالى موسى عليه السلام مكالمته، في تمام ثلاثين ليلة، وأمره بصومها فصامها وهي شهر ذي القعدة، فلما تمت أنكر موسى رائحة فمه، فأستساك بلحاء شجرة، فأمره الله تعالى أن يكمل صيام عشرة أيام أخرى من ذي الحجة، وأن يلقى الله صائماً، فأصبح موعد اللقاء في تمام الأربعين ليلة.

ولما جاء موسى لميقات الله تعالى المحدد له لكلام ربه وإعطائه الشريعة،كلمه الله من وراء حجاب، إلا أنه أسمعه الخطاب، فناداه وناجاه ورغب موسى في الجمع بين خصلتي الكلام والرؤية، فقال: أرني أنظر إليك، فقال له سبحانه ـ وهو الذي لا تدركه الأبصار ـ: لن تراني، إذ ليس لبشرٍ القدرة على النظر إلي في الدنيا. قال رسول الله ﷺ:

«حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه[2]، ما انتهى إليه بصره من خلقه»[3].

---

(١) انظر د.وهبة الزحيلي، التفسير المنير، مرجع سابق، الجزء التاسع، الصفحة ٨٠ وما بعدها، وعبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، مرجع سابق الصفحة ٢١٣ وما بعدها.

(٢) سبحات وجهه: نوره وجلاله وبهاؤه. النووي، شرح صحيح مسلم، المجلد الثاني، الجزء الثالث، الصفحة ١٤.

(٣) أخرجه مسلم، الجزء الأول، كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام إن الله لا ينام، الصفحة ١٦١، رقم الحديث ١٧٩.

وبين الله سبحانه أنه لن يستطيع أن يثبت أويطيق الرؤيا عند تجليه تبارك وتعالى، ولإظهار ذلك قال له: ولكن انظر إلى الجبل، فإن استقر مكانه فسوف تراني، فإنه أكبر منك وأشد قوة وثباتاً.

فلما تجلى ربه للجبل، وما تجلى منه إلا قدر المفصل الأعلى من **الخنصر**، جعله تراباً مدكوكاً، عندها سقط موسى مغشياً عليه، فلما أفاق **قال** سبحانك (أي تنزيهاً وتعظيماً وإجلالاً أن يراه أحد في الدنيا إلا **مات**).

[عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ ﴿فلمّا تجلّى ربه للجبل جعله دكاً﴾ قال هكذا بإصبعه، ووضع النبي ﷺ الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر، فساخ الجبل][1].

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢ـ١٤٣].

---

(١) أخرجه أحمد في مسند أنس بن مالك، الجزء الرابع، الصفحة ٢٥١، رقم الحديث ١٢٢٦٢.
وأخرجه الترمذي، الجزء الثامن، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الأعراف، الصفحة ٢٣٣، رقم الحديث ٣٠٧٦.
وأخرجه ابن جرير الطبري، جامع البيان، المجلد السادس، الصفحة ٥٣، واللفظ له.

من هذه القصة نستدل:

١ـ على إحدى صفات الله وهي الكلام.

٢ـ على عدم قدرة الإنسان رؤية الله عز وجل في هذه الدنيا لعظمته سبحانه، ولكن المؤمن يؤمن بالله عز وجل وإن لم يكن يراه لضعف قدراته على ذلك، يؤمن بالله عن طريق آياته ومخلوقاته الكثيرة، التي تدل عليه سبحانه وتعالى.

* * *

ثالثاً ـ في رحاب عزير[1]:

كان عزير من بني إسرائيل، وفي يوم من الأيام دخل حديقته وهي مخضرة العود، وارفة الظلال، دانية القطوف، تصدح فيها البلابل، وتطرب الأطيار، فقضى ساعة متملياً بما فيها من جلال، مستمتعاً بما تحنو به من جمال، ثم ملأ سلة من العنب، وأخرى من التين، واصطحب مقداراً من الخبز وامتطى حماره، وأخذ طريقه إلى المنزل.

وبينما هو يفكر في سر الكون وعظمة الوجود، ضل به السير واضطرب أمامه الطريق، واشتبهت معالم الجهات، وإذا هو في قرية خربة خاوية من الناس. فقال: كيف يعمر الله هذه القرية بعد خرابها، ومراده استبعاد عمرانها بالبناء والسكان بعد أن خربت وتفرق أهلها، ولكنه في الوقت نفسه يستعظم قدرة الله تعالى، لِمَا رأى من شدة خرابها، فقوله ذلك: اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء، واستعظام لقدرة المحيي، فجعله الله فاقد الحس والحركة مائة عام ثم بعثه، كأنه كان نائماً، ثم استيقظ، فوجد القرية قد عمرت وتكامل ساكنوها ورجع إليها بنو إسرائيل، فقيل له بواسطة الملك: كم وقتاً لبثت ؟ وسُئل هذا السؤال ليظهر عجزه عن الإحاطة بشؤون الله تعالى، فقال: لبثت يوماً أو بعض يوم، على التقريب والتخمين لأنه مات أول النهار، ثم بعثه الله في آخر النهار، فلما رأى الشمس باقية ظن أنها شمس ذلك اليوم، فقوله هذا على

---

(١) د. وهبة الزحيلي، التفسير المنير، الجزء الثالث، مرجع سابق، الصفحة ٣١ وما بعدها.

و د. محمد أحمد جاد المولى، قصص القرآن، المكتبة الأموية، دمشق بيروت، ١٣٩٨ ـ ١٩٧٨، الصفحة ١٨٠ وما بعدها.

ما عنده وفي ظنه، فأجيب، بل لبثت مائة عام، فانظر لترى دلائل قدرتنا إلى طعامك وشرابك طوال هذه المدة، لم يتغير ولم يفسد، مع أن العادة جرت بفساد مثله بمضي فترة قليلة. وانظر إلى حمارك لترى دليل تطاول مرور الزمان عليه وعليك ودليل قدرتنا على إحياء الموتى وإعادتها كما كانت.

انظر كيف نرفع عظام حمارك المتراكمة، فنركب بعضها على بعض، ونردها إلى أماكنها من الجسد، ثم نكسوها لحماً وعصباً وعروقاً وجلداً، كما يستر الثوب الجسد.

ثم بعث الله ملكاً فنفخ الروح في هذا الجسم، فنهق بإذن الله عز وجل، وذلك كله بمرأى من العزير. فالقادر على هذا الإحياء بعد موت مائة سنة قادر على الإحياء بعد آلاف السنين، لأن الأفعال الإلهية تشبه بعضها.

فلما تبين له هذا كله قال: أنا عالم بهذا، وقد رأيته عياناً، وأعلم علماً يقيناً أن الله على كل شيء قدير لا يستعصي عليه أمر.

وقد فعل الله به ما فعل ليعاين ما استبعده، وليتيقن ما تعجب منه وليجعله دليلاً على المعاد وآية دالة على تمام قدرته سبحانه على البعث يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

من هذه القصة نستدل:

١ـ على قدرة الله عز وجل على البعث بعد الفناء، والحشر بعد النشر من القبور.

٢ـ على دليل ثابت يمكن أن يحتج به ـ في كل زمان ومكان ـ على البعث بعد الموت.

* * *

الفصل الثالث

وصية للأبناء

أيها الأبناء الأعزاء:

العقيدة هي أهم ما يجب أن تحرصوا عليه في هذه الحياة، فهي أساس الدين، وهي الغاية التي يجب أن يسعى إليها المرء في هذه الحياة كما بين ذلك الله سبحانه وتعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فغاية المسلم في هذه الحياة أن يتعرف على الله، ويحبه ويعبده، ويسير على المنهج الذي رسمه له، وهذه هي العقيدة الصحيحة. وتختلف العقيدة قوة وضعفاً من شخص إلى آخر، بحسب مدى قربه من الله ومعرفته به عز وجل، ومدى ارتباطه بهذه العقيدة، هذا الارتباط القائم على المعرفة والعلم ووضوح الأدلة في نفسه، بحيث لا يبقى ثمّة شك أو شبهة في تفكيره، ومن هنا يصل إلى اليقين والإيمان الحقيقي الصحيح.

يولد الإنسان على الفطرة، ثم يتلقى العقيدة عن طريق العادة والتقاليد، أو عن طريق التلقين، والمقلد أو المبتدى لا يؤمن عليه من

الشك والحيرة، إذا اعترضته شبهة، أو خفي عليه الاهتداء بنفسه إلى حقيقة قضيّة من قضايا الدين.

لذلك يجب عليكم يا أبناء الإسلام ـ أيها الناشئة ـ أن تبنوا عقيدتكم على أساس قويم، من العلم والمشاهدة والنظر والتفكير، والبحث والحوار الهادف، حتى تصلوا إلى الإيمان الحقيقي، فإذا ما تيسر لكم نوع من الثقافة الدينية والنظر والتفكر، ازداد إيمانكم وقوي يقينكم، وهذا المنهج الذي وضعته بين أيديكم دليلكم إلى الطريق المستقيم، فما أحراكم أن تتمسكوا به وتعملوا بمقتضاه وتسيروا على طريقه خطوة بخطوة، وتتعلموا ما فيه فكرة فكرة، حتى يكمل العلم بأفكار العقيدة في عقولكم، ويثبت الإيمان بها في أعماق قلوبكم، ويظهر العمل بها في سلوككم ومعاملاتكم. ثم تقوموا بعد ذلك دعاة لها بين إخوانكم وآبائكم وأصدقائكم وجيرانكم، وبذلك تنتشر العقيدة الصحيحة جيلاً بعد جيل، وتعود للإنسان كرامته وعزته، وتعود للمجتمع مكانته الرفيعة، وللأمة عزها التليد، وللإنسانية حضارتها المثالية.

أبنائي الأعزاء:

اعلموا أننا في زمن كثرت فيه الفتن، كما أخبر الرسول ﷺ. فلا يصرفنكم عن هذا الدين العظيم شياطين الإنس والجن بزخرف القول وأباطيل الفكر، وأنصتوا بقلوبكم إلى قوله تعالى:

﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٢٩ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النجم: ٢٩ـ٣٠].

وقوله عز وجل:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وإلى قوله تعالى يبين ندم أولئك الذين أطاعوا قرناء السوء:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

واعلموا أنه لا بد لهذه الحياة مهما طالت من نهاية، والناس بعدها فريقان: شقيٌّ وسعيد، وما ثَمَّ إلا طريقان، طريق أوله الإيمان، وأوسطه طاعة الرحمن، وآخره النور بالجنان وطريق أوله الجحود، وأوسطه العصيان، وآخره الشقاء في النيران. وشتان ما بين الطريقين.

قال الله تعالى:

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ١٩-٢٢].

وقال سبحانه:

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ١٨-٢٠].

وقال عز وجل:

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [غافر: ٥٨].

وقال تبارك وتعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

[الجاثية: ٢١].

فالمؤمن من وفقه الله سبحانه وتعالى لطريق النور والإيمان، وهداه إلى تعلم أمور العقيدة، ليصبح إيمانه محصناً بالعلم، فلا تتخطفه الشياطين عن طريق الحق بالشبه والشكوك.

واعلموا أن الله عز وجل خلق الإنسان في هذه الحياة ليحقق لنفسه غاية سعادته، ومنتهى مقصده وهي معرفته خالقه ومولاه، وعبادته بصدق وإخلاص، قال الله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا للإنسان امتحاناً واختباراً وبلاءً. قال تعالى:

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ١-٢].

ومن رحمة الله عز وجل بالإنسان أن أرسل له الأنبياء والرسل وجعل العلماء ورثة الأنبياء يُرشدون الناس ويدلونهم إلى طريق الخير، وترك لهذا الإنسان أن يختار طريقه. قال تعالى:

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

وقال سبحانه: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠].

أي بينا له طريق الخير والشر.

فلم يخلق الإنسان عبثاً في هذا الكون:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

ولن يترك الإنسان سدى:

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦].

بل سيحاسبه الله يوم القيامة، ويرى نتيجة عمله، ولن يفيده هناك إلا عمله:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧ـ٨].

ولن ينجيه هنالك مال ولاجاه ولامنصب، إلا الإيمان الصادق والعقيدة الصحيحة:

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨ـ٨٩].

فما أحراكم ـ أيها الأبناء ـ أن تتعلموا أمور عقيدتكم، وتؤمنوا بها حق الإيمان، حتى ترسخ في أعماق نفوسكم، وفي سويداء قلوبكم، فلا يستطيع أحد أن يزعزعها من نفوسكم، عندها تصبح العقيدة يقيناً في قلوبكم، وفكراً في عقولكم، وعملاً في سلوككم وحياتكم، تدافعون عنها بكل ما أوتيتم من قوة، وتثبتوا عليها ما حييتم، فلا تردد ولا تخاذل ولا تغيير ولا تبديل، بل استقامة ويقين وعلم وعمل وسلوك وتطبيق ودعوة وإرشاد.

وما أحراكم ـ أيها الأبناء ـ أن تشكروا الله عز وجل الذي هيأ لكم سبيل الإيمان، يسّر لكم طريقه، وهداكم إليه وحببه إليكم وحفظكم به.

وما أحراكم ـ أيها الأبناء ـ أن تشكروا والديكم، الذين بذلوا كل إمكانياتهم من أجل أن تتعرفوا على الإيمان، وتنجذبوا إليه وتؤمنوا به، وتعملوا بأوامره وتبتعدوا عن نواهيه، فكونوا بارّين مطيعين لهم، محبين شاكرين ولا تنسوا الدعاء لهم. قال تعالى:

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل: ١٨].

وقال عز وجل: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٥].

كذلك يجب عليكم ألا تنسوا إخوانكم في الله، الذين عشتم معهم في ظل العقيدة، وأمضيتم معهم أفضل أيام حياتكم، ألا تنسوهم من الدعاء، ومن بذل لكم الود والحب والتعاون والمساعدة مدى هذه الحياة، ولا تنسوا كذلك الأساتذة والمربين الذين بذلوا لكم أنفس ما يملكون من الوقت والجهد والصحة والمال، كي تنعموا بنور العقيدة والإيمان، وتسعدوا بتطبيق تعاليمها، وتتمسكوا بها وترتفعوا بها في الدنيا والآخرة. فهم أعطوكم كل غالٍ ونفيس، وماعليكم إلا التقدير والاحترام والشكر والمكافأة بقدر ما تستطيعون، وإلا فالدعاء لهم.

قال رسول الله ﷺ:

«من صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»(١).

* * *

(١) أخرجه أبو داود، الجزء الثاني، كتاب الزكاة، باب عطية من سأل الله، الصفحة ١٢٨، رقم الحديث ١٦٧٢.

الفصل الرابع

وصية للوالدين

أيها الآباء والأمهات:

ليس سهلاً أن تربوا أطفالكم في هذا الزمان المشحون بالتوتر وضيق الوقت، واللهاث وراء المستوى الأفضل للحياة، وتكالب الأمم وجميع القوى المعادية للإسلام، لتمزيق العقيدة في نفوس الجيل الصاعد.

غير أنه ليس مستحيلاً أن تربوا أطفالكم على العقيدة الصحيحة، مهما كانت الظروف المحدقة قاسية، فالمنهج مرسوم والخطة موضوعة في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه، وهما يصلحان لكل زمان ومكان مهما كانت الظروف، ومهما تعاقبت الأزمان.

وفي كل الأحوال فأنتما ـ أيها الوالدان ـ المسؤولان عن تربية أولادكما، ولا يفيدكما في هذا الوضع الإسقاط والتبرير، لأن هذه المسؤولية ألزمكما الله بها وحمّلكم الرسول ﷺ إياها. قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

«كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»(١).

وفي قول الرسول ﷺ:

«تناكحوا تكثروا، فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة»(٢).

دليل واضح على أن البيت المسلم يجب عليه أن يربي أبناءه تربية تحقق هدف الإسلام، وأركان الإيمان في نفوسهم وسلوكهم، لأن المباهاة إنما تكون بكثرة النسل الصالح.

وأول واجب في هذه المسؤولية تربية العقيدة الصحيحة في أعماق أولادكم تلقيناً واقعياً، وعملاً تطبيقياً، مبتعدين عن التقليد الأعمى.

وتعتبر مرحلة الطفولة من أخطر مراحل النمو، وأكبرها أثراً في النفس، فهي مرحلة البناء العقلي للشخصية بما أودع الله فيها من استعدادت ومواهب، لذلك من حق الطفل علينا أن نربي عقله، لنبعده عن الخرافة والأسطورة، وأن ننمي ملكاته، ونوجه مواهبه وننور عقله على العقيدة السليمة. ومن حقه أن نعمّق لديه الوازع الديني، ليصبح قوياً في عقيدته صلباً في رسالته، يتحمل المشاق والصعاب سعياً لرضاء الله عز وجل ثابتاً لا يتغير مهما واجهته من صعوبات، مستقيماً لا ينحرف مهما

---

(١) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، في كتاب النكاح، باب المرأة راعية في بيت زوجها، رقم الحديث ٤٩٠٤، الصفحة ١٩٩٦

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، الجزء السادس، الصفحة ١٧٣، رقم الحديث ١٠٣٩١.

تعرضت له المغريات، وهذا هو الطريق الذي سلكه الأنبياء والمرسلون في تربية أبنائهم، كوصية يعقوب لبنيه ووصية إبراهيم من قبله:

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢-١٣٣].

كما وردت إشارات إلى تربية بعض الصالحين لأبنائهم، كوصية لقمان لابنه وهو يعظه منبهاً له إلى توحيد الله وعدم الإشراك به:

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

ثم بعد ذلك بيّن له مقدار علم الله بعباده وأعمالهم مهما دقّت وخفيت، ومجازاتهم عليها كل حسب علمه:

﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

أيها الآباء والأمهات:

إن تربية العقيدة في نفوس أولادكم هي الأساس في التربية الإسلامية، فإن ترسخت العقيدة في نفوسهم أسرعوا إلى العمل بأوامر الله والابتعاد عن نواهيه، لأن العقيدة تدفع بصاحبها لتطبيق متطلباتها وتنفيذ أوامرها والابتعاد عن نواهيها، وإذا تعمّقت العقيدة في قلوب أبنائكم، فإنها ستردهم إلى طريق الصّواب في يوم من الأيام إذا ما تغلّبت عليهم الأهواء، وسيطرت عليهم الغفلات أوقاتاً في حلّهم ورحيلهم، وإقامتهم وسفرهم إلى هنا وهناك، وسيكبر أبناؤكم ويدخلون معترك الحياة من

بوّابتها العريضة، وسيعيشون مع أفراد المجتمع بما يحملون من أفكار مختلفة، وسيتعاملون مع مجتمعاتهم بما فيها من عادات وتقاليد منوّعة، تلتقي مع العقيدة حيناً وتبتعد عنها أحياناً. وإذا كان الإسلام يدعو إلى احترام الآخرين والتعامل معهم بالصدق والأمانة والتعاون والإخاء مهما كانت عقائدهم، والعيش معهم في مجتمع واحد بالثقة والمحبة، فإنه مما يساعد على ثبات أبنائكم على عقيدتهم وعدم التغيير أو الانحراف أو التأثر بكل ما يواجههم، هو تربيتكم لهم وهم صغار، عندما كانوا يعيشون تحت كنفكم وتوجيهاتكم التي اعتمدت على المنطق السليم، والتلقين الصحيح، والأسلوب الحكيم، والمراقبة الدائمة، والنصح بالحكمة، والقدوة الحسنة، والإرشاد الموجّه.

أيها الآباء والأمهات:

واجبكم ليس فقط تربية عقيدة أبنائكم، بل واجبكم تعميق هذه العقيدة في سويداء قلوب أبنائكم، حتى لا يتأثروا في مرحلة من مراحل حياتهم بأي معتقد زائف يخالف عقيدتهم الصحيحة. وهذا يتطلب منكم الجهد الكبير والعلم الغزير والمراقبة الدائمة، وأياً كان الأمر فإن ذلك من أولى واجباتكم نحو أولادكم، وإن أول سعادتكم ومنتهاها، أن تجدوا أبناءكم يحملون هذه العقيدة في قلوبهم وعقولهم، وأقوالهم وأعمالهم وسلوكهم وجميع أمورهم فينالون بذلك سعادة الدنيا والآخرة، وفي هذا يقول الشاعر:

وينشأ ناشىء الفتيان منا   على ما كان عوده أبوه
وما دان الفتى بحميً ولكن   يعوده التدين أقربوه

أيها الآباء والأمهات :

إن القدوة الحسنة منكم، لها أثر كبير في تربية أولادكم، وخاصّة في موضوع العقيدة، حيث ينشأ الأولاد على الطاعة والانقياد لله، وهذا ما أكدته الآية الكريمة :

﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣٤].

والأولاد يتصفون بما اتصفت بهم أسرهم من التربية والأخلاق، يقول سبحانه وتعالى في حكاية عن بني إسرائيل :

﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ [مريم: ٢٨].

[أي أنت من بيت طيب طاهر، معروف بالصلاح والعبادة والزهادة.. فكيف صدر منك هذا](١).

إنهم يستنكرون أن تجيء مريم على غير الصورة التي كانت عليها أسرتها الصالحة، فلم يكن الأب سيىء الخلق، ولم تكن الأم بغياً، فلا بد أن تجيء البنت على هذه السنن عفةً وطهارة.

وكم نفع صلاح الآباء الذرية والأولاد. قال الله تعالى :

﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ [الكهف: ٨٢].

حتى إن الملائكة لتدعو للآباء الصالحين أن يدخلهم الله الجنة مع أبنائهم :

﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [غافر: ٨].

---

(١) تفسير ابن كثير، الجزء الثالث، الصفحة ١٢٥.

فإذا ما نشأت الذرية على الطاعة لله ألحقت يوم القيامة بالآباء الصالحين:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١].

أيها الآباء والأمهات:

إن من أهم ما تقدمونه لأولادكم من أجل تربيتهم التربية الصحيحة، وخاصّة في موضوع العقيدة، الدعاء لهم بالصلاح والإيمان، والثبات على العقيدة الصحيحة، وحفظهم من الزيغ والفسوق والفجور، فدعاء الوالدين مستجاب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ثلاث دعوات مستجابات لهن لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالدين على ولدهما»(١).

والدعاء للأبناء بالخير سنة الأنبياء والمرسلين، فهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام لا يألو جهداً من الدعاء لولده إسماعيل وذريته. قال تعالى:

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧ـ١٢٨].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب، باب دعوة الوالدين، الصفحة ٢٣، رقم الحديث ٣٢، واللفظ له.

وأخرجه أبو داود في سننه، الجزء الثاني، كتاب الصلاة، باب الدعاء بظهر الغيب، الصفحة ٨٩، رقم الحديث ١٥٣٦.

وقال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وقال عز وجل: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

وهذا نبي الله زكريا يدعو الله أن يهب له ذريّة طيّبة:

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [آل عمران: ٣٨].

وقال الله عز وجل واصفاً عباد الرحمن وهم يدعون ربهم:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤].

أيها الآباء والأمهات:

إياكم والدعاء على أولادكم بالشر فهذا عمل خطير جداً، ومهما قلنا عن خطورته فهو أشد، لما فيه من دمار للطفل ولمستقبله ومن دمار للأبوين كذلك. ولهذا نجد النهي النبوي للآباء والأمهات عن الدعاء على أبنائهم:

قال رسول الله ﷺ:

«لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، ولا توافقوا من الله ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم»(١).

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، الجزء الثاني، كتاب الصلاة، باب النهي عن أن يدعو الإنسان على أهله وماله، الصفحة ٨٨، رقم الحديث ١٥٣٢، وقال هذا الحديث متصل الإسناد.

[وقد جاء رجل إلى عبد الله بن المبارك يشكو له عقوق ولده فقال له: هل دعوت عليه؟ فقال: بلى، فقال عبد الله بن المبارك: أنت أفسدته][1].

أيها الآباء والأمهات:

يقول رسول الله ﷺ: **«كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت»**[2].

أيُّ ضياع أشد وأخطر من إضاعة أولادكم بعدم تربيتهم على الإيمان، وتركهم بين براثن الشيطان وأعوانه من الإنس والجان. أيّ ضياع أشد وأخطر من أن يصبح أبناؤكم يوماً من الأيام أعداءً لكم يجادلونكم ويقفون في مواجهتكم يحملون لكم الحقد والشر والعداوة، وما ذلك إلا لأنكم أضعتموهم صغاراً بإهمالكم لتربيتهم فأضاعوكم كباراً. أيّ ضياع أشد وأخطر من أن يحمل أبناؤكم يوماً من الأيام عقيدة مخالفة لعقيدة الإيمان الصحيح يناقشونكم فيها ويحاورونكم عليها بجفاء، وما ذلك إلا لأنكم انشغلتم عنهم بأعمال الدنيا المختلفة، ولم تتفرغوا لتربيتهم ولو ساعة من نهار.

فحالات الضياع هذه وغيرها، من مساوىء إهمال تربية الآباء والأمهات لأولادهم، ومن أجل ذلك بيّن رسول الله ﷺ أن هذا الإهمال هو من أكبر الآثام وأعظمها.

مما سبق من أدلة أليس حرياً بكم أيها الآباء والأمهات أن يكون جل

---

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء الثاني، الصفحة ٢١٧.

(٢) الحاكم في مستدركه، الجزء الأول، الصفحة ٤١٥، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

اهتمامكم بأبنائكم ؟ أن تربوهم التربية الصحيحة، وخاصة في موضوع العقيدة، حتى لا تقعوا في الإثم من جهة، وحتى لا يضيع أولادكم من جهة أخرى فيصبحوا أعداءً لكم ولدينكم، وبذلك تخسرونهم ويخسرون أنفسهم.

ورحم الله شوقي حين قال:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من ... هـم الحياة وخلفاه ذليلاً
إن اليتيم هو الذي تلقى له ... أماً تخلّت أو أباً مشغولاً

أيها الآباء والأمهات:

امنحوا أبنائكم الوقت الكافي، ولا تلهينكم عنهم مشاغل العمل وتحصيل المال، ولا الانشغال بأدوات التسلية واللهو المختلفة، فهم أعظم وأغلى ثروة تجمعونها وتحصلون عليها، اجلسوا إلى أولادكم كل يوم ولو ساعة من الوقت، وارسموا لذلك برنامجاً. يومٌ للقرآن، ويومٌ للسيرة، ويوم للحديث الشريف، ويوم للفقه، ويوم لتراجم الصحابة، ويوم للآداب والأخلاق الإسلامية.

وتدارسوا معهم ذلك البرنامج ضمن كتب مناسبة موجهة، لتضعوها بين أيديهم للدراسة والمراجعة والحفظ. وشجعوهم على تنفيذ ما فيها قولاً وعملاً وسلوكاً وتطبيقاً، سلوهم عند الطعام من خلق هذا الطعام من خبزه وزيتونه ولحمه وجبنه وأرزه وقمحه وتفاحه وتمره وعنبه وبرتقاله و. . . . . . وموزه ؟ من خلق هذا ووضع فيه عطره، ولونه ؟

سلوهم عند النزهات في البر والبحر من خلق الشمس والقمر والجبال والشجر ؟ من جعل البحار واسعة عميقة ؟! من خلق المياه في تلك المحيطات ؟ إنه الله الخالق الرحيم، سبحان الخالق العظيم، ألا يستحق

العبادة بالحمد والشكر والخضوع والامتثال والصلاة والصوم والذكر والقرآن.

علموهم، سامروهم، راقبوهم، انصحوهم، قدموا لهم الجوائز والألعاب، كونوا معهم كفرد منهم باللطف والحنان، بالعطف والمحبة، بالضحك والبسمة، بالتشجيع والتصفيق، باللعب والمرح

في هذا الجو الأسروي الجميل ينمو الطفل نمواً متكاملاً، ويتربى على الإسلام وتعاليمه، وتتعمق العقيدة في أعماقه ونفسه، فيغدوا مؤمناً حقاً، ويتحقق فيه حديث النبي ﷺ: حول الشاب الذي نشأ في طاعة الله، والذي سيظله الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

أيها الآباء والأمهات:

إن أردتم لأولادكم التربية الصحيحة المتكاملة من جميع نواحيها، وإن أردتم لهم النشأة الصالحة التي تعطي الثمار اليانعة، وإن أردتم لهم المستقبل الزاهر والإيمان المتكامل، فاختاروا لهم الرفاق والأصدقاء الصالحين، الذين يناسبونهم في سنهم فينتفعون من صداقتهم، فالولد عن الولد ألقن، وهو عنه آخذ، وبه آنس، وإياكم ورفاق السوء، فأبعدوهم عنهم بكل الوسائل فهم سبب كل سوء وانحراف وشقاء قال الشاعر:

فلن يبلغ البنيان يوماً تمامه   إذا كنت تبنيه وغيرك يهدمُ

ومن أهم واجباتكم نحو أبنائكم أن تختاروا لهم المربين المرشدين الصالحين، الذين يهتمون بتربيتهم التربية الإيمانية الصحيحة، والذين يتحملون معكم مهمة التربية والمحافظة عليها ويعملون معكم على استمرارها، ويجب عليكم أن تشجعوا أولادكم على احترام وتقدير ومحبة

هؤلاء المربين، وترغبونهم بملازمة صحبتهم، والتأدب معهم، والتقرب منهم حتى ينالوا منهم العلم الصحيح، والإيمان الحقيقي، والسلوك المستقيم، وينتفعوا بدعائهم ونظراتهم وملاحظاتهم لهم. وفي السنة المطهرة أمثلة كثيرة في هذا الموضوع، أضرب مثالين اثنين منها:

المثال الأول:

[عبد الله بن العباس، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وصحب النبي نحو ثلاثين شهراً حيث انتقل مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح][1].

عبد الله هذا الذي عاش مع رسول الله ﷺ فقط سنتين ونصفاً، ولكنه اندفع اندفاعاً شديداً بصحبة النبي ﷺ وملازمته في حله وترحاله، وفي ذهابه وإيابه، ليستفيد من كل لحظة من لحظات عمره، ويعوض ما فاته، فكان يخدم رسول الله ﷺ ويقترب منه لينال منه نظرةً أو دعاءً أو علماً، مما دفع رسول الله ﷺ أن يدعو له بالحكمة، مرتين وأن يدعو له أن يفقهه الله في الدين ويعلمه التأويل.

«عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ضمني النبي ﷺ إلى صدره، وقال: اللهم علمه الحكمة»[2].

وروي عنه أيضاً: «أن النبي ﷺ دخل الخلاء، فوضعت له وضوءاً، قال: من وضع هذا؟ فأخبر، فقال: اللهم فقهه في الدين»[3].

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء الجزء الثالث، الصفحة ٣٣٥.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الثالث، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر ابن عباس، الصفحة ١٣٧١، رقم الحديث ٣٥٤٦.

(٣) أخرجه البخاري، الجزء الأول، كتاب الوضوء، باب ما يقول عند الخلاء، الصفحة ٦٦، رقم الحديث ١٤٢.

المثال الثاني:

أنس بن مالك، فقد ذهبت به أمه أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت:

[يا رسول الله: هذا أنس غلام لبيب كاتب يخدمك. قال أنس: فقبلني رسول الله ﷺ][(1)].

ومن حرصها على سعادة ابنها سعت إلى رسول الله ﷺ طالبة الدعاء له. عن أنس عن أم سليم: قالت: يا رسول الله: أنس خادمك، ادع له، قال: «**اللهم أكثر ماله، وولده، وبارك له فيما أعطيته**»[(2)].

واستجاب الله دعاء نبيه فكان له بستان يحمل الفاكهة في السنة مرتين، وكان فيه ريحان يجيء منه ريح المسك، وولد له من صلبه ثمانون ذكراً وابنتان، ومات وله من ولده وولد ولده مائة وعشرون ولداً، وتوفي وعمره مائة سنة وثلاث سنين[(3)].

أيها الآباء والأمهات:

إن ربيتم أولادكم على ما يحبه الله ويرضاه، سعدتم وإياهم في الدنيا والآخرة، وعملتم بما أمركم به ربكم، وتحملتم المسؤولية كاملة ونلتم رضا ربكم ورضوانه، ورفعتم رؤوسكم بهم أمام أنفسكم وأمام الناس وأمام ربكم، وكانوا ذخراً لكم في حياتكم وبعد مماتكم.

---

(١) المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الجزء الثالث، مرجع سابق، الصفحة ٣٦٧.

(٢) أخرجه البخاري، الجزء الخامس، كتاب الدعوات، باب الدعاء بكثرة الولد مع البركة، الصفحة ٢٣٤٤، رقم الحديث ٦٠١٧.

(٣) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، الجزء الأول، الصفحة ١٢٨.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»(١).

وعن أبي هريرة أيضاً رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ:

«إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يارب أنى لي هذه؟ فيقول باستغفار ولدك لك»(٢).

أيها الآباء والأمهات:

إن كل ما تبذلونه من أجل تربية أولادكم، وخاصة في موضوع العقيدة، يثمر غالباً ويعطي أكله، وذلك فضل من الله سبحانه وتعالى ولكن ـ ولحكمة يعلمها الله ـ نجد أن القليل من الأبناء لم ينفعهم صلاح والديهم، ولا كل ما يبذلونه من أجل هدايتهم، فينغمسوا في الضلال والفساد، والكفر والعناد، والبعد عن الله سبحانه.

قال سبحانه: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠].

وقال عز وجل حكاية عن سيدنا نوح عليه السلام:

﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢].

---

(١) أخرجه مسلم، الجزء الثالث، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، الصفحة ١٢٥٥، رقم الحديث ١٦٣١.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة، الجزء الثالث، الصفحة ٥٨٤، رقم الحديث ١٠٦١٥.

لذلك يجب عليكم ـ أيها الآباء والأمهات ـ بذل كل جهد تستطيعونه في سبيل تربية أولادكم التربية الصالحة، مع التزام الدعاء لهم بالتوفيق والثبات، والاستقامة والنجاح. والسعادة كلُّ السعادة عندما تجدون أبناءكم قد هداهم الله ووفقهم لمتابعة دينه، والسير على شرعه والاعتصام بحبله، فيا هنيئاً لكم ذلك في الدنيا والآخرة.

* * *

الفصل الخامس

خاتمة البحث

للعقيدة في الإسلام أهمية كبرى، فهي أساس الدين المكين الذي ترتكز عليه فروع هذا الدين، ومن الصعب محاولة إشادة بناء ضخم بلا أساس، وهي الأساس أيضاً في قبول الأعمال الصالحة كلها.

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

هذه العقيدة: التي نزل بها القرآن في مكة المكرمة أكثر من ثلاث عشرة سنة، ليثبتها في نفوس الناس، حيث كانت العقيدة الموضوع الوحيد الذي عالجته السور المكية.

هذه العقيدة: التي كافح الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل تثبيتها في نفوس الناس مدة إقامته في مكة ثلاث عشرة سنة، وهي أكثر من نصف مدة دعوته، بينما كانت المدة المتبقية في المدينة لإقامة الشريعة ونشر الإسلام بالإضافة إلى ترسيخ العقيدة أيضاً.

هذه العقيدة: التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي بها

الأفراد والجماعات، ويجمع عليها الصغار والكبار، والأهل والأصدقاء والأقارب والأباعد، ينادي بها في دار الأرقم وحول الحرم وشعاب مكة، وفي الطائف وبين مختلف الوفود والتجار.

هذه العقيدة: التي تحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام من أجل نشرها الكثير الكثير، بين الصد والهجر، والشقة والضرب، والخداع والمكيدة والتعذيب، فما استكانوا ولا ضعفوا ولا ترددوا لحظة واحدة.

هذه العقيدة: التي انتصرت بثبات الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام، وعمت كل بيت، وانتشرت في شبه الجزيرة العربية، ثم توسع انتشارها على يد القادة والدعاة إلى الله في أنحاء المعمورة.

هذه العقيدة: التي غيرت مجرى التاريخ وغيرت حياة العرب من الذل إلى العز، ومن الفقر إلى الغنى، ومن الضعف إلى القوة، ومن الفرقة إلى الوحدة، ومن الضلال إلى الهدى ومن الجهل إلى العلم.

هذه العقيدة: التي نشرت الحب والإخاء والمساواة والعدل والشورى والتواضع والتعاون والإيثار بين جميع أفرادها، حتى أصبحت مجتمعاتها تحقق واقعياً ما تخيله الفلاسفة القدامى حول المدينة الفاضلة.

هذه العقيدة: التي بيّنت للإنسان حقيقة أمره وسبب وجوده، وعرفته بخالقه ورسمت له طريق النجاح في الدنيا والسعادة في الآخرة.

هذه العقيدة: التي سعد كل من تمسك بها في كل زمان ومكان وعلى مر الأزمان والعصور.

فما أحرانا نحن في هذا الزمان، ونحن بأمس الحاجة أن نلجأ إلى من يأخذ بأيدينا نحو طريق السعادة، ماأحرانا أن نتمسك بعقيدتنا إيماناً وقولاً وتطبيقاً وسلوكاً ودعوة، حتى نتابع طريق أجدادنا ونحظى بما نالوه من

الفوز والنجاح والنصر، والرفعة والسعادة والعزّ والسؤدد !!

وما أحرى شبابنا الناشىء أن يتمسك بهذه العقيدة، وهم جيل المستقبل، ليعيدوا تاريخ أمتهم التليد، وانتصاراتهم المجيدة، ورفعتهم العالية، وحضارتهم الرائعة، وكلمتهم المسموعة، ومكانتهم البارزة، وليسعدوا في الدنيا والآخرة، وليباهي بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمم يوم القيامة، ويرضى عنهم ربهم فيرفع من شأنهم، ويعلي من مكانتهم، ويتحقق لهم بذلك أعلى وأغلى ما يتمناه الإنسان في الدنيا والآخرة !!

اللهم وفقنا وأولادنا وجميع المسلمين للعقيدة الصحيحة، واجعلها في أعماق قلوبنا وارزقنا العمل بمقتضاها، والثبات عليها إلى أن نلقاك وأنت راضٍ عنا. اللهم ارزقنا حسن الخاتمة، والوفاة على الإيمان الكامل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

قائمة المراجع والمصادر

أولاً ـ القرآن الكريم:

١ـ ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري): تفسير غريب القرآن، تحقيق أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م.

٢ـ ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي): تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٣ـ الأصبهاني (الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني): المفردات في غريب القرآن، أعده للنشر وأشرف على الطبعة د. محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلوا المصرية، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

٤ـ الألوسي (أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٥ـ البيضاوي (ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مؤسسة سفيان، بيروت، لم يسجل عليها الطبعة والتاريخ.

٦ـ الرازي (العلامة أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين القرشي الطبرستاني

المعروف فخر الدين الرازي): التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، دون تاريخ.

٧ـ سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، الطبعة السابعة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٨ـ السيوطي (جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي): الدر المنثور في التفسير المأثور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

٩ـ الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري): جامع البيان في تأويل آي القرآن، دار الفكر، دمشق الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م.

١٠ـ القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي): الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لم تسجل عليها الطبعة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

١١ـ د. محمد أحمد جاد المولى: قصص القرآن، المكتبة الأموية، دمشق ـ بيروت، لم تسجل عليها الطبعة، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.

١٢ـ د. محمد حسن الحمصي: تفسير وبيان مفردات القرآن، دار الرشيد، دمشق - بيروت، لم تسجل عليها الطبعة، ١٩٨٠ م.

١٣ـ محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، دون تاريخ.

١٤ـ محمد علي الصابوني: البيان في علوم القرآن، لم تسجل الدار ومكانها، الطبعة الثانية، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م.

١٥ـ محمد فارس بركات: الجامع لمواضيع آيات القرآن الكريم، دار قتيبة، دمشق - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٦ـ محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

ثانياً ـ الحديث الشريف:

١٧ـ ابن أبي الدنيا (أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا): موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

١٨ـ ابن الأثير الجزري: جامع الأصول في أحاديث الرسول، مكتبة الحلبوني، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

١٩ـ ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي بن حجر العسقلاني): فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

٢٠ـ ابن خزيمة (أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري): الصحيح، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت ـ دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٢١ـ ابن رجب البغدادي (زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي): جامع العلوم والحكم، تحقيق د. وهبه الزحيلي، دار الخير، دمشق ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٢٢ـ ابن السني (أبو بكر أحمد بن محمد الدينوري المعروف بابن السني): عمل اليوم والليلة، تحقيق بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٣ـ ابن عدي (أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني): الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق لجنه المختصين بإشراف الناشر، مطبعة دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٢٤ـ ابن مردويه (أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مردويه): جزء فيه أحاديث ابن حيان، حققه بدر بن عبد الله البدر، دار الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٢٥ـ ابن ماجه (الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوين): السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، لم تسجل عليها دار النشر والطبعة والتاريخ.

٢٦ـ أبو داود (سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي): سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

٢٧ـ أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٢٨ـ أحمد شاكر: فهارس سنن الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٩ـ د.ا.ي. فنسنك: مفتاح كنوز السنة، نقله للعربية محمد فؤاد عبد الباقي، عالم ماركيت، لاهور، لم تسجل عليها الطبعة، ١٣٩١هـ ـ ١٩٢١م.

٣٠ـ البخاري (الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفري): صحيح البخاري، ضبط وتعليق د.مصطفى ديب البغا، دار القلم، دمشق ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١م

٣١ـ البخاري: الأدب المفرد، تخريج محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٣٢ـ البزار (أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي البزار): البحر الزخار المعروف بمسند البزار، تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

٣٣ـ البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي): دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق د. عبد المعطي قلعه جي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٣٤ـ البيهقي: السنن الصغرى، تحقيق د.عبد المعطي أمين قلعه جي، منشورات جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشيـ باكستان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٣٥ـ البيهقي: السنن الكبرى، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.

٣٦ـ البيهقي: شعب الإيمان، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٣٧ـ الترمذي (محمد بن عيسى بن سورة الترمذي): السنن، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس، مطابع الفجر الحديثة، حمص، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

٣٨ـ الحاكم النيسابوري (أبو عبد الله): المستدرك على الصحيحين، فهرس أحاديثها د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

٣٩ـ الحكيم الترمذي (الحكيم الترمذي محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله): نوادر الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق د.عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، دون تاريخ.

٤٠ـ دار الجيل والشركة المتحدة: المسند الجامع، تحقيق د.بشار عواد معروف وآخرون، دار الجيل بيروت والشركة المتحدة الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٤١ـ الدار قطني (علي بن عمر الدارقطني): السنن، تحقيق عبد الله هاشم يماني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

٤٢ـ الديلمي (أبو شجاع شيراويه بن شهر دار بن شيراويه الديلمي الهمزاني الملقب إلكيا): مسند الفردوس، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٤٣ـ الزيلعي (جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي): نصب الراية لأحاديث الهداية، المكتبة الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٣م.

٤٤ـ سعد بن خالد الفوزان: التقريب إلى معجم الطبراني، دار عالم الكتاب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٤٥ـ د.سعيد الرصفي: الجامع المفهرس لألفاظ صحيح مسلم، مطبوعات جامعة الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٤٦ـ سمير طه المجذوب: فهرس أحاديث وآثار مصنف عبد الرزاق الصنعاني، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٤٧ـ طائفة من المستشرقين: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٣٦م.

٤٨ـ الطبراني (الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني): المعجم الأوسط، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٤٩ـ الطبراني: المعجم الصغير، ضبط كمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٥٠ـ الطبراني: المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.

٥١ـ الطبرسي: مكارم الأخلاق، دار البلاغة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٥٢ـ عبد الرزاق الصنعاني (الحافظ الكبير أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني): المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٥٣ـ د. عبد الغفار سليمان البغدادي: فهارس المستدرك، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٥٤ـ العجلوني (الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي): كشف الخفاء ومزيل الإلباس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٥١هـ.

٥٥ـ علاء الدين علي بن بلبان الفارسي: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٥٦ـ علي بن عمر الدار قطني: سنن الدار قطني، تحقيق عبد الله هاشم يماني المدني، مطبعة دار المعرفة، بيروت، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

٥٧ـ القسطلاني (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني): إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، وبهامشه شرح النووي على صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

٥٨ـ القضاعي (القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي): مسند الشهاب، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

٥٩ـ كمال يوسف الحوت: فهرس أحاديث وآثار سنن أبي داود، دار الجنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٦٠ـ لفيف من المستشرقين: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ـ الكتب الستة الدرامي ـ الموطأ ـ أحمد، نشر أ. ي. دفنسنك، مكتبة بريل، ليدن، لم تسجل عليها الطبعة، ١٩٢٦م.

٦١ـ مالك بن أنس: الموطأ رواية أبي مصعب الزهري المدني، تحقيق د. بشبر عود معروف ومحمود محمد خليل، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٦٢ـ محمد السعيد بن بسيوني زغلول: موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، دار الكتب العلمية، بيروت، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

٦٣ـ محمد السعيد بن بسيوني زغلول: فهارس سنن ابن ماجه تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٦٤ـ محمد ناصر الدين الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، أشرف على طبعة زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت ـ دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٦٥ـ محمد ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٦٦ـ محمد ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٦٧ـ محمود الحداد (أبو عبد الله محمود بن محمد الحداد): تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، للعراقي وابن السبكي والزبيدي، دار العاصمة للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٦٨ـ مسلم (أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري): صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

٦٩ـ د. مصطفى ديب البغا: فهارس صحيح البخاري، دار العلوم، دمشق، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

٧٠ـ المناوي (محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي): فيض القدير شرح الجامع الصغير (للسيوطي)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧٢م.

٧١ـ المنذري (زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري): الترغيب والترهيب، ضبط د. محمد عمارة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

٧٢ـ النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب): السنن الكبرى، تحقيق د. عبد الغفار سليمان البغدادي وسيد كسروي حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٧٣ـ النسفي (الإمام أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي): تفسير النسفي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٧٤ـ النووي (محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي الشافعي): الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، تحقيق بشير محمد عيون، دار البيان، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٧٥ـ النووي: شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، دون تاريخ.

٧٦ـ الهندي (علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي): كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مكتبة التراث الإسلامي، حلب، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

٧٧ـ الهيثمي بتحرير العراقي وابن حجر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر، بيروت، لم تسجل عليها الطبعة، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٧٨ـ د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي: فهرس سنن الدار قطني، دار المعرفة، بيروت، لم تسجل عليها الطبعة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

ثالثاً ـ السيرة والتراجم والتاريخ:

٧٩ـ ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكريم محمد بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير): أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

٨٠ـ ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي): صفة الصفوة، صنع فهرسه عبد السلام محمد هارون، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٨١ـ ابن الجوزي: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م.

٨٢ـ ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٨٣ـ ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

٨٤ـ ابن عساكر (أبو قاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر): تهذيب مدينة دمشق، تهذيب عبد القادر بدران، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٨٥ـ ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأنباري وعبد الحفيظ الشعبي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

٨٦ـ الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي): تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

٨٧ـ بهاء الدين بن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، المؤسسة المصرية العامة، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م.

٨٨ـ الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهب): سيرة أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٨٩ـ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي): طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٩٠ـ الأصبهاني (أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي): كتاب الأغاني، تحقيق إبراهيم الأنباري، دار الكتب، مصر، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

٩١ـ العسقلاني (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني المعروف بابن حجر): الإصابة في تمييز الصحابة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٢٨هـ.

٩٢ـ علي برهان الدين الحلبي: السيرة الحلبية، دار المعرفة، بيروت، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

٩٣ـ علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي: أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٣م.

٩٤ـ المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

رابعاً ـ معاجم اللغة:

٩٥ـ د. ابراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، لم يسجل عليها دار النشر، الطبعة الثانية، دون تاريخ.

٩٦ـ ابن منظور: لسان العرب، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٩٧ـ عدد من المؤلفين: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، الطبعة السادسة والعشرون، دون تاريخ.

٩٨ـ الفيروز آبادي (محي الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي): القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٩٩ـ محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٧م.

١٠٠ـ محمد علي الفاروقي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق د. لطفي عبد البديع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، لم تسجل عليها الطبعة، ١٩٧٢م.

١٠١ـ نكري الأحمد (عبد النبي بن عبد الرسول نكري الأحمد): جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (الملقب بدستور العلماء)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

خامساً ـ كتب العقيدة:

١٠٢ـ أحمد إبراهيم ملا محمد: شرح أسماء الله الحسنى على منظومة الشيخ علي النابلسي، دار الزهراء الحديثة، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

١٠٣ـ أحمد بن تيمية: الفتاوى الكبرى، جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، لم يسجل عليها دار النشر والطبعة والتاريخ.

١٠٤ـ أحمد بن حنبل: العقيدة، تحقيق عبد العزيز عز الدين السيروان، دار قتيبة، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٠٥ـ أحمد بن محمد المالكي الصاوي: شرح الصاوي على جوهرة التوحيد، توزيع دار الإخاء، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.

١٠٦ـ أحمد عز الدين البيانوني: الإيمان بالرسل، مكتبة الهدى، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.
١٠٧ـ أحمد عز الدين البيانوني: الإيمان بالله تعالى، مكتبة الهدى، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣ م.
١٠٨ـ أحمد عز الدين البيانوني: الإيمان بالملائكه، مكتبة الهدى، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.
١٠٩ـ أحمد عز الدين البيانوني: الإيمان باليوم الآخر وبالقضاء والقدر، مكتبة الهدى، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.
١١٠ـ أحمد علي الملا: دراسة في علم العقيدة الإسلامية، دار اليمامة، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
١١١ـ أحمد فائز: اليوم الآخر في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
١١٢ـ إبراهيم الباجوري: شرح جوهرة التوحيد، تحقيق محمد أديب الكيلاني وعبد الكريم تتان مراجعة الشيخ عبد الكريم الرفاعي،لم يسجل عليها دار النشر والطبعة، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.
١١٣ـ إبراهيم بن السري الزجاج: تفسير أسماء الله الحسنى، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، بيروت ـ دمشق، لم تسجل عليها الطبعة، ١٩٨٦م.
١١٤ـ إبراهيم بن هارون اللقاني: جوهرة التوحيد، مكتبة الغزالي، دمشق، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.
١١٥ـ ابن تيمية: العقيدة الواسطية، تحقيق محمد صبحي حسن حلاق، مؤسسة الريان، بيروت، لم تسجل عليها الطبعة، ١٩٥٣م.
١١٦ـ ابن قدامه المقدسي: لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، تحقيق الشيخ عبد القادر بدران خرج أحاديثة بشير محمد عيون، دار البيان، دمشق ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

١١٧ـ ابن قيم الجوزية (شمس الدين محمد بن أبي بكر): شفاء العليل مسائل القضاء والقدر، تحقيق مصطفى أبو النصر الشلبي، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

١١٨ـ ابن كثير: صفة الجنة وما فيها من النعيم المقيم، تحقيق يوسف علي بدوي، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

١١٩ـ ابن منده: الإيمان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

١٢٠ـ الأشعري (أبو الحسن): الإبانة في أصول الديانة، المطبعة الأميرية، مصر، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

١٢١ـ الباقلاني (الإمام القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني): التمهيد، عني بتصحيحه ونشره الأب رتشرد يوسف، المكتبة الشرقية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٥٧م.

١٢٢ـ بكري رجب: هداية المريد إلى جوهرة التوحيد، تحقيق حازم محي الدين محمد وهبه سليمان، دار الخير، دمشق ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

١٢٣ـ جابر الجزائري: عقيدة المؤمن، مؤسسة جمال، بيروت، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

١٢٤ـ جوادي أملي: العقيدة في ظلال الفطرة في القرآن، ترجمة دار الصفوة، دار الصفوة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

١٢٥ـ الجويني: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق د. محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م.

١٢٦ـ حسن أيوب: مع الله في صفاتة وأسمائه الحسنى، دارالقلم، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

١٢٧ـ خالد عبد الرحمن العك: عقيدة المسلم في ضوء القرآن والسنة النبوية، دار الإيمان، دمشق ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٢٨ـ خوجه كمال الدين: المثل الأعلى في الأنبياء، عربه أمين محمود الشريف قدم له اللورد هدلي، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

١٢٩ـ داود علي الفاضل الفاعوري: العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم، دار الفكر، عمان، لم تسجل عليها الطبعة، ١٩٨٩م.

١٣٠ـ زهير زكي شنانه: أسماء الله الحسنى، لم يسجل عليها دار النشر والطبعة، ١٩٩٤م.

١٣١ـ السجستاني: البعث، تحقيق أبو هاجر زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

١٣٢ـ سعد الدين التفتنازاني: شرح العقائد النسفية، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٣٣ـ السيد سابق: العقائد الإسلامية، دار النصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

١٣٤ـ صابر طعيمة: العقيدة والفطرة في الإسلام، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

١٣٥ـ طاهر الجزائري: الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية، لم يسجل عليها دار النشر، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

١٣٦ـ عبد الله عرواني: أصول العقائد الإسلامية، مراجعة الشيخ محمد بشير الشقفه، دارالقلم، دمشق ـ بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

١٣٧ـ د. عبد الله عزام: العقيدة وأثرها في بناء الجيل، مكتبة الأقصى، عمان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠م.

١٣٨ـ عبد الحليم محمد قنبس وخالد عبد الرحمن العك: مسألة القضاء والقدر، دار الكتاب العربي، حلب، لم تسجل عليها الطبعة، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٨٩م.

١٣٩ـ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: براهين وأدلة إيمانية، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٤٠ـ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق ـ بيروت، الطبعة السادسة، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٤١ـ عبد السلام بن إبراهيم اللقاني: شرح جوهرة التوحيد، معه كتاب النظام بتحقيق جوهرة التوحيد تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة البخارية الكبرى، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

١٤٢ـ عبد الكريم الرفاعي: المعرفة في بيان عقيدة المسلم، لم يسجل عليها دار النشر، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.

١٤٣ـ عبد المجيد عزيز الزنداني: كتاب توحيد الخالق، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

١٤٤ـ عبد المجيد عزيز الزنداني وآخرون: الإيمان، دارالخير، دمشق ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٤٥ـ عبد الملك الجويني: العقيدة النظامية، مطبعة الدولة، إستنبول، الطبعة الأولى، ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٨م.

١٤٦ـ عبد الملك الجويني: لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.

١٤٧ـ عبد الوارث مبروك سعيد: العقيدة الإسلامية منهج ميسر، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

١٤٨ـ عبد الوهاب الشعراني: اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، دون تاريخ.

١٤٩ـ عطية الدسوقي: عقيدة ورجال، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

١٥٠ـ عطيه محمد عطيه وآخرون: العقيدة الإسلامية، دار الفكر، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

١٥١ـ عفيف عبد الفتاح طباره: مع الأنبياء في القرآن الكريم، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية عشر، ١٩٨٣م.

١٥٢ـ علي الحسني الندوي (أبو الحسن): النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، دار القلم، دمشق ـ بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

١٥٣ـ علي القاري: شرح كتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة، تحقيق علي محمد دندل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

١٥٤ـ عمر بن محمد النسفي: العقائد النسفية، بعناية بسام عبد الوهاب الجابي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

١٥٥ـ د. عمر سليمان الأشقر: أثر الإيمان في تحرير الإنسان، دار النفائس، عمان، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

١٥٦ـ الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م.

١٥٧ـ الغزالي: أيها الولد، مكتبة الغزالي، دمشق، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

١٥٨ـ الغزالي: قواعد العقائد في التوحيد، تحقيق وتعليق محمد الهويد، دار المعارج، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

١٥٩ـ القشيري (عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري): لمع في الاعتقاد، تحقيق الطبلاوي محمود سعيد، مطبعة الأملني، مصر، لم تسجل عليها الطبعة، ١٩٨٨م.

١٦٠ـ محمد بن الحسين الآجري: كتاب الشريعة، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٦١ـ محمد بن جميل زينو: العقيدة الإسلامية من الكتاب والسنة الصحيحة، دار البشير، الطبعة الثامنة، ١٩٩٠م.

١٦٢ـ محمد بن صالح العثيمين: شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة المقدسي، تحقيق أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الإمام البخاري، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.

١٦٣ـ د. محمد حافظ الشريدة: العقيدة الواضحة، دار النفائس، عمان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

١٦٤ـ د. محمد حسن الحمصي: الإيمان بالله، دار الكتاب الحديث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

١٦٥ـ محمد سعيد البرهان: عقيدة المسلم، دار المعارف للطباعة، الطبعة الخامسة، دون تاريخ.

١٦٦ـ د. محمد سعيد رمضان البوطي: العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر، منشورات جامعة دمشق، لم تسجل عليها الطبعة، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

١٦٧ـ د. محمد سعيد رمضان البوطي: كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

١٦٨ـ محمد الغزالي: عقيدة المسلم، دار الكتب الحديثة، مصر، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

١٦٩ـ د. محمد صالح علي مصطفى: أصول التوحيد في القرآن الكريم، دار القلم، دمشق ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٧٠ـ د. مصطفى الخن: مبادىء العقيدة الإسلامية، منشورات جامعة دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٧١ـ د. مصطفى الخن وآخرون: العقيدة الإسلامية للصف الثاني الثانوي الشرعي، المطبوعات المدرسية.

١٧٢ـ محمد الماتريدي السمرقندي: التوحيد، تحقيق فتح الله خليفة، دار المشرق، بيروت، لم تسجل عليها الطبعة، ١٩٧٠م.

١٧٣ـ محمد محي الدين عبد الحميد: شرح جوهرة التوحيد، مطبعة السعادة، لم تسجل عليها الطبعة، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

١٧٤ـ نديم الجسر: قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، توزيع دار العربية، الطبعة الثالثة، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

١٧٥ـ التفتنازي (سعد الدين مسعود بن عمر): شرح العقائد النسفية في أصول الدين وعلم الكلام، حققه كلود سلامة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، لم تسجل عليها الطبعة، ١٩٧٤م.
١٧٦ـ د.يوسف القرضاوي: الإيمان والحياة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة عشر، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.
١٧٧ـ الهمزاني: شرح الأصول الخمسة، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، مصر، لم تسجل عليها الطبعة، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م.

سادساً ـ كتب التربية:

١٧٨ـ ابن قيم الجوزية (الحافظ شمس الدين محمد بن أبي بكر): تحفة المودود بأحكام المولود، تحقيق محمد علي أبو العباس، مكتبة القرآن، مصر، لم تسجل عليه الطبعة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.
١٧٩ـ أبو بكر جابر الجزائري: منهاج المسلم، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.
١٨٠ـ أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، المكتب المصري الحديث، الطبعة التاسعة، ١٩٧٣م.
١٨١ـ حبشي فتح الله الحفناوي: تربية الأطفال في الإسلام، المركز العربي، مصر، ١٩٩٠م.
١٨٢ـ حلمي محمد عبد الهادي ومصطفى زيد الكَيلاني: التربية الإسلامية، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
١٨٣ـ سراج محمد عبد العزيز وزان: التربية الإسلامية كيف نرغبها لأبنائنا، محاضرة في سلسلة دعوة الحق، السنة العاشرة العدد ١١٢ لعام ١٩٩١م، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.
١٨٤ـ ديلاز ذاولسوف: تطور نمو الأطفال، ترجمة إبراهيم حافظ ومحمد عثمان سامي وعلي الجمال، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، مصر ـ نيويورك، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

١٨٥ـ د. عباس محجوب: أصول الفكر التربوي في الإسلام، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.
١٨٦ـ د. عبد الحميد السعيد الزنتاني: أسس التربية الإسلامية من السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.
١٨٧ـ عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
١٨٨ـ عبد الرحمن النحلاوي: التربية بالآيات، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.
١٨٩ـ عبد الرحمن محمد عيسوي: دراسات سيكلوجية، منشأة المعارف، مصر، لم تسجل عليها الطبعة وتاريخ.
١٩٠ـ عبد الله علوان: تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام، حلب ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
١٩١ـ د. عبد المنعم عبد العزيز المليجي: تطور الشعور الديني عند الطفل والمراهق، دار المعارف بمصر، لم تسجل عليها الطبعة، ١٩٥٥م.
١٩٢ـ د. عدنان السبيعي: من أجل أطفالنا، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٦م.
١٩٣ـ د. عمر محمد التومي الشيباني: فلسفة التربية الإسلامية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، الطبعة السادسة، ١٩٦٨م.
١٩٤ـ د. فاخر عاقل: معالم التربية، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، دون تاريخ.
١٩٥ـ د. فاروق ساهل: اهتمام الإسلام بتغذية الطفل، مقالة في مجلة الأمة القطرية ـ العدد ٥٠، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.
١٩٦ـ فرج عبد السلام السوقي: التربية الإسلامية منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، دار اقرأ، طرابلس، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.
١٩٧ـ د. المبروك عثمان أحمد: تربية الأولاد والآباء في الإسلام، دار قتيبة، دمشق ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

١٩٨ـ د. محمد أحمد عبد الهادي: المربي والتربية الإسلامية، دار البيان العربي، جدة، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

١٩٩ـ محمد جمال الدين علي محفوظ: التربية الإسلامية للطفل والمراهق، دار الاعتصام، لم تسجل عليها الطبعة، ١٩٨٦م.

٢٠٠ـ محمد حامد الناصر وخولة عبد القادر درويش: تربية الأطفال في رحاب الإسلام، السوادي للتوزيع، جدة، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٠١ـ محمد حسن فارس: التربية الإسلامية لصغار الأطفال، دار المتنبي، أبو ظبي، لم تسجل عليها الطبعة، ١٩٩٠م.

٢٠٢ـ محمد خير فاطمة: الآداب الإسلامية للناشئة، دار الخير، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٢٠٣ـ محمد خير فاطمة: الأخلاق الإسلامية للناشئة، دار الخير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٠٤ـ محمد علي قطب: أولادنا في ضوء التربية الإسلامية، مكتبة الغزالي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

٢٠٥ـ محمد علي قطب: فضل تربية البنات في الإسلام، مكتبة الغزالي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

٢٠٦ـ محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، الطبعة السابعة، دون تاريخ.

٢٠٧ـ محمد كامل الشربجي: منهج الإسلام في تربية الأطفال، دار البشائر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٢٠٨ـ محمد محمد علي الأبشيهي: تربية الناشئة في ضوء السيرة والسنة، بحوث ودراسات مقدمة للمؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية الجزء الخامس، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، دون تاريخ.

٢٠٩ـ د. محمد نبيه الغبرة: المشكلات السلوكية عند الأطفال، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، دون تاريخ.

٢١٠ـ محمد نور بن عبد الحفيظ سويد: منهج التربية النبوية للطفل، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٢١١ـ محمود محمد محمد عمارة: أولادنا، دار الخير، دمشق ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٢١٢ـ د. مصطفى عبد الواحد: شخصية المسلم، إدارة الشؤون الدينية، قطر، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٢١٣ـ منير عامر شريف حامد: تربية الأبناء في الزمن الصعب، مستقى من مؤلفات بن جاميل سبُوك، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

٢١٤ـ يوسف العظم: أناشيد وأغاريد للجيل المسلم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، دون تاريخ.

٢١٥ـ يوسف العظم: براعم الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

سابعاً ـ الكتب المتفرقة:

٢١٦ـ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحفري): المقدمة، دار القلم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨١م.

٢١٧ـ ابن عابدين: الحاشية، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

٢١٨ـ ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأنباري، المطبعة الأصلية، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م.

٢١٩ـ ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة، دار الكتب العلمية، بيروت، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

٢٢٠ـ ابن المظفر المكي: أنباء نجباء الأبناء، تحقيق إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٢٢١ـ أبو العلاء المعري: ديوان لزوم مالايلزم برواية الخطيب التبذيري، تحرير وشرح د. كمال اليازجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

٢٢٢ـ أحمد الدهلوي: حجة الله البالغة، المطبعة الخيرية، الطبعة الأولى، ١٣٢٢ هـ.

٢٢٣ـ د. أحمد شلبي: كيف تكتب بحثاً أو رسالة، مكتبة النهضة المصرية، مصر، الطبعة الحادية والعشرون، ١٩٩٢م.

٢٢٤ـ الآمدي: الأحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٢٢٥ـ الخطيب البغدادي: الرحلة في طلب الحديث، تحقيق د. نور الدين عتر، لم تسجل عليها دار النشر، الطبعة الأولى، دون تاريخ.

٢٢٦ـ الخطيب البغدادي (أحمد بن علي الخطيب البغدادي): شرف أصحاب الحديث، مصورة دار الكتب المصرية، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

٢٢٧ـ الخطيب البغدادي (الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت): الكفاية في علم الرواية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٢٨ـ الشوكاني: إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تحقيق أبو مصعب محمد سعيد البدري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٢٢٩ـ طارق إسماعيل كافيا: الزواج المثالي، مؤسسة الزعبي للطباعة والنشر، حمص، الطبعة الثانية، دون تاريخ.

٢٣٠ـ الطبرسي (رضى الدين أبو نصير الحسن بن الفضل الطبرسي): مكارم الأخلاق، دار البلاغة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٢٣١ـ عباس محمود العقاد: العبقريات الإسلامية، منشورات دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٦م.

٢٣٢ـ عبد الله التل: جذور البلاء، دار الإرشاد، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٢٣٣ـ عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، القاهرة، لم تسجل عليها الطبعة، ١٩٦٨م.
٢٣٤ـ د. عبد الرحمن عميرة: أضواء على البحث والمصادر، دار الجيل، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٢٣٥ـ عبد الرحمن الصفوري: نزهة المجالس ومنتخب النفائس، دار المحبة، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٢٣٦ـ عبد الرحمن محمد عيسوي: دراسات سيلكوجيه، منشأة المعارف، الإسكندرية، لم تسجل عليها الطبعة، ١٩٨٣م.
٢٣٧ـ د. عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان: كتابة البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية، لم تسجل عليها دار النشر والطبعة والتاريخ.
٢٣٨ـ الغزالي: أحياء علوم الدين، تخريج العراقي، المكتبة البخارية الكبرى، مصر، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.
٢٣٩ـ القشيري: الرسالة القشيرية، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م.
٢٤٠ـ الكاساني: بدائع الصنائع، مطبعة الإمام، مصر، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.
٢٤١ـ الكاندهلوي: أوجز المسالك إلى موطأ مالك، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
٢٤٢ـ الماوردي: (أبو الحسن علي بن محمد بن جيب البصري الماوردي): آداب الدنيا والدين، تحقيق مصطفى السقا، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الرابعة، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.
٢٤٣ـ مجلة الأمة القطرية: العدد ٥٠، د. فاروق مساهل، اهتمام الإسلام بتغذية الطفل.
٢٤٤ـ مجلة منار الإسلام: أبو ظبي، العدد ١١ من السنة العشرين، ١٤١٥هـ.
٢٤٥ـ محمد بن علي الخطاب القرشي: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، دققه علي محمد البجادي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

٢٤٦ـ محمد خليفة التونسي: الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون)، دار الإمام الحسن، إيران، الطبعة الخامسة، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٢٤٧ـ محمد رضا: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٢٤٨ـ د. محمد الزحيلي: مرجع العلوم الإسلامية، دار المعرفة، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

٢٤٩ـ د. محمد سعيد رمضان البوطي: أحسن الحديث، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨م.

٢٥٠ـ محمد صديق حسن خان القنوجي البخاري: حسن الأسوة، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لم تسجل عليها الطبعة، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٢٥١ـ محمود حمدي بن داود المرعشي الدمشقي: نيل الأرب في معرفة الأدب، تحقيق محمد علي بلطة جي ومعروف زريق، دار الخير، بيروت ـ دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ٢٩٨٧م.

٢٥٢ـ د. مصطفى السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت ـ دمشق، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٥٣ـ المقدسي: المغني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٢٥٤ـ د. وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٢٥٥ـ يوسف بن عبد الله القرطبي: جامع بيان العلم وحفظه، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، لم تسجل عليها الطبعة والتاريخ.

٢٥٦ـ د. يوسف القرضاوي: الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

* * *

قائمة محتويات الرسالة

* * *